غزوة أُحد

المفكر الإسلامي
أحمد عزوز الفرخ

مؤسسة شروق
دار البدر

إهداء ٢٠١٥

الاستاذ / احمد عزوز احمد الفرخ
جمهورية مصر العربية

غزوة أحد

بقلم

المفكر الإسلامي

أحمد عزوز الفرخ

مؤسسة الشروق — دار البدر

١٦ ش البيطار ـ الأزهر

٠٢٢٥١١٤١٥١ ـ ٠١٠١٢١١١٧٤١

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

رقم الايداع: ٢٠١٥/١٩٠٣

الترقيم الدولي: 3 - 33 - 6226 - 977 - 978

إبداعات صدرت للمؤلف المفكر الإسلامي/ أحمد عزوز الفرخ

١ ـ فتاوى أمير المؤمنين/ المكتبة المحمودية/ بجوار جامع الأزهر/ القاهرة.

٢ ـ الإمامان الحسن والحسين/ المكتبة المحمودية/ بجوار جامع الأزهر/ القاهرة.

٣ ـ أجمل ما قرأت/ المكتبة المحمودية/ بجوار جامع الأزهر/ القاهرة.

٤ ـ أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير بن عوام/ المكتبة المحمودية/ القاهرة.

٥ ـ سيدة نساء العالمين أم الإسلام السيدة الفضلى خديجة بنت خويلد/ دار الحسين الإسلامية خلف جامع الأزهر/ القاهرة.

٦ ـ بنات الإمام الحسين: السيدة سكينة، السيدة/ فاطمة / دار الحسين الإسلامية/ خلف جامع الأزهر/ القاهرة.

٧ ـ مناسك الحج والعمرة/ دار الحرم للتراث/ أمام باب كلية الشريعة خلف جامع الأزهر/ القاهرة.

٩ ـ أعمام النبي ﷺ / مركز الإسكندرية للكتاب/ الإسكندرية/ أمام باب كلية الحقوق.

١٠ ـ غزوة بدر الكبرى/ مركز الإسكندرية للكتاب/ الإسكندرية/أمام باب كلية الحقوق.

١١ ـ الصحابي الجليل/ سعد بن عبادة/ مركز الإسكندرية للكتاب.

١٢ ـ الصحابي الجليل/ قيس بن سعد بن عبادة/ مركز الإسكندرية للكتاب.

١٣ ـ غزوة أُحد/ مؤسسة الشروق ودار البدر ومؤسسة السماحة ش البيطار/ خلف جامع الأزهر/ القاهرة.

١٤ ـ الأسطورة عبد الرحمن الغافقي/ مؤسسة الشروق ودار البدر ومؤسسة السماحة ش البيطار/ خلف جامع الأزهر/ القاهرة.

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ
إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ
فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ
وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ
وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ
وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾
وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ
أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾
وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ
فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾

[آل عمران]

باقة الورد

إلى أم أبيها البتول، زهرة الزهور، السيدة الفضلى

فاطمة الزهراء

كريمة الحبيب سيدنا محمد ﷺ وابنة الحبيبة أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وناظمة عقد السلالة الطاهر الباهر

روت السيدة عائشة رضي الله عنها من أنها قالت: يا رسول الله أراك تحب فاطمة، وتحن للقانها وتفرح لمجينها، وتقوم لها معظمة ومرحبة، فقال عليه الصلاة والسلام هو ما تقولين، لأنى رأيت ليلة من الليالي كأني دخلت الجنة، فأعطاني ملك تَفاحة فأكلتها فوجدت لها طعمًا طيباً، ورانحة طيبة، فلما استيقظت من نومي واقعت خديجة فحملت بفاطمة، فكلما رأيتها تذكرت تلك التفاحة فأشتاق إليها، وعندما أقبل فاطمة أجد فيها تلك المتعة. ومنافب السيدة/ فاطمة الزهراء في الآخرة، فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم القيامة، جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، ثم ينادي منادي تحت العرش إن الجليل جل وعلا يقول لكم: نكسوا رؤوسكم، وغضوا من أبصاركم فإن فاطمة بنت محمد تريد أن تمر علىٰ الصراط تيمناً باسمك أم أبيها.

أهدي هذه الملحمة إلى أم أبيها أيضاً.

ابنتي وحبيبتي/ جلنار أحمد عزوز الفرخ

رغم أنها أصغر أبنائي، فهي بحق كانت ـ ومازالت ـ لي حبيبة وأم وكل شيء جميل وحبيب، فكم لعبنا ومشينا وشربنا وجرينا وحكينا في طرقات وربوع مدينتنا الحبيبة الإسكندرية وغيرها من المدن وذلك عندما نسافر ترويحًا عن النفس.

كانت تمثل لي البهجة والمهجة والسرور والسعادة، بوجهها الملانكي

الجميل، ذو القلب الأبيض النقي، الذى يمثل الصفاء والنقاء وينسدل عليه شعر أَسود جميل كأنه منديل أبيض أنيق تجفف به دموعها عندما تعلم أنني مريض.

فأنت الحب الكبير

لك النجاح والفلاح والسعادة والصحة وطول العمر المديد المصحوب بكل شيء جميل.

كما أهدي الإهداء لمن أهدت لهم ـ سلفًا ـ ملحمة أُحد ـ تلك الملحمة الرائعة ـ فلقد كانت معركة أُحُد معركة تهذيب وتمحيص.

أحمد عزوز أحمد الفرخ

الإسكندرية

* * *

مقدمة

حمدًا لمن أسعد نبيه بأعلىٰ درجات الشرف، وأصعده إلىٰ أسمىٰ مدارج الغرف، ونسخ بشرعه الشريف ودينه المنيف شرائع من تقدمه من الأنبياء والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، وعلىٰ آله الذين سيروا ركائب سيرته الحسنى في سائر الأفاق، وفسروا بالوجه الأسنى مواكب شمائله الوثيقة النطاق نحمد الله ـ جل جلاله ـ في المبدأ والختام، أن هدانا إلىٰ نعمة الإسلام . . ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥] نحمده علىٰ إرسال سيدنا محمد ـ صلوات الله عليه وعلىٰ آله وسلم ـ خير الخلق علىٰ الإطلاق، وأفضلهم في معالي الأخلاق، بهذا الدين القويم، والشرع الحكيم، دين الهدى والحق ليظهره علىٰ الدين كله، ولو كره المشركون.

ونكرر الحمد ولا نَملُّ من الشكر أن اختار لرسوله الكريم وهذا النبي أزواجه ولا سيما السيدة الفضلى أمي وأم المؤمنين جميعا حبيبة رسول الله السيدة الطاهرة خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها ـ وأصحابه إذ شرف أزواج الرسول ـ صلى الله عليه وعلىٰ آله وسلم ـ إذ جمعوا بين الفضلين فحازوا الحسنيين: الزوجية والصحبة

اللهم بفضلك العظيم، أن تصلي عليه وعلىٰ آله وأزواجه واصحابه الطيبين الطاهرين، وعلىٰ من نهج نهجهم ومشى علىٰ طريقهم واتبع هديهم، يا رب العالمين.

كذلكَ أولادي ـ **عزوز، وأدهم، وعصام الد ين، وجلنار، وخديجة** . . . وكذا **أولادهم وذريتهم** إلىٰ يوم الدين . . **وكذا أبواي** . . رحمة من عندكَ تَرفع بها درجتهما وتجعلهم في عليين.

كذلكَ السلام الحربي الإسلامي إلىٰ هؤلاء الأبطال . . الليوث الشجعان . .

عظماء الدنيا والآخرة . . عظماء الإِ سلام . . أبطال أحد وشهدائهم.

لهم مني سلامًا وتحية وشوق . . يا رب اجمعني بهم في الآخرة . . حتى أحظى بصحبتهم هم وأبطال بدر، وكل شهداء الإسلام علىٰ مر العصور والأزمنة.

وصلى اللهم وبارك علىٰ ـ قائدهم ـ وقائد هذه الأمة الإسلامية

بقلم

سليل قبائل الأنصار الخزرج

الأنصاري الخزرجي/ **أحمد عزوز أحمد محمد مصطفى الفرخ**

الأسكندرية

غزوة أُحد

السبت ٧/ شوال/ سنة ٣ هـ

الموافق يناير/ سنة ٦٢٥ م

كانت مكة تَحترق غيظًا علىٰ المسلمين مما أصابها في معركة بدر من مأساة الهزيمة وقتل الصناديد والأشراف، وكانت تجيش فيها نزاعات الانتقام وأخذ الثأر، حتى إن قريشًا كانوا قد منعوا البكاء علىٰ قتلاهم في بدر، ومنعوا من الاستعجال في فداء الأسارى حتى لا يتفطن المسلمون مدى مأساتهم وحزنهم.

وعلى أثر غزوة بدر اتفقت قريش علىٰ أن تقوم بحرب شاملة ضد المسلمين تشفي غيظها وتروي غلة حقدها، وأخذت في الاستعداد للخوض في مثل هذه المعركة.

وكان عكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، وأبو سفيان بن حرب، وعبد الله بن أبي ربيعة[1] أكثر زعماء قريش نشاطًا وتحمسًا لخوض المعركة.

وأول ما فعلوه بهذا الصدد أنهم احتجزوا العير التي كانت قد نجا بها أبو سفيان، والتي كانت سببًا لمعركة بدر، وقالوا للذين كانت فيها أموالهم: يا معشر قريش، إن محمدًا قد وتركم[2] وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال علىٰ حربه، لعلنا أن ندرك منه ثأراً، فأجابوا لذلك، فباعوها، وكانت ألف بعير، والمال خمسين ألف دينار، وفي ذلك أنزل الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

---

(١) هو أخ لأبي جهل من جهة الأم ـ أسماء بنت مخربة بن نهشل ـ وابن عم له كذلك ـ بعد طلاقها من أبيه ـ فأب كل واحد منهما: أبي ربيعة وهشام شقيقان أمهما ربطة بنت سعيد بن سَهم وهي أم بني المغيرة لأنها ولدت من المغيرة بن مخزوم هشامًا وهاشمًا وأبا ربيعة والفاكة . وأبي جهل هو: عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وأبي ربيعة هذا هو والد عمر بن مخزوم ـ الشاعر المعروف ـ.

(٢) ظلمكم وأدركم بمكروه وأفزعكم.

كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦]

ثم فتحوا باب التطوع لكل من أحب المساهمة في غزوة المسلمين من الأحابيش(١) وكنانة وأهل تهامة، وأخذوا لذلك أنواعًا من طرق التحريض، حتى إن صفوان بن أمية أغرى أبا عزة الشاعر ـ الذى كان قد أسر في بدر، فمَنَّ عليه رسول الله ﷺ وأطلق سراحه بغير فدية، وأخذ منه العهد بألا يقوم ضده ـ أغراه علىٰ أن يقوم بتحريض القبائل ضد المسلمين، وعاهده أنه إن رجع عن الغزوة حيًا يغنيه، وإلا يكفل بناته، فقام أبو عزة بتحريض القبائل بأشعاره التي كانت تذكي حفائظهم، كما اختاروا شاعرًا آخر ـ مُسَافع بن عبد مناف الجمحي ـ لنفس المهمة. وكان أبو سفيان أشد تأليبًا علىٰ المسلمين بعدما رجع من غزوة السَّويق(٢) خائبًا لم ينال ما في نفسه، بل أضاع مقدارًا كبيرًا من تموويناته في هذه

(١) تحالف بنوالحارث بن بكر والهون بن خزيمة وبنوا المصطلق من خزاعة عند جبل يقال له حبشي فسموا الأحابيش للحلف.

(٢) بينما كان كفار مكة واليهود والمنافقون يقومون بمؤامراتهم وعملياتهم ضد المسلمين أثر هزيمتهم في غزو بدر، كان أبو سفيان بن حرب يفكر في عمل قليل المغارم ظاهر الأثر، يتعجل به، ليحفظ مكانة قومه، ويبرز ما لديهم من قوة، وكان قد نزر ألا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدًا، فخرج في مائتي راكب ليَبِرَّ يمينه، حتى نزل بصدر قناه إلىٰ جبل يقال له: ثَيْبُ، من علىٰ بريد أو نحوه (البريد: مسافة أثنى عشر ميلا)، ولكنه لم يجرؤ علىٰ مهاجمة المدينة المنورة جهارًا، فقام بعمل هو أشبه بأعمال القراصنة، فإنه دخل في ضواحي المدينة في الليل مستخفيًا تحت جنح الظلام، فأتى حي بن أخطب، فاستفتح بابه، فأبى وخاف، فانصرف إلىٰ سلام بن مشكَمَ سَيد بني النضير، وصاحب كنزهم إذ ذاك (1)، فاستأذن عليه فأذن، فقرأه وسقاه الخَمر، ويطن له من خبر الناس، ثم خرج أبو سفيان في عقب ليلته حتى أتى أصحابه، فبعث مفرزة منهم، فأغارت علىٰ ناحية من المدينة يقال لها: "العُرَيْض" (2) فقطعوا وأحرقوا هناك أصْوارًا من النخل (أصوارًا: جماعة)، ووجدوا رجلًا من الأنصار وحليفًا له في حرث لهما فقتلوهما، وفروا راجعين إلىٰ مكة.

وبلغ رسول الله ﷺ الخبر، فسارع لمطاردة أبي سفيان وأصحابه، ولكنهم فروا ببالغ السرعة ، وطرحوا سويقًا كثيرًا من أزوادهم وتموويناتهم، يتخففون به، فتمكنوا من الإفلات، وبلغ رسول الله ﷺ =

(1) صاحب كنزهم: أي المال الذى كانوا يجمعونه ويدخرونه للنوائب وما يعرض لهم، وكان حليا يعيرونه لأهل مكة. وكانت امرأته هي زينب بنت الحارث هي التي دست السم لرسول الله ﷺ، ومات من الصحابة آنذاك بشر بن البراء بن معرور من تلك الأكلة ... حتى أن بعض المسلمين ليرون أن رسول الله ﷺ مات شهيدًا مع ما أكرمه الله به من النبوة لأن هذه الأكلة أثرت عليه فيما بعد.

(2) العريض: ـ بضم العين وفتح الراء ـ علىٰ بعد ثلاثة أميال من المدينة.

الغزوة.

وزاد الطينة بلة ـ أو زاد النار إذكاء، إن صح هذا التعبير ـ ما أصاب قريشًا أخيرًا في سرية زيد بن حارثة(١) من الخسارة الفادحة التي فصمت فقار

= إلى قرقرة الكدر، ثم انصرف راجعًا، وحمل المسلمون ما طرحه الكفار من سويقهم، وسموا هذه المناوشة بغزوة السويق . وقد وقعت في ذي الحجة سنة ٢ هـ بعد غزوة بدر بشهرين، واستعمل على المدينة المنورة في هذه الغزوة الصحابي الجليل أبا لبابة بن عبد المنذر [1].

(١) وهي آخر وأنجح دورية للقتال قام بها المسلمون قبل أحد، وقعت في جمادي الأخر سنة ٣ هـ وتفصيلها: أن قريشًا بقيت بعد معركة بدر يساورها القلق والأضطراب، وجاء الصيف، واقترب موسم رحلتها إلى الشام، فأخذها هَمٌّ أخر. قال صفوان بن أمية لقريش ـ وهو الذي نخبته قريش في هذا العام لقيادة تجارتها إلى الشام: إن محمدًا وصحبه عَوّرُوا علينا متجرنا، فما ندري كيف نصنع بأصحابه، وهم لا يبرحون الساحل؟ وأهل الساحل قد وادعهم ودخل عامتهم معه، فما ندري أين نسلك؟ وإن أقمنا في دارنا هذه أكلنا رءوس أموالنا فلم يكن لها من بقاء. وإنما حياتنا بمكة على التجارة إلى الشام في الصيف، وإلى الحبشة في الشتاء.

ودارت المناقشة حول هذا الموضوع، فقال الأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزي بن قصي لصفوان: تنكب الطريق على الساحل وخذ طريق العراق ـ وهي طريق طويلة جدًا تخترق نجدًا إلى الشام، وتمر في شرقي المدينة على بعد كبير منها، وكانت قريش تجهل هذه الطريق كل الجهل ـ فأشار الأسود ابن عبد المطلب على صفوان أن يتخذ فُرات بن حيان ـ من بني بكر بن وائل ـ دليلا له، ويكون رائده في هذه الرحلة.

وخرجت عير قريش يقودها صفوان بن أمية، آخذة الطريق الجديدة، إلا أن أنباء هذه القافلة وخطة سيرها طارت إلى المدينة: وذلك أن سَليط بن النعمان ـ كان قد أسلم ـ اجتمع في مجلس شرب ـ وذلك قبل تحريم الخمر ـ مع نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان – هو الذى أحدث فرقة بين الكفار بعضهم في بعض في غزوة الأحزاب سنة ٤ هـ فيما بعد ـ ولم يكن أسلم إذ ذاك – فلما أخذت الخمر من نعيم تحدث بالتفصيل عن قضية العير وخطة سيرها، فأسرع سليط الى النبي ﷺ يروي له القصة.

وجهز رسول الله ﷺ لوقته حملة قوامها مائة راكب في قيادة زيد بن حارثة الكلبي، وأسرع زيد حتى دهم القافله بغتة ـ على حين غرة ـ وهي تنزل على ماء في أرض نجد يقال له: قردة ـ بالفتح فالسكون ـ فاستولى عليها كلها، فلم يكن من صفوان ومن معه من حرس القافلة إلا الفرار بدون أي مقاومة. وأسر المسلمون دليل القافلة ـ فرات بن حيان العجلي ـ كان من أهل الصفة من الصحابة بعد ذلك ـ وقيل:

ورجلين غيره ـ وحملوا غنيمة كبيرة من الأواني والفضة كانت تحملها القافلة، قدرت قيمتها بمائة ألف، وقسم رسول الله ـ ﷺ ـ هذه الغنيمة على أفراد السرية بعد أخذ الخمس، وأسلم فرات بن حيان على يديه ﷺ ـ بن هشام ٢/٥٠، ٥١ ـ .

وكانت مأساة شديدة ونكبة كبيرة أصابت قريشًا بعد بدر، اشتد لها قلق قريش وزادتها همًا وحزنًا . ولم يبق أمامها إلا طريقان، إما أن تمتنع عن غطرستها وكبريائها، وتأخذ طريق الموادعة =

(1) أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري المدني من قبيلة الأوس، واختلف في اسمه، فقيل: رفاعة، وقيل: مبشر، وقيل بشير، وهو أحد النقباء، عاش إلي خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، نزلت فيه قرآن آية ٢٧ من سورة الأنفال ثم تاب الله سبحانه وتعالى عليه في الآية ١٠٢ من سورة التوبة.

اقتصادها، وزودها من الحزن، والهم ما لا يقادر قدره، حينئذ زادت سرعة قريش في استعدادها للخوض في معركة تفصل بينهم وبين المسلمين.

إن معركه بدر كانت أول لقاء مسلح بين المسلمين والمشركين، وكانت معركة فاصلة أكسبت المسلمين نصرًا حاسمًا شهد له العرب قاطبة. والذين كانوا أشد استياء لنتائج هذه المعركة هم أولئك الذين منوا بخسائر فادحة مباشرة، وهم المشركون، أو الذين كانوا يرون عزة المسلمين وغلبتهم ضربًا قاسمًا علىٰ كيانهم الديني والأقتصادي، وهم اليهود. فمنذ أن أنتصر المسلمون في معركة بدر كان هذان الفريقان يحترقان غيظًا وحنقًا علىٰ المسلمين، ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾ [المَائدة: الآية ٨٢]، وكانت في المدينة المنورة بطانة للفريقين دخلوا في الإسلام حين لم يبقى مجال لعزهم إلا في الإسلام، وهم عبد الله بن أبي سلول وأصحابه، ولم تكن هذه الفرقة الثالثة أقل غيظًا من الأولين. وكانت هناك فرقة رابعة، وهم البدو الضاربون حول المدينة المنورة، ولم يكن يهمهم مسألة الكفر والإيمان، ولكنهم كانوا أصحاب سلب ونهب، فأخذهم القلق، واضطربوا لهذا الانتصار، وخافوا أن تقوم في المدينة المنورة دولة قوية تحول بينهم وبين اكتساب قوتهم عن طريق السلب والنهب، فجعلوا يحقدون علىٰ المسلمين وصاروا لهم أعداء.

وتبين بهذا أن الإنتصار في غزوة بدر[1] كما كان سببًا لشوكة المسلمين وعزهم وكرامتهم كذلك كان سببًا لحقد جهات متعددة، وكان من الطبيعي أن يتبع كل فريق ما يراه كفيلا لإيصاله إلىٰ غايته.

= والمصالحة مع المسلمين، أو تقوم بحرب شاملة تعيد لها مجدها التليد، وعزها القديم، وتقضي علىٰ قوات المسلمين بحيث لا يبقى لهم سيطرة علىٰ هذا ولا ذاك، وقد اختارت مكة الطريق الثانية، فازداد إصرارها علىٰ المطالبة بالثأر، والتهيؤ للقاء المسلمين في تعبئة كاملة، وتصميمها علىٰ الغزو في ديارهم، فكان ذلك وما سبق من أحداث التمهيد القوي لمعركة أحد.

(١) اقرأ للمؤلف/ غزوة بدر الكبرى . الناشر مركز الإسكندرية للكتاب . أمام باب كلية الحقوق ـ الإسكندرية.

فبينما كانت المدينة المنورة وما حولها تظاهر بالإسلام، وتأخذ في طريق المؤامرات والدسائس الخفية كانت فرقة من اليهود تعلن بالعداوة، وتكاشف عن الحقد والغيظ، وكانت مكة تهدد بالضرب القاصم، وتعلن بأخذ الثأر والنقمة، وتهتم بالتعبئة العامة جهارًا، وترسل إلىٰ المسلمين بلسان حالها، تقول:

اولابد من يوم أغرّ محُجَلٌ   يطول استماعي بعده للنوادب

وفعلا فقد قادت غزوة قاصمة إلىٰ أسوار المدينة المنورة عرفت في التاريخ بغزوة أحد، والتي كان لها أثر سيء علىٰ سمعة المسلمين وهيبتهم.

قوام جيش قريش وقيادته:

ولما استدرت السنة كانت مكة قد استكملت عدتها، واجتمع إليها من المشركين ثلاثة ألف مقاتل من قريش والحلفاء والأحابيش، ورأى قادة قريش أن يستصحبوا معهم النساء حتى يكون ذلك أبلغ في استماتة الرجال دون أن تصاب حرماتهم وأعراضهم، وكان صاحب هذا الرأي نوفل بن معاوية قائد بني بكر بن عبد مناة بن كنانة حليف قريش ـ أسلم فيما بعد في عام الفتح واجزل له رسول الله ﷺ من غنائم الطائف الكثير من سبي هوزان ـ، ولم تكن النساء أقل تحمسًا لطلب الثأر، فخرجت هند بنت عتبة زوج أبي سفيان، يرافقها زمرة من صواحبها وقد وطدن العزم علىٰ سد الطريق في وجه كل جندي يريد الفرار، وكانت هند بنت عتبة امرأة مليحة، ذكية في غير رحمة، وترجع هذا الحملة علىٰ سيدنا محمد ﷺ إلىٰ جهودها، فقد رفضت أن يمسها زوجها أو حتى تثأر لموت أبيها وأخوها وعمها، وعملت دائبة علىٰ تعيير القرشين بهزيمة بدر، وكذلك الأخريات التي كن معها متعطشات إلىٰ الدماء مثلها، فكن يخطرن ويرقصن بين المقاتلين، لما تركوا مكة، ويرتلن التراتيل لصنم من أصنام الكعبة كانوا قد حملوه معهحم علىٰ ظهر بعير، وكان عدد هذه النسوة خمس عشرة امرأة.

وكان أبو سفيان بن حرب زعيم قريش قاد الناس بإمرأتين: هند بنت عتبة بن ربيعة وأميمة بنت سعد بن وهب بن أشيم بن كنانة، وخرج صفوان بن أمية بامرأتين: برزة بنت مسعود الثقفي، البغوم بنت المعزل من كنانة، وخرج طلحة بن أبي طلحة بامرأته سلافة بنت سعد بن شهيد وهي من الأوس وهي أم بنيه مسافع والحارث وكلاب والجلاس بن طلحة، وخرج عكرمة بن أبي جهل بامرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام، وخرج الحارث بن هشام بامرأته فاطمة بنت الوليد بن المغيرة، وخرج عمرو بن العاص بامرأته هند بنت منبه بن للحجاج - وهي أم ابنه الأكبر عبد الله بن عمرو بن العاص -، وخرجت خُناس بنت مالك إحدى نساء بني مالك بن حسل مع ابنها أبي عزيز كان أسيرًا في غزوة بدر وافتدى بمال كثير وهي أم الصحابي الجليل مصعب بن عمير من بني عبد الدار، وخرج الحارث بن سفيان بن عبد الأسد بامرأته رملة بنت طارق بن علقمة الكنانية، وخرج كنانة بن علي بن ربيعة بن عبد العزم بن عبد شمس بن عبد مناف بامرأته أم حكيم بنت طارق، وخرج سفيان بن عوُيف بامرأته قتُيلة بنت عمرو بن هلال، وخرج النعمان بن عمرو وأخوه جابر مسك الذئب بأمهما الدُّغنية، وخرج غراب بن سفيان بن عويف بامرأته[1] عمرة بنت الحارث بن علقمة الكنانية، وخرج سفيان بن عوف بعشرة من ولده.

واتبعوا الطريق الرئيسي للقوافل، الذي يقود مباشرة إلىٰ المدينة، وقد قادهم هذا الطريق إلىٰ الأبواء[2]، حيث دفنت السيدة آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ، وحاولت هند نبش قبرها، وبعثرة عظامها، ولكن أبا سفيان منعها، وقال لها: إن آمنة ماتت قبل أن يكون هناك أية فكرة عن الإسلام، وإنها ليست مسئولة بأية حال عن أفعال ابنها.

---

(١) خرج مع جيش رسول الله ﷺ إلىٰ خيبر نساء المقاتلين ليعتين بالجرحى وكان هذا يحدث لأول مرة في تاريخ الحروب. فقد كانت النساء يصاحبن الجيوش في الغزوات للترفيه أو لتحريض الرجال علىٰ القتال.

(٢) الأبواء: محل بين مكة والمدينة، وهي إلىٰ المدينة أقرب.

انصرف الفلاحون، في السهول الخصبة الممتدة شمال المدينة، إلىٰ الأعمال في حقولهم ورعي قطعانهم في وداعة وهدوء، ولم يدروا أن جند أبي سفيان قد نزلت من شعاب الجبال الغربية، حتى باغتهم بفضل ما اتخذته من حيطة شديدة لإخفاء مسيرها السريع. ورأى الفلاحون المسالمون الجند، وعلموا أنهم لن يقدروا علىٰ مقاومتهم، فولوا هاربين مسرعين لينقذوا أنفسهم من الموت المحقق، وليخبروا إخوانهم بقدوم أعداء الله.

ووقف أهل المدينة فوق أسوار حصنهم يشهدون منظرًا تقطعت له أكبادهم وأكباد الفلاحين أصحاب الأرض: إذ وقفت إبل المشركين كسراب من الجراد الهائل علىٰ الحقول الخضراء، بينما انقض المشاة علىٰ الأنعام يذبحونها، والفرسان علىٰ الغلات الناضجة يدوسونها، ويبعثرونها، وهم في ذلك إنما يقودهم ازدراء التجار لأعمال للفلاحة.

كانت الكراهية متأصلة بين أهل مكة وأهل يثرب لأنهما من سلالتين متعاديتين، وذلك أن بلاد العرب كانت تتألف من فئتين هما اليمنيون والمعديون، وينتمي أهل المدينة إلىٰ الفريق الأول الذي انطوت قلوب المكيين علي كراهيته واحتقاره، وداعية ذلك أن العرب كانوا يعدون الزراعة حطة، ويرون أن حياة الرعي والتجارة جديرة بالرجل الحر، وبينما أهل المدينة زراعا كان المكيون تجاراً.

وإزاء ذلك الخراب الذي جرى تحت أنظارهم، وجد المؤمنون أنفسهم، في وقت واحد، في أشد حالات العجز والغضب، إذ رأوا السهل الرحب وقد أصبح مجالًا لفرسان الأعداء، الذين لا قبل لهم بهم. وكان ملجؤهم الأخير فطنة رسول الله، فالتفتوا حوله يستشيرونه، وقد أبدوا استعداهم لكل تضحية، مهما عظمت، في سبيل إنقاذ حقولهم وأموالهم.

وعلى الرغم من أن قريشا لم نخف خروجها، فإنه من الظاهر أن رجال مخابرات رسول الله قد أخفقوا هذه المرة، فإنه ﷺ لم يسمع عن خطط أبي

سفيان حتى كان في طريقه فعلًا إلىٰ المدينة كما أسلفنا، وإن البلاغ قد جاءه من مكة نفسها فالعباس بن عبد المطلب[1] ـ عم رسول الله ـ الذى افتدى في بدر، أتيحت له فرص كثيرة لما كان منتظرًا في المدينة، ليرى حماسة المسلمين الدينية، فقويت عنده فكرته الأصلية، من أن ابن أخيه قد يصبح في يوم من الأيام شخصية بارزة ، وإنه لم يعتنق الإسلام بعد. ولم يستقر بالمدينة، ولكنه ينضم إلىٰ أيه ناحية لما تحدث المكيون في أمر إرسال هذا الجيش تحت قيادة أبي سفيان فلما رأى أن قريشا قد تجمعت وتأهبت للخروج بعث برسالة مستعجلة إلىٰ ـ أبن أخيه ـ سيدنا محمد ﷺ ضمنها جميع تفاصيل الجيش.

وأسرع رسول العباس بإبلاغ الرسالة، وهو رجل من بني غفار وشرط عليه أن يأتي المدينة في ثلاثة أيام، وجد في السير حتى أنه قطع الطريق بين مكة والمدينة ـ التي تبلغ مسافتها نحو خمسمائة كيلومتر ـ فراح الغفاري ينهب الأرض بفرسه حتى قدم المدينة في ثلاثة أيام، فلم يجد رسول الله ﷺ بها وعلم أنه بقباء ـ فوجد رسول الله علىٰ باب مسجد قباء ـ فدفع إليه بالكتاب ففك ختمه ودفعه إلىٰ الصحابي الخزرجي أبي بن كعب فغد يقراه، فأمره بالكتمان، وعاد مسرعًا إلىٰ المدينة، وتبادل الرأي مع قادة المهاجرين والأنصار.

وكان الجيش المكي فيه سلاح النقليات ثلاثة ألاف بعير كان بينهم من الثلاث ألاف مائة رجل من ثقيف، ومن سلاح الفرسان مائتا فرس[2]، جنبوها طول الطريق، وكان من سلاح الوقاية سبعمائة درع. وكانت القيادة العامة إلىٰ أبي سفيان بن حرب، وقيادة الفرسان إلىٰ خالد بن الوليد يعاونه عكرمة بن أبي

---

(١) كان النبي ـ ﷺ ـ يكرم عمه العباس بعد إسلامه ويعظمه ويجله، ويقول: هذا عمي وصنو أبي، ويروي عن الثقات أن العباس بن عبد المطلب لم يمر بعمر ولا بعثمان وهما ركبان إلا نزلا حتى يجوز العباس إجلالًا له ... اقرأ للمؤلف/ العباس بن عبد المطلب .. الناشر مركز الإسكندرية للكتاب ش ٤٦ الدكتور مصطفى مشرفة/ الأزريطة/ الإسكندرية.

(٢) زاد المعاد (٢/ ٩٢) وهو المعروف، وفي فتح الباري: مائة فرس (٧/ ٣٤٦).

جهل. أما اللواء إلىٰ بني عبد الدار.

وتحرك الجيش المكي بعد هذا الإعداد التام نحو المدينة، وكانت التارات القديمة والغيظ الكامن يشعل البغضاء في القلوب، ويشف عما سوف يقع من قتال مرير.

وظلت المدينة في حالة استنفار عام لا يفارق رجالها السلاح حتى وهم في الصلاة، إستعدادًا للطوارئ وقامت جماعة من الأنصار ـ فيهم سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وسعد بن عبادة[(١)] ـ الجد الأكبر لكاتب هذه السطور الأنصاري الخزرجي/ أحمد عزوز أحمد محمد مصطفى الفرخ ـ بحراسة رسول الله ﷺ، فكانوا يبيتون علىٰ بابه وعليهم السلاح. وقامت علىٰ مداخل المدينة وأنقابها جماعات تحرسها، خوفًا من أن يؤخذوا علىٰ غرة.

وقامت دوريات من المسلمين ـ لاستكشاف تحركات العدو ـ تتجول حول الطرق التي يحتمل أن يسلكها المشركون للإغارة علىٰ المسلمين.

في حين واصل جيش قريش سيره حتى اقترب من المدينة، فسلك وادي العقيق، ثم انحرف منه إلىٰ ذات اليمين حتى نزل قريبًا بجبل أحد. في مكان يقال له عَينْين[(٢)]، في بطن السَّبْخة من قناة علىٰ شفير الوادى ـ الذى يقع شمالي المدينة ـ بجنب أحد، فعسكر هناك يوم الجمعة السادس من شهر شوال سنة ثلاث من الهجرة.

ولجبل أُحُد[(٣)] أهمية تاريخية، ففيه دفن هارون، وفي أعلى قننه مقبرة حجرية تضم الرجل الذي لولاه لما تمكن موسى الألثغ من تهديد فرعون أبدا. وأُحُد مكان رهيب، يتفق مع التصادم الدموي الذى سيقع عنده، وإنه ليس

---

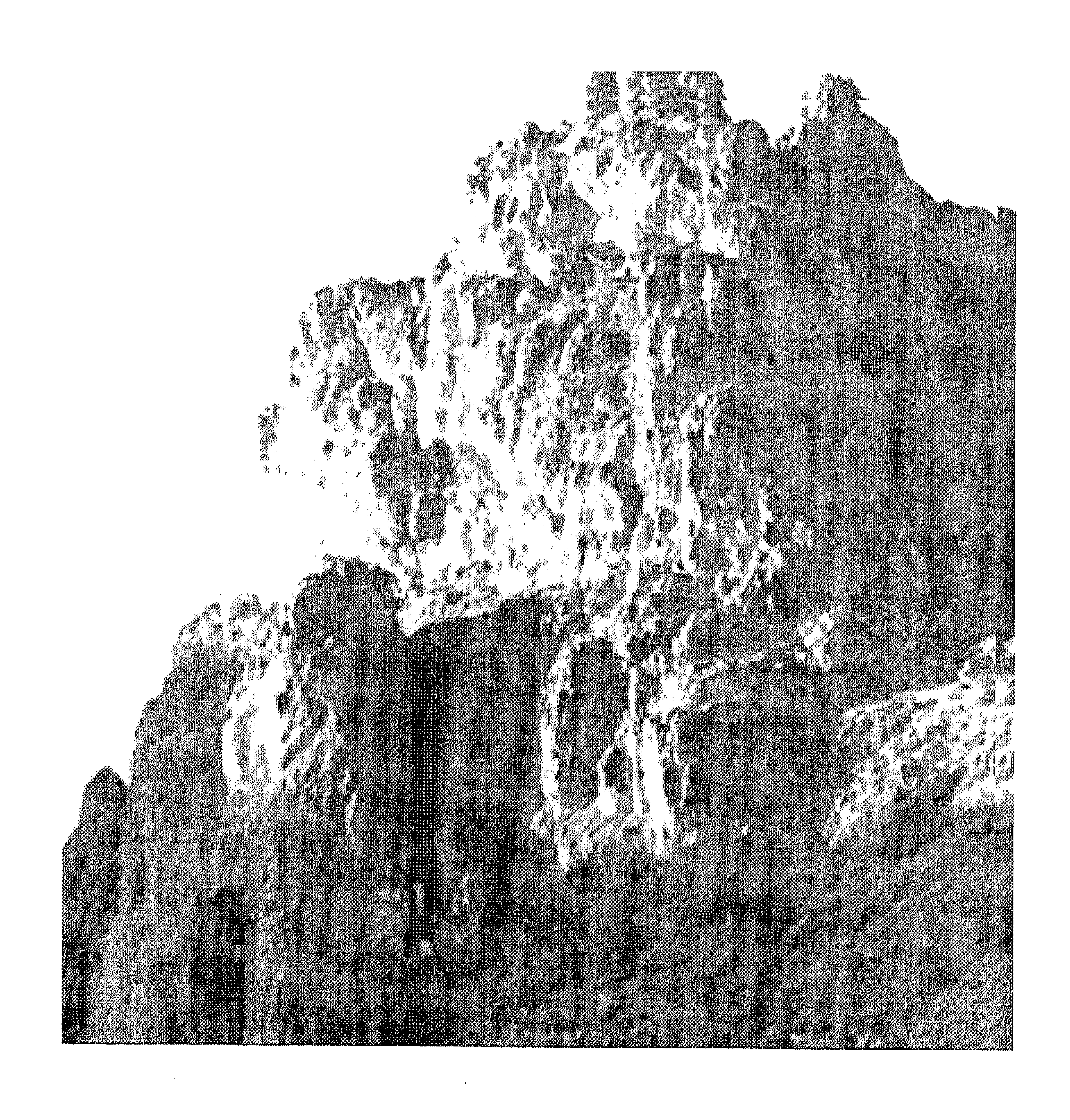
(١) اقرأ للمؤلف سعد بن عبادة، قيس بن سعد بن عبادة/ الناشر/ مركز الإسكندرية للكتاب/ الأزاريطة .

(٢) عينين، ويقال "عينان" وهو هضبة جبل أحد بالمدينة ويقال اسم لجبلين عند أحد، ويسمى يوم أحد يوم عينين.

(٣) أُحُد بضمتين ومهملتين.

في الواقع جبلا، ولكنه صخرة عظيمة ناتئة في الصحراء، لا عشب فيها، ولا يقطنها حيوان، ولا يسمع هناك تغريد طيور، وإن علامة الحياة الوحيدة، هي بعض الزواحف القليلة ذات الظهور الشائكة، وكان "أحد" منعزلا، يكاد يحترق، وهو يحملق في الفضاء الذى ستهجم منه قريش، ومساحته من الشرق إلىٰ الغرب ستة كيلو مترات، عرضه يقارب الكيلو متر، يتميز بهضابه المتتابعة الارتفاع وحمرة لونه التي تسرى قلوب الناظرين إليه، يقال أنه سمى "أحد" لتوحده وتفرده عن الجبال الأخرى . ولأنه محاط بالسهول والأُودية . وانه نسبة لأول من سكنه وكان يدعى "أحد" لكن المرجح والأكيد أنه يرمز لوحدانية الله الواحد الأحد، عنه قيل رسولنا الكريم: "أحد" جبل يحبنا ونحبه وهو علىٰ باب من أبواب الجنة.

***



جبل أُحد

هيئة أركان حرب لأخذ خطة الدفاع:

وتعلمت المخابرات العامة والعسكرية ـ من مباغة قريش للمدينة كما ذكرنا سلفا ـ ونقلت للقائد الأعلى لجيش المسلمين سيدنا محمد ﷺ أخبار جيش قريش خبرًا بعد خبر حتى الخبر الأخير عن معسكره، وحينئذ عقد رسول الله ﷺ مجلسًا استشاريًا عسكريًا أعلى، تبادل فيه الرأي لاختيار الموقف، وأخبرهم عن رؤيا رآها ، قال: "أني قد رأيت والله خيرًا، رأيت بقرًا تذبح، ورأيت في ذباب سيفى ثلمًا، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة، فأولتها بالمدينة... فأما البقر فهي ناس من أصحابي يقتلون ، وأما الثلم الذي رأيت في ذباب سيفى فهو رجل من أهل بيتي يقتل، فإن رأيتم أن. تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها".

ثم قدم رأيه إلىٰ صحابته ألا يخرجوا من المدينة وأن يتحصنوا بها، فإن أقام المشركون بمعسكرهم أقاموا بشر مُقام وبغير جدوى، وإن دخلوا المدينة قاتلهم المسلمون علىٰ أفواه الأزقة، والنساء من فوق البيوت، وكان هذا هو الرأي. ووافقه علىٰ هذا الرأي عبد الله بن أبي سلول ـ رأس المنافقين ـ وكان قد حضر المجلس بصفته أحد زعماء الخزرج. ويبدوا أن موافقته لهذا الرأي لم تكن لأجل أن هذا هو الموقف الصحيح من حيث الوجهة العسكرية، بل ليتمكن من التباعد عن القتال دون أن يعلم بذلك أحد، وشاء الله سبحانه وتعالىٰ أن يفتضح هو وأصحابه ـ لأول مرة ـ أمام المسلمين وينكشف عنهم الغطاء الذي كان كفرهم ونفاقهم يكمن وراءه، ويتعرف المسلمون في أحرج ساعاتهم علىٰ تلك الأفاعي التي كانت تتحرك تحت ملابسهم وأكمامهم.

فقد بادر جماعة من فضلاء الصحابة ممن فاتهم الخروج في غزوة بدر ومن غيرهم، فأشاروا علىٰ النبي ﷺ بالخروج، وألحوا عليه في ذلك حتى قال قائلهم: يا رسول الله، كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله سبحانه وتعالى، فقد ساقه

إلينا وقرب المسير، أخرج إلىٰ أعدائنا لا يرون أنا جُبُنًا عنهم، وقالوا كذلك: "لو قعدنا خلف الأسوار، ورمينا العدو الذي قطع هذه الطريق لقتالنا بالحجارة، لأصبحنا سخرية العرب جميعًا".

وكانت خطة رسول الله الحربية خطة يعرفها أهل المدينة. غير أنهم، وقد أسلموا وانتصروا في بدر، تغير حالهم، فأصبحوا يرون أنفسهم قومًا لا يقهرون، فضاقوا ذرعًا بتخريب الأعداء لحقولهم. وكذلك كان المؤمنون من الذين لم يشهدوا بدرًا يتحرقون شوقًا إلىٰ إظهار بسالتهم بدورهم، ولم يكن شرًا لهم التعرض للاستشهاد الذي تهفو نفوسهم مخلصة إليه.

وكان في مقدمة هؤلاء المتحمسين حمزة[1] بن عبد المطلب بن هاشم عم رسول الله ﷺ - الذي كان قد أبلى أحسن بلاء في معركة بدر - فقد قال للنبي ﷺ: والذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم طعامًا حتى أجالدهم بسيفي خارج المدينة [2] غير أن رسول الله ﷺ لم يرد أن يقاوم الرغبة الملحة التي أبداها مخلصو المؤمنين، وما كان ليكبت حماستهم، فعزم علىٰ الأخذ برأيهم الذى أبته نفسه في تبصرها وفطنتها. وأستقر الرأي علىٰ الخروج من المدينة. واللقاء في الميدان السافر.

الجيش الإسلامي يخرج إلى ساحة القتال:

ثم صلى النبي ﷺ بالناس يوم الجمعة، فوعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد، وأخبر أن لهم النصر بما صبروا، وكان مالك بن عمرو الأنصاري أحد بني النجار قد مات، فخرج رسول الله ﷺ إلىٰ موضع الجبان - المقبرة - فصلى عليه فلما صلى العصر بالناس دخل بيته ليرتدي لأمته[3].

وأعد الجند عدتهم من جانبهم، ثم أحاطت جموعهم المحتشدة ببيت

(١) اقرأ للمؤلف حمزة بن عبد المطلب/ الناشر/ مركز الإسكندرية للكتاب/ ش مصطفى مشرفة/ الأزرايطه/ الإسكندرية.

(٢) السيرة الحلبية (٢/ ١٤).

(٣) اللأمة - بسكون الهمزة - الدرع أو السلاح كله.

الرسول. ففرح الناس بذلك والبساه صاحباه أبو بكر وعمر، فعمماه، الذي ما لبث أن خرج لهم مظهرًا درعه، لابسًا خوذته، متقلدًا سيفه، ملقيًا بالترس علىٰ ظهره، وممسكًا برمحه. ولكن المؤمنين حينما كانوا ينتظرون النبي، تبصروا في أمرهم، فندموا علىٰ ما اتخذوه في عجلتهم من تدابير، وقد قال لهم سعد بن معاذ ـ زعيم الأنصار الأوس وعم كاتب هذه السطور الأنصاري الخزرجي/ أحمد عزوز أحمد الفرخ ـ

وأسيد بن حضير: أستكرهتم رسول الله ﷺ علىٰ الخروج فردوا الأمر إليه، فندموا جميعًا علىٰ ما صنعوا، فلما خرج قالوا له: يا رسول الله ، ما كان لنا أن نخالفك فأصنع ما شئت، إن أحببت أن نمكث بالمدينة فافعل . فقال رسول الله ﷺ: «**ما ينبغى لنبي إذا لبس لأَمَته** ـ وهي الدرع ـ **أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه**»[1].

وقد خرج الرسول علىٰ مضض، وعزم علىٰ الخروج، فتفرقت الكلمة بيننا كانت الكلمة يوم غزوة بدر واحدة لكأنما قد أجتمع المسلمون يوم ذاك علىٰ قلب رجل واحد.

ترى هل ينتصرون في هذه الغزوة كما انتصروا يوم بدر والنصر معقود بالعزم والجد والبصيرة في الحرب واتفاق الكلمة؟

وجاء جعيل بن سراقة وهو يتنفس مكروبًا فقال:

ـ يا رسول الله قيل لي إنك تقتل غدًا.

فضرب النبي ـ ﷺ ـ بيده إلىٰ صدره وقال:

ـ أليس الدهر كله غدًا؟

ثم دعا بثلاثة رماح فعقد ثلاثة ألوية، فدفع لواء الأوس إلىٰ أسيد بن حضير، ودفع لواء الخزرج إلىٰ الحباب بن المنذر بن الجموح، ودفع لواء المهاجرين

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٥١)، والنسائي والحاكم وابن إسحاق، وذكره البخاري في الاعتصام في ترجمة باب ٢٨.

إلىٰ علي بن أبي طالب.

واستخلف علىٰ المدينة عبد الله[١] بن أم مكتوم علىٰ الصلاة بمن بقى في المدينة.

وكان الجيش متألفًا من ألف مقاتل فيهم مائة دارع، ولم يكن فيهم من الفرسان أحد[٢] وأذن بالرحيل، وركب فرسه وتقلد القوس وأخذ بيده قناة والمسلمون متلبسون السلاح، فتحرك الجيش نحو الشمال، وخرج السعدان أمام رسول الله ﷺ يعدوان، سعد بن معاذ وسعد بن عبادة كل واحد منهما دارع، والناس عن يمينه وشماله حتى سلك علىٰ البدائع، ثم زقاق الحُسنى حتى أتى الشيخين، وهما أطمان كانا في الجاهلية فيهما شيخ أعمى وعجوز عمياء يتحدثان، فسمي الاطمان الشيخين.

ولما جاوز ثنية الوداع[٣] رأى كتيبة حسنة التسليح منفردة عن سواد الجيش، فسأل عنها، فأخبر أنهم اليهود من حلفاء الخزرج[٤] يرغبون المساهمة في القتال ضد المشركين فسأل: «هل أسلموا؟»

فقالوا: لا؛ فأبى أن يستعين بأهل الكفر علىٰ أهل الشرك.

وردهم رسول الله ﷺ.

---

(١) اقرأ للمؤلف من مجهولي الصحابة عبد الله بن أم مكتوم/ الناشر/ مركز النشر للكتب/ ش مصطفى مشرفة/ الأزريطة/ الإسكندرية.

(٢) قال ابن القيم في الهدى ٢/٩٢: وخمسون فارسًا. قال ابن حجر: هو غلط بين. وقد جزم موسى بن عقبة بأنه لم يكن معهم في أحد شيء من الخيل، ووقع عند الواقدي: كان معهم فرس لرسول الله ﷺ وفرس لأبي بردة (فتح الباري ٧/٣٥٠).

(٣) وسميت ثنية الوداع لأن المسافر من المدينة كان يُشَيَّع إليها ويودع عندها قديمًا، وهي موضع بين مكة والمدينة.

(٤) روى ذلك ابن سعد، وفيه: أنهم من بني قينقاع (٢/ ٣٤) ومعلوم أن بني قينقاع كان قد تم إجلاؤهم عقب غزوة بدر. وقد غنم منهم رسول الله سلاحًا كثيرًا، وأخذ من سلاحهم ثلاث قسى، منها القوس الكتوم التي لا يسمع لها صوت إذا رمي بها، وهي التي رمى بها ﷺ يوم أحد، وأخذ ﷺ درعين، منها الدرع المسماه بالسغديه، ويقال إنها درع داود التي لبسها حين قتل جالوت، وأخذ ﷺ ثلاثة أرماح وثلاثة أسياف، وقبض كذلك أموالهم، وكانوا صاغة لا أرض لهم.

وأحس عبد الله بن أبيّ بن سلول مهانة وطفق يفكر في ذلك الرد وتراوده فكرة أن ينخذل برجاله عن الجيش احتجاجًا علىٰ ما فعله رسول الله ﷺ بحلفائه!

استعراض الجيش:

ومضى رسول الله ﷺ بالجيش وعرض عسكرة، فعرض عليه غلمان منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد بن حارثة، والنعمان بن بشير، وزيد بن أرقم، والبراء بن عازب، وأسيد بن ظهير، وعَرابَّة بن أوس، وأبو سعيد الخدري، وسَمُرة بن جُندب، ورافع بن خديج، وعمرو بن حزام، وزيد بن حارثة الأنصاري، وسعد بن حَبَّة، فردهم رسول الله ﷺ فالتفت ظهير بن رافع إلىٰ رافع بن خديج ثم قال: يا رسول الله إنة رام يعينني.

وجعل رافع يتطاول وعليه خفان له، فأجازه رسول الله.

وذلك أن رافع بن خديج كان ماهرًا في رماية النبل.

فلما أجازه قال سُمرة بن جندب لمرى بن سنان الحارث وهو زوج أمه: يا أبيه، أجاز رسول الله ﷺ رافع بن خديج وردني وأنا أصرع رافعا!

فقال مرى: يا رسول الله رددت ابني وأجزت رافع بن خديج وابني يصرعه!

فقال رسول الله: «**تصارعا**».

فصرع سمرة رافعًا فأجازه رسول الله ﷺ. ليت فتيان هذه الأيام يتعلما من هذا الدرس في الفطنة والتسابق في مجاهدة النفس للإسلام لرفعته ونصرته بدلًا من أشياء أخرى. وكذلك هو درس عملي ونظري للأباء والأبناء في التحايل علىٰ فعل الخيرات.

وأقبل عبد الله بن أبي سلول فنزل ناحية العسكر، فجعل حلفاؤه، ومن معه من المنافقين يقولون لابن أبي:

أشرت عليه بالرأي ونصحته وأخبرته أن هذا رأي من مضى من آبائك، وكان ذلك رأيه مع رأيك فأبى أن يقبله وأطاع هؤلاء الغلمان الذين معه.

فصادفوا من ابن أبي نفاقًا وغشًا.

المبيت بين أحد والمدينة:

وغابت الشمس وأدركهم المساء، فصلى المغرب، ثم صلى العشاء، وبات هناك، ورسول الله ﷺ نازل في بني النجار[١]، واختار خمسين رجلًا لحراسة المعسكر يتجولون حوله، وكان قائدهم محمد بن مسلمة الأنصاري الأوسي[٢]، بطل سرية مقتل كعب بن الأشرف، وكان يقال له فارس رسول الله، وتولى ذكوان بن عبد قيس حراسة النبي ﷺ خاصة، حتى إذا كان آخر الليل سار.

ورأى المشركون رسول الله ﷺ حيث أدلج ونزل بالشيخين، فجمعوا خيلهم وظهرهم واستعملوا على حرسهم عكرمة بن أبي جهل في خيل من المشركين . وباتت صاهلة خيلهم لا تهدأ تدنو طلائعهم حتى تلصق بالحرة فلا تصعد فيها حتى ترجع خيلهم ويهابون موضع الحرة[٣] ومحمد بن مسلمة وكان السحر فقال رسول الله ﷺ: أين الأدلاء؟ من رجل يدلنا على الطريق ويخرجنا على القوم من كثب؟ فقام أبو خثيمة الحارثي فقال: أنا يا رسول الله.

فخرج برسول الله ﷺ وركب فرسه فسلك به في بني حارثة، ثم أخذ في الأموال حتى مر بحائط[٤] مربع بين قيظي وكان رجلًا منافقًا ضرير البصر . فلما دخل رسول الله ﷺ حائطه قام يحثي التراب في وجوه المسلمين ويقول: إن كنت رسول الله فلا تدخل حائطي فلا أحله لك. فضربه سعد بن زيد

---

(١) كامن دار بني النجار، أوسط دور الأنصار وأفضلها، وهم أخوال عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، جد رسول الله ﷺ.

(٢) كان يحرس رسول الله ﷺ ببدر سعد بن معاذ وذكوان بن عبد الله، ويوم أحد محمد بن مسلمة، وحرسه يوم الخندق الزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص، وعباد بن بشر، وحرسه ليلة خيبر أبو أيوب الأنصاري. وحرسه بلال بن رباح بوادي القرى، فلما أنزل الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧] ترك الحرس.

(٣) الحرة: سهل منبسط ناري الرمال، تتخلله الصخور الحادة، يمتد إلى الجنوب الغربي للمدينة المنورة، وكذلك هي كل أرض ذات حجارة سوداء كأنها محترقة من الحر.

(٤) بحائط: حديقة.

الأشهلي بقوس في يده فشجه في رأسه فنزل الدم، فغضب له بعض بني حارثة ممن هو علىٰ مثل رأيه فقال: هي عداوتكم يا بني عبد الأشهل لا تدعونها أبدًا. فقال أسيد بن حضير: لا والله ولكن نفاقكم. والله لولا أني لا أدري ما يوافق النبي ﷺ لضربت عنقه وعنق من هو علىٰ مثل رأيه . فأراد المؤمنون أن يعاقبوا ذلك المنافق علىٰ وقاحته، غير أن سيدنا محمد ﷺ منعهم قائلًا: «**إن الرجل ليس أعمى البصر فحسب، بل قد عمي قلبه عن الحق أيضًا**».

وسار المسلمون في ذلك الطريق الملتوي المختفي تحت غصون الأشجار المتشابكة الكثيفة، فبينا هو في مسيره إذ ذب فرس أبي بردة بن نيار بذنبه فأصاب كلاب سيفه فسل سيفه. فقال رسول الله ﷺ: يا صاحب السيف شم "اغمد" سيفك، فإني إخال السيوف ستسل اليوم فيكثر سلها.

ولبس رسول الله ﷺ من الشيخين درعًا واحدة، حتى وصل ومعه المسلمون إلىٰ جبل أحد عند بروز الشمس، دون أن يثيروا انتباه أعدائهم. فلبس درعا أخرى ومغفرا وبيضة فوق المغفر[1]. فلما نهض رسول الله ﷺ من الشيخين زحف المشركون علىٰ تعبية . ونزل رسول الله والذين معه بالشرط حائط بين المدينة وأحد . وحانت الصلاة وهو يرى المشركين.

وفي تلك الآونة ارتفع الصياح من الجانب الآخر للسهل: لقد بصر المكيون بالمؤمنين وقت أن وقعت عليهم أشعة الشمس المشرقة، فأظهرتهم - جليًا - في هالة من نور، فوق سفوح جبل أحد الصخرية.

فأمر بلالًا فأذن، وأقام وصلى[2] بأصحابه الصبح صفوفًا وهناك تمرد عبد الله بن أبي المنافق، فانسحب بنحو ثلث العسكر - ثلاثمائة مقاتل - قائلا: ما ندري علام نقتل أنفسنا؟ ومتظاهرًا بالاحتجاج بأن رسول الله

---

(١) المغفر: زرد ينسج من الدروع علىٰ قدر الرأس، يلبس تحت القلنسوة.
(٢) كان رسول الله ﷺ، عندما يصلي قائمًا كأن وجهه ورق مصحف.


محمد
صلى الله عليه وسلم

ترك رأيه وأطاع غيره. ولا شك أن سبب هذا الانعزال لم يكن هو ما أبداه هذا المنافق من رفض رسول الله ﷺ رأيه، وإلا لم يكن لسيره مع الجيش النبوي الإسلامي إلىٰ هذا المكان معنى.

ولو كان هذا هو السبب لانعزل عن الجيش منذ بداية سيره، بل كان هدفه الرئيسي من هذا التمرد في ذلك الظرف الدقيق ـ أن يحدث البلبة والاضطراب في جيش المسلمين علىٰ مرأى ومسمع من عدوهم، حتى ينحاز عامة الجيش عن النبي ﷺ، وتنهار معنويات من يبقى معه، بينما يتشجع العدو، وتعلو همته لرؤية هذا المنظر، فيكون ذلك أسرع إلىٰ القضاء علىٰ النبي ﷺ وأصحابه المخلصين، ويصفو بعد ذلك الجو لعودة الرياسة إلىٰ هذا المنافق وأصحابه.

وفي هذا تمحيص للمؤمنين، والتمحيص يأتي في الشيء الواحد، والفرق بين التمييز والتمحيص هو: أن التمييز يأتي في شيئين، كالتمييز بين الإيمان والكفر، أما التمحيص فيأتي للمؤمن ويعركه عركًا يبين منه مقدار ما هو عليه من الثبات واليقين.

إن التمحيص يكون للفئة الواحدة، وكأن الله يمحص تلك الفئة المؤمنة، لأنها ستكون مأمونة علىٰ حماية هذه العقيدة إلىٰ أن تقوم الساعة . فلا يمكن أن يتولى هذا الأمر إلا أناس لهم قلوب ثابتة ورباطة جأش وهمة دونها زخارف الدنيا كلها .. هذا هو التمحيص.

وبعد ذلك يعالج الحق سبحانه وتعالىٰ النفس البشرية علىٰ أوضاعها البشرية، فليس لمجرد أنهم آمنوا قد انصبت فيهم كل عقائد الإيمان، بل كل مناسبة تمر عليهم يعطي الحق سبحانه وتعالىٰ فيها لفتة من العقيدة، لتكون بعد ذلك الأمر العقدي كله.

وكاد المنافق ينجح في تحقيق بعض ما كان يهدف إليه، فقد هامت طائفتان ـ بنو حارثة من الأوس، وبنو سلمة من الخزرج ـ، قيل: إنهما اختلفا في الخروج في الغد والمقام حتى هَما بالفشل، والفشل الجبن، ولكن الله سبحانه وتعالىٰ

تولاهما، فثبتتا بعد ما سرى فيهما الاضطراب، وهمتا بالرجوع والانسحاب، وعنهما يقول الله تعالىٰ: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٢٢] .

وقيل: إن عبد الله بن أبي سلول حين انخزل ومن معه من قومه أهل الريب والنفاق، حاول أن يغري بني سلمة وبني حارثة بالرجوع معه وعدم لقاء المشركين، فهما به، ولم يفعلا، لأن الله تعالىٰ قال: "والله وليهما"، أي: عاصمهما، أو: أن الله ناصرهما.

وحاول عبد الله بن عمرو بن حرام ـ والد جابر بن عبد الله ـ تذكير هؤلاء المنافقين بواجبهم في هذا الظرف الدقيق ـ أذكركم الله ودينكم ونبيكم وما شرطتم الله أن تمنعوه مما تمنعوه منه أنفسكم وأولادكم ونسائكم ـ فتبعهم وهو يوبخهم ويحضهم علىٰ الرجوع، ويقول: تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا، قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لم نرجع وإن أطعتني يا أبا جابر لترجعن فإن أهل الرأي والحجى قد رجعوا، ونحن ناصروه في مدينتنا وفد خالفنا وأشرت عليه بالرأي فأبى إلا طواعية الغلمان. فلما أبى عبد الله بن أبي أن يرجع ودخل هو وأصحابه أزقة المدينة، فرجع عنهم أبو جابر: أبعدكم الله أعداء الله! إن الله سيغني النبي والمؤمنون عن نصركم.

فلما رجع عبد الله بن أبي[1] بمن معه قالت بنو حارثة من الأوس: نقتلهم.

---

(١) وقال البكائي، قال ابن إسحاق: وكان عبد الله بن أبي بن سلول، كما حدثني الزهرى، له مقام يقومه كل جمعة لا يتركه شرفا له في نفسه وفي قومه. فكان إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة يخطب، قام فقال: أيها الناس، هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به. فعزروه وانصروه واسمعوا له وأطيعوه. ثم يجلس. حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع ورجع، قام يفعل كفعله، فأخذ المسلمون ثيابه من نواحيه، وقالوا: اجلس، أي عدو الله، لست لذلك بأهل، وقد صنعت ما صنعت . فخرج يتخطى رقاب الناس ويقول: والله لكأني قلت هُجرًا أن قُمت أشد أمره . فلقيه رجل من الأنصار بباب المسجد فقال : مالك؟ ويلك! قال: قمت أشد أمره فوثب عليّ رجال من أصحابه يجبذونني ـ الجبذ: الجذب . يقال جبذه جبتا كجذبه جذبًا، أي شده وحوله عن موضعه ـ ويعنفونني، لكأنما قلت هُجرًا . قال: ويلك، ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ. قال: والله ما أبغي أن يستغفر لي.

وعلى هذا فليس هذا المنافق صحابي، كذلك ليس كل من رأى النبي ﷺ يعتبر صحابي =

وقالت بنو سلمة من الخزرج: لا نقتلهم وهما أن يقتلان فأنزل الله تعالىٰ: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾﴾ [النِّساء: ٨٨] ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [آل عمران: ١٢٢].

بقية الجيش الإسلامي إلى أحد:

وبعد هذا التمرد والانسحاب قام النبي ﷺ ببقية الجيش - وهم سبعمائة مقاتل - ليواصل سيره نحو العدو، ولم يكن مع المسلمين يومئذ إلا فرسان: فرس لرسول الله ﷺ، وفارس لأبي بردة، ثم خطب خطبة حثهم فيها علىٰ الجهاد: "أيها الناس أوصيكم بما أوصاني به الله في كتابه من العمل بطاعته، والتناهي عن محارمه، وإنكم اليوم بمنزل أجر وذخر لمن ذكر الذى عليه ثم وطن نفسه علىٰ الصبر واليقين والجد والنشاط، فإن جهاد العدو شديد كريه، قليل من تصبر عليه إلا من عزم له علىٰ رشده.

إن الله مع من أطاعه وإن الشيطان مع من عصاه، فاستفتحوا أعمالكم

= وهناك مسلمون رأوا الرسول الكريم ثم ارتدوا أمثال كعبيد الله بن جيش، وكذلك ابن خطل، وربيعة بن أمية بن خلف الجمحي وهو ممن أسلم في الفتح وشهد حجة الوداع وحدث عن النبي ﷺ بعد موته ثم لحقه الخذلان والعياذ بالله في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلحق بالروم وتنصر بسبب شيء أغضبه، وقد أخرج له الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، وإخراجه له مشكل، ولعله لم يقف علىٰ قصة ارتداده، فينبغي أن يزاد في التعريف ومات علىٰ ذلك.

وعبد الله بن سلول .. اسمه هو: عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم ابن عوف بن الخزرج الأنصاري. وسالم يقال له: "الحبلي" لعظم بطنه. وكان معروفًا بابن سلول، وكانت سلول امرأة من خُزاعة، وهي أم أبي.

وكانت هناك علاقة بين عبد الله بن أبي وأبي عامر الراهب.. وكان عبد الله بن أبي هو ابن خالة أبي عامر الراهب الذى أطلق عليه النبي ﷺ لقب الفاسق بدل الراهب. ذلك أن أبا عامر هذا كان يذكر النبي ﷺ في الجاهلية ويؤمن به لما كان يقرؤه عن صفاته وأخباره في الكتب القديمة. وكان قد تأله في الجاهلية وهجر الأصنام ولبس المسوح وترهب، فلما بعث الله تعالىٰ نبيه ﷺ حسده وبغى وأقام علىٰ كفره، وشهد مع المشركين قتال النبي ﷺ ببدر فسماه النبي ﷺ الفاسق ..

وجد عبد الله بن أبي في ابن خالته عضدا وساعدا علىٰ الكيد للإسلام.

وقد هلك رأس المنافقين هذا عبد الله بن أبي بن سلول بعد مرجع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك سنة ٩هـ، فاستغفر له رسول الله ﷺ، وصلى عليه بعد أن حاول عمر بن الخطاب منعه عن الصلاة عليه، وقد نزل القرآن الكريم بعد ذلك بموافقة عمر.. ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٨٤] .

بالصبر علىٰ الجهاد. والتمسوا بذلك ما وعدكم الله. وعليكم بالذي آمركم به فإني حريص علىٰ رشدكم. إن الاختلاف والتنازع والتثبيط من أمر العجز والضعف، وهو ما لا يحبه ولا يعطي عليه النصر والظفر.

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة إلا صبيًا أو امرأة أو مريضا أو عبدا مملوكا. ومن استغنى عنها استغنى الله عنه والله غني حميد. ما أعلم من عمل يقربكم إلىٰ الله تعالىٰ إلا وقد أمرتكم به، ولا أعلم من عمل يقربكم من النار إلا وقد نهيتكم عنه. وإنه قد نفث وألقى في روعي الروح الأمين أنه لن تموت نفس حتى تستوفى أقصى رزقها ولا ينقص منه شيء وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله ربكم وأجملوا في طلب الرزق لا يحملكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية الله والمؤمن من المؤمن كالرأس من الجسد إذا اشتكى تداعى إليه سائر الجسد والسلام عليكم».

وجعل رسول الله ظهر جيشه إلىٰ أحد وقال:

«لا يقاتلن أحد منكم حتى نأمره بالقتال».

وانصرف عبد الله بن عمرو بن حرام من عند عبد الله بن أبي سلول وقد يئس من رجوعه ومن معه لمؤازرة رسول الله ﷺ، وظل يعدو حتى لحق برسول الله ﷺ وهو يسوي الصفوف وسرحت قريش الإبل والخيل في زروع كانت بقرب أحد، فقال رجل من الأنصار حين نهى رسول الله ﷺ عن القتال: أترعى زروع بني قيلة[1] ولما نضارب!

خطة الدفاع:

وهناك عبأ رسول الله ﷺ جيشه وأعده للقتال، وهيأهم صفوفا للقتال، وجعل الجبل خلف ظهره، فلم يكن ليخشى حركة دائرية من الأعداء، غير أنه ـ

(١) بنو قيلة هم الأوس والخزرج، وقيلة أم من أمهات الأنصار نسبوه إليها. وهي قيلة بنت الأرقم بن عمرو بن جفنة، وقيل بنت كاهن بن عذرة من قضاعة . وكانت زوجة لحارثة بن ثعلبة ولهما ولدان أحدهما أوس والآخر خزرج.

ليزداد اطمئنانًا - جعل فوق الجبل خمسين من امهر رماته، واستعمل عليهم عبد الله بن جبير الأنصارى الأوسي البدري - هو ابن النعمان بن أمية بن امرئ القيس، وهو البرك بن ثعلبة بن عمرو بن عوف، شهد عبد الله العقبة ثم شهد بدر واستشهد يوم أحد، وكان يومئذ معلمًا بثياب بيض، وكان يومئذ أميرا علىٰ الرماة، وهو أخو بني عمرو بن عوف - وأمرهم بالتمركز علىٰ جبل يقع علىٰ الضفة الشمالية من وادي قناة - وعرف فيما بعد بجبل الرماة - جنوب شرق معسكر المسلمين علىٰ بعد حوالي مائة وخمسين مترًا من مقر الجيش الإسلامي والهدف هو ما أبداه رسول الله ﷺ في كلماته التي ألقاها إلىٰ هؤلاء الرماة، فقد قال لقائدهم: «**انضح الخيل عنا بالنبل، لا يأتونا من خلفنا، إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك، لا نؤتين من قبلك**»[1] وقال للرماة: «**احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا**»[2] وفي رواية البخاري أنه قال: «**إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم ووطأناكم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم**»[3].

بتعين هذه الفصيلة في الجبل مع هذه الأوامر العسكرية الشديدة سد رسول الله ﷺ الثلمة الوحيدة التي كان يمكن لفرسان المشركين أن يتسللوا من ورائها إلىٰ صفوف المسلمين، ويقوموا بحركات الالتفاف وعملية التطويق.

أما بقية الجيش فجعل علىٰ الميمنة المنذر بن عمرو الساعدى، وجعل علىٰ الميسرة الزبير بن العوام، يسانده المقداد بن الأسود، وكانت راية رسول الله ﷺ مرطا[4] أسود كان لعائشة، وراية الأنصار يقال لها العقاب،

---

(١) ابن هشام (٢/ ٦٥، ٦٦).

(٢) روى ذلك أحمد والطبراني والحاكم عن ابن عباس. انظر: فتح الباري (٧/ ٣٥٠).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الجهاد (١/ ٤٢٦).

(٤) المرط: كساء من صوف أوخز أو كتان يؤتزر به، وقيل كل ثوب غير مخيط.

وكان إلىٰ الزبير[١] مهمة الصمود في وجه فرسان خالد بن الوليد، وجعل في مقدمة الصفوف نخبة ممتازة من شجعان المسلمين ورجالاتهم المشهورين بالنجدة والبسالة، والذين يوزون بالآلاف.

ولقد كانت خطة حكيمة ودقيقة جدًا، تتجلى فيها عبقرية قيادة النبي القائد ﷺ العسكرية، وأنه لا يمكن لأي قائد مهما تقدمت كفاءته أن يضع خطة أدق وأحكم من هذا، فقد احتل أفضل موضع من ميدان المعركة، مع أنه نزل فيه بعد العدو، فإنه حمي ظهره ويمينه بارتفاعات الجبل، وحمي ميسرته وظهره ـ حين يحتدم القتال ـ بسد الثملة الوحيدة التي كانت توجد في جانب الجيش الإسلامي، واختار لمعسكره موضعًا مرتفعًا يحتمي به ـ إذا نزلت الهزيمة بالمسلمين، ولا يلتجئ إلىٰ الفرار، حتى يتعرض للوقوع في قبضة الأعداء المطاردين وأسرهم، ويلحق مع ذلك خسائر فادحة بأعدائه إن أرادوا احتلال معسكره وتقدموا إليه، وألجأ أعداءه إلىٰ قبول موضع منخفض يصعب عليهم جدًا أن يحصلوا علىٰ شيء من فوائد الفتح إن كانت الغلبة لهم، ويصعب عليهم الإفلات من المسلمين المطاردين إن كانت الغلبة للمسلمين، كما أنه عوض النقص العددي في رجاله باختيار نخبة ممتازة من أصحابه الشجعان البارزين.

وهكذا تمت تعبئة الجيش النبوي الإسلامي صباح السبت الموافق السابع من شهر شوال سنة ٣ هجرية/ الموافق يناير/ سنة ٦٢٥ ميلادية ـ وهناك بعض الآراء أنها في ٢٣ شهر مارس سنة ٦٢٥ ميلادية، والله أعلم بأي الشهور الميلادية كانت ـ.

---

(١) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي بن كلاب .. كان أبيض، طويلًا . ويقال: لم يكن بالطويل ولا بالقصير، إلىٰ الخفة ما هو في اللحم . ويقال كان أسمر اللون، أشعر، خفيف العارضين، كان الرابع أو الخامس إسلامًا قتل يوم الجمل وهو ابن خمس وسبعون ـ وقيل غير ذلك قتلة عذرًا ابن جربوز.

القائد الأعلى يبث روح البطولة في الجيش:

ونهى الرسول ﷺ عن الأخذ في القتال حتى يأمرهم، وظاهر بين درعين[1] وحرض أصحابه على القتال، وحضهم على المصابرة والجلاد عند اللقاء، وأخذ ينفث روح الحماسة والبسالة والشجاعة والبطولة في أصحابه حتى جرد سيفًا باترًا وكان مكتوب في إحدى صفحتيه:

في الجبن عار وفي الإقبال مكرمة والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

ونادى أصحابه: "من يأخذ هذا السيف بحقه؟"، فقام إليه رجال ليأخذوه ـ منهم علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وعمر بن الخطاب وغيرهم... فبسطوا أيديهم كل إنسان فهم يقول أنا، أنا . فقال: «**من يأخذه بحقه؟**» فأحجم القوم، فتقدم أبو دجانة سماك بن خرشةْ، أخو بني ساعدة، فقال: ما حقه يا رسول الله؟ قال: «**أن تضرب به وجوه العدو حتى ينحني**». قال أنا آخذه بحقه يا رسول الله، فأعطاه إياه.

وكان أبو دجانة جنديًا في الحرب مهابًا يختال عند الحرب، وكانت له عصابة حمراء إذا اعتصب بها علم الناس أنه سيقاتل حتى الموت. فلما أخذ السيف عصب رأسه بتلك العصابة ، وجعل يتبختر بين الصفين، وحينئذ قال رسول الله ﷺ: «**إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن**».

وأقبل أبو دجانة بعد ذلك مصمما على أداء حق هذا السيف، حتى أمعن في الناس، وجعل لا يلقى مشركا إلا قتله، وأخذ يهد صفوف المشركين هدًا، حتى سيفه انحنى وصار كأنه منجل . قال الزبير بن العوام: وجدت في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف فمنعينه، وأعطاه أبا دجانة، وقلت أي في نفسي: أنا ابن صفية عمته ـ وكذلك ـ عمتي حبيبة[2] رسول الله ﷺ أم المؤمنين وأم

---

(١) أي لبس فيه درعًا فوق درع ـ يجب ملاحظة أن صناعة الدروع كانت مكلفة جدًا كصناعة وغالية وباهظة الثمن، مع ملاحظة أيضًا وهي الأهم أنها كانت هذه الصناعة وهذه الحرفية تحتكرها اليهود في هذا الوقت.. وما أشبه الليلة بالبارحة .. وللقاري التعليق!!.

(٢) هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي . أي أن رسول الله

الإسلام، السيدة الفضلى/ خديجة[١] بنت خويلد ﵂ ومن قريش، وقد قدمت إليه، فسألته إياه قبله فآتاه إياه وتركني، والله لأنظرن ما يصنع؟ فاتبعه، فأخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج أبو دجانة عصابة الموت، فخرج وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقوم الدهر في الكيول[٢] أضرب بسيف الله ورسوله

فجعل لا يلقى أحدًا إلا قتله، وكان في المشركين رجل لا يدع لنا جريحًا إلا ذفف[٣] عليه، فجعل كل واحد منها يدنو من صاحبه، فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا، فاختلفا ضربتين. فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته، فعَضَتَّ بسيفه، فضربه أبو دجانة بسيفه[٤].

ثم أمعن أبو دجانة في هَّد الصفوف، حتى خلص إلىٰ قائدة نسوة قريش، وهو لا يدري بها. قال أبو دجانة: رأيت إنسانًا يخمش[٥] الناس خمشًا شديدًا، فصمدت له[٦] فلما حملت عليه السيف ولول، فإذا امرأة، فأكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة.

وكانت تلك المرأة هي هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي. امرأة أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي قائد جيوش المشركين. وإنها كانت تشجع قريش علىٰ القتال ليثأروا لقتل أبيها وأخيها وعمها يوم بدر.

= ابن خالة عبد الله وأيضًا زوج عمته خديجة بنت خويلد رضي الله عنهم جميعًا.

(١) اقرأ للمؤلف/ السيدة خديجة بنت خويلد ﵂/ الناشر/ دار الحسين الإسلامية/ حارة المدرسة/ خلف جامع الأزهر/ القاهرة.

(٢) الكيول: آخر الصفوف يعني أنه لا يقاتل في مؤخرة الصفوف، بل يظل أبدًا في المقدمة.

(٣) أجهز عليه وأسرع قتله.

(٤) ابن هشام (٢/ ٦٨، ٦٩).

(٥) يشجع علىٰ القتال.

(٦) قصدت نحوه.

قال الزبير بن العوام: رأيت أبا دجانة قد حمل السيف علىٰ مفرق رأس هند بنت عتبة، ثم عدل السيف عنها، فقلت: الله ورسوله أعلم[١] .

تعبئة الجيش المكي:

انتظم جيش الأعداء، كما قدر رسول الله، فكانت القيادة العامة لأبي سفيان بن حرب الذي تمركز في قلب الجيش، وعلىٰ ميمنته خالد بن الوليد البطل المغوار، وعلىٰ ميسرته عكرمة بن أبي جهل، وعلىٰ المشاه صفوان بن أمية بن خلف، وعلىٰ رماة النبل عبد الله بن أبي ربيعة، علىٰ شكل قوس، ليحيطوا بالمسلمين ويباغتوهم من الخلف.

أما اللواء فكان إلىٰ مفرزة من بني عبد الدار، وقد كان ذلك منصبهم منذ أن اقتسمت بنو عبد مناف المناصب التى ورثوها من قصي بن كلاب بن مرة - جدهم الأكبر - وكان لا يمكن لأحد أن ينازعهم في ذلك، تقيدًا بالتقاليد التي ورثوها كابرًا عن كابر، بيد أن القائد العام للمشركين - أبا سفيان - ذكرهم بما أصاب قريش يوم بدر حين أسر حامل لوائهم النضر بن حارثة[٢]، قال لهم - ليستفز غضبهم ويثير حميتهم: يا عبد الدار، قد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم، وإنما يؤتي الناس من قبل راياتهم، وإذا زالت زالوا، فإما أن تكفونا

(١) ابن هشام (٢/ ٦٩).

موقف تاريخي إسلامي وإنساني - قد حاصر والي قرطبة، في سنة ١١٣٩م، مدينة طليطلة التي كانت بيد النصارى، فأرسلت إليه الملكة بيرانخير التي كانت فيها، رسولا يبلغه أنه ليس من مروءة فارس كريم رقيق الشمائل أن يحارب امرأة، فارتد القائد العربي المسلم من فوزه، ولم يطلب مقابل ذلك سوى أن يشرف بتحية الملكة... هذه فروسية الإسلام والعرب بسجلات اسبانيا وهي حافلة بمثل هذه النوادر التي تبين كيف كانت أخلاق الفروسية هذه ذائعة بينهم - هكذا علمهم معلم الفروسية الأول.. سيدنا وقائدنا علىٰ مر العصور محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وعلىٰ آله وسلم... وقارن بما فعلوه مع المسلمين من وحشية وحرق وتعذيب في محاكم التفتيش لاجبار المسلمين عن الرحيل عن الأندلس أو تغير ملتهم!! وكذا كيف يعامل المسلمون الآن في أوربا وأمريكا؟... وللقارئ الرأي والتعليق.

(٢) بعد انتهاء غزوة بدر بالنصر للمسلمين وقبل رجوعهم للمدينة المنورة، عندما وصل رسول الله ﷺ إلىٰ الصفراء أمر بقتل النضر بن الحارث - وكان هو حامل لواء المشركين يوم بدر - وكان من أكابر مجرمي قريش، ومن أشد الناس كيدًا للإسلام وإيذاء لرسول الله ﷺ، فضرب عنقه علي بن أبي طالب، وكان قتل هذا الطاغية واجبًا نظرًا إلىٰ سوابقه، فلم يكن أسير فحسب، بل كان من مجرمي الحرب بالاصطلاح الحديث، وكان اسمه - ابن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدري.

لواءنا، وإما تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه، فإنا قوم مستميتون موتورون نطلب ثأرا حديث عهد.

ونجح أبو سفيان في هدفه، فقد غضب بنو عبد الدار لقول أبي سفيان أشد الغضب، وهموا به وتواعده وقالوا له: نحن نسلم إليك لواءنا؟ ستعلم غدًا إذا التقينا كيف نصنع. وقد ثبتوا عند احتدام المعركة حتى أبيدوا عن بكرة أبيهم.

وكان القائد الأعلى للجيش الإسلامي محمد بن عبد الله بن عبد للمطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة ـ ﷺ ـ في ذاك الوقت يمشي على رجليه يسوي صفوف الجيش ويبوئ أصحابه مقاعد للقتال، ويقول: تقدم يا فلان وتأخر يا فلان.

حتى إنه ليرى منكب الرجل خارجًا فيؤخره فهو يقومهم كأنما يقوم القداح، حتى إذا استوت الصفوف سأل: من يحمل لواء المشركين؟ قالوا: بني عبد الدار.

نحن أحق بالوفاء منهم، أين مصعب بن عمير؟

كان مصعب بن عمير من بني عبد الدار ـ مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة ـ وكان لواء قريش فيهم قبل الإسلام ـ كما ذكرنا من قبل ـ فلم سمع مصعب بن عمير قول رسول الله ﷺ قال: هأنذا.

قال القائد الأعلى: «خذ اللواء».

فأخذه مصعب بن عمير وتقدم بين يدي رسول الله ﷺ قائده الأعلى.

ونظر علي بن أبي طالب إلى مصعب بن عمير إذا به يذكر ذلك اليوم الذي كانوا فيه جلوسًا مع وسول الله ﷺ، إذ طلع عليهم مصعب بن عمير ما عليه إلا بردة مرقعة بفرو. فلما رآه رسول الله ﷺ، بكى للذي فيه مصعب من النعمة ثم قال:

كيف بكم إذا غدا أحدكم في حلة وراح في أخرى ووضعت بين يديه صحفة ورفعت أخرى وسترتم بيوتكم كما تستر الكعبة؟

قالوا: يا رسول الله نحن يومئذ خير منا اليوم: نكفي المؤنة ونتفرغ للعبادة.

بل أنتم خير منكم يومئذ. ودنا عبد الله بن جحش[١] من رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله، إن هؤلاء القوم قد نزلوا بحيث ترى، فقد سألت الله فقلت: اللهم أقسم عليك أن نلقي العدو غدًا فيقتلوني ويبقروا بطني ويمثلوا بي، فتقول لي: فيم صنع بك هذا؟ فأقول: فيك وأنا أسألك يا رسول الله أخرى، أن تلي تركتي من بعدى. نعم وتصاف القوم للقتال، وجلس رسول الله ﷺ تحت راية مصعب بن عمير.

مناورات سياسية خبيثة من قبل قريش:

وقبل نشوب المعركة حاولت قريش إيقاع الفرقة والنزاع داخل صفوف جيش المسلمين، فقد أرسل أبو سفيان إلىٰ الأنصار يقول لهم: خلوا بيننا وبين ابن عمنا فننصرف عنكم، فلا حاجة لنا إلىٰ قتالكم. ولكن أين هذه المحاولة أمام الإيمان الذي لا تقوم له الجبال، فقد رد عليه الأنصار ردًا عنيفًا، وأسمعوه ما يكره.

واقتربت ساعة الصفر، وتدانت الفئتان، فقامت قريش بمحاولة أخرى كنفس الغرض، فقد خرج إلىٰ الأنصار عميل خائن يسمى أبا عامر الفاسق - واسمه: عبد عمرو بن صيفي بن النعمان بن مالك بن أمية بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف الأوسي - وكان يسمى "الراهب"، لأنه قد تنسك في الجاهلية وترهب، وكان يخبر عن نبي آخر الزمان، فلما بعث

(١) ابن عمة رسول الله، أميمة بنت عبد المطلب وكان زوجها جحش بن رباب بن يعمر، وأولادها عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة - أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهاجر إلىٰ أرض الحبشة الهجرة الثانية، وبعثه رسول الله ﷺ علىٰ سرية إلىٰ نخلة سنة ٢ هـ وفيها تسمى بأمير المؤمنين، فهو أول من دعي بذلك - قتله أبو الحكم بن الأخنس بن شريق، وكان يوم قتل له من العمر يضع وأربعون سنة، وكذلك أولادها: عبيد الله، زينب.

النبي ﷺ حقد عليه وحسده، وكفر به وكذبه، فسماه رسول الله ﷺ "الفاسق"، ومنذ هذا اليوم غلب هذا اللقب عليه، وكان رأس قبيلة الأوس في الجاهلية شأنه في ذلك شأن عبد الله بن أبي بن سلول رأس قبيلة الخزرج، أحدهما أوسي والآخر خزرجي، وجاهر رسول الله ﷺ بالعداوة، فخرج من المدينة[1] وذهب إلىٰ قريش يؤلبهم علىٰ رسول الله ﷺ ويحضهم علىٰ قتاله، ووعدهم بأن قومه إذا رأوه أطاعوه، ومالوا معه فكان أول من خرج إلىٰ المسلمين في الأحابيش وعبدان أهل مكة ـ فنادي قومه وتعرف عليهم، وقال: يا معشر الأوس، أنا أبو عامر. فقالوا: لا أنعم الله بك عينًا يا فاسق، فقال: لقد أصاب قومي بعدي شر واستأذن حنظلة بن أبي عامر رسول الله ﷺ، في قتل أبيه بعد هذه الكلمات فنهاه عن قتله (ولما بدأ القتال قاتلهم قتالًا شديدًا وراضخهم بالحجارة). وهكذا فشلت قريش في محاولتها الثانية للتفريق بين صفوف أهل الإيمان. ويدل عملهم هذا علىٰ ما كان يسيطر عليهم من خوف المسلمين وهيبتهم، مع كثرتهم وتفوقهم في العدد والعدة.

---

(١) ولزم أبو عامر الراهب "الفاسق" قريشًا مقيمًا بينهم في مكة حتى فتحها الله سبحانه وتعالىٰ في العام الثامن. من الهجرة علىٰ يد رسول الله ﷺ ففر إلى الروم ولحق بقصير، ولم يكف عن خبثه ومكره، فهو الذي أوحى إلى المنافقين أن يبلوا مسجد الضرار، ليكون وكرا للمؤمرات ضد المسلمين، وأوعز إليهم أنه سيجيء في جيش من الروم ليغزو المدينة ويتخلص من النبي ﷺ، وقد فضح الله سبحانه وتعالىٰ مؤامرتهم، وأخبر النبي ﷺ عما يدور في نفوسهم، فهدم النبي ﷺ مسجد الضرار الذي جاء فيه قوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٧، ١١٠] .

ومات أبو عمر الفاسق غريبًا طريدًا في الروم ولم يتحقق له كيده الذي كاده، بل ارتد كيده عليه، وكان معه كنانة بن عبد ياليل، وعلقمة بن علانة، فاختصما في ميراثه إلى هرقل، فدفعه هرقل إلى كنانة، وقال لعلقمة: هما من أهل الوبر .

وكانت وفاته سنة تسع، وقيل: سنة عشر .

وكانت وفاته تلك استجابة لدعوته حين قال النبي ﷺ: «اللهم أمت الكاذب فينا غريبًا وطريدًا فأمن النبي ﷺ . فمات الكاذب غريبًا طريدًا .

جهود نسوة قريش في التحمس:

وقامت نسوة قريش بنصيبهن من المشاركة في المعركة، تقودهن هند بنت عتبة ابن ربيعة زوجة أبي سفيان بن حرب، وأم حكيم بنت طارق فكن يتجولن في الصفوف، ويضربن بالدفوف، يستنهضن الرجال، ويحرضن علىٰ القتال، ويثرن حفائظ الأبطال، ويحركن مشاعر أهل الطعان والضراب والنضال، فتارة يخاطبن أهل اللواء فيقلن:

ويهًا بني عبد الدار ويهًا حماة الأدبار
ضربًا بكل بتار

نحن بنات طارق نمشي علىٰ النمارق[1]

وتارة يأزرن قومهن علىٰ القتيل وينشدون:

والدر في المخانق والمسك في المفارق
إن تقبلوا نعانق أو تدبروا نفارق
فراق غير وامق[2]

يردن نحن بنات الكواكب، وأنه لا ينال، ويقال إن رملة بنت طارق وأم حكيم بنت طارق قالتا ذلك وقاله النساء معهن، وكان النبي ﷺ إذا سمع قولهن هذا قال: «**اللهم إني بك أجول وأصول وفيك أقاتل، حسبي الله ونعم الوكيل**».

كان مخريق اليهودى من أحبار اليهود، فقال يوم السبت ورسول الله ﷺ بأحد: يا معشر يهود والله إنكم لتعلمون أن محمدًا نبي، وأن نصره عليكم حق.

فقالوا: ويحك! اليوم يوم السبت: لا سبت. ثم أخذ سلاحه وقال: إن أصبت فأموالي لمحمد يضعها حيث أراه الله فيه.

وخرج مخريق حبر يهود إلىٰ أحد وصوت هند بنت عتبة يرن في أذنه وهي

---

(١) المراد بـ "طارق": النجم، والنمارق: واحدهما نمرقة، وهي الوسادة الصغيرة والطنفة فوق الرمل، كناية عن الشرف.

(٢) في تاريخ الطبري و"الطبقات الكبرى" و"نهاية الارب" "فراق غير وامق" - والموامق: المحب.

تحرض الرجال علىٰ القتال. ثم رجعت النسوة إلىٰ مؤخر الصف.

مر وحشي ومعه مزاريق[١] بهند بنت عتبة فقالت له:

ايه أبا دسمة! اشف واستشف.

وكان قزمان من المنافقين وكان قد تخلف عن أحد، فلما أصبح عيره نساء بني ظفر فقلن: يا قزمان قد خرج الرجال وبقيت!

استحي يا قزمان ألا تستحي مما صنعت؟

وطاف بذهنه أن رسول الله ﷺ إذا ذكره قال من أهل النار، فوطن النفس علىٰ عدم الخروج وأعرض عما تقول له النسوة، ولكنهن ألحفن في تعبيره فقلن:

ما أنت إلا امرأة، خرج قومك وبقيت في الدار.

فثار لكرامته فدخل بيته فأخرج سهمه وجعبته وسيفه وخرج يعدو حتى انتهي إلىٰ رسول الله ﷺ وهو يسوي صفوف المسلمين، فجاء من خلف الصف حتى انتهي إلىٰ الصف الأول فكان فيه، وكان من رمى بسهم من المسلمين، جعل يرسل نبلا كأنها الرماح وإنه ليصيح صياح الجمل، ثم صار إلىٰ السيف ففعل الأفاعيل والمسلمون مشدوهين وفي رءوسهم استفسار: أهذا الذي يفعل الأعاجيب من أهل النار؟!

أول وقود المعركة:

وتقارب الجمعان وتدانت الفئتان، وأتت مرحلة القتال، وكان أول وقود المعركة حامل لواء المشركين طلحة بن أبي طلحة العبدري، وكان من أشجع فرسان قريش، يسميه المسلمون كبش الكتيبة، فدعا للبراز فأحجم عنه الناس حتى دعا ثلاثا ، فقام إليه الزبير بن العوام فوثب حتى استوى معه علىٰ البعير ثم عانقه فاقتتلا فوق البعير، فقال رسول الله ﷺ: **«الذي يلي حضيض الأرض مقتول»**.

---

(١) المزراق: رمح قصير.

وكتمت الأنفاس ومدت العيون إلىٰ ذلك العراك والصراع فوق البعير منتهى الجسارة والرشاقة والقوة من الزبير بن العوام من أن يقفز من الأرض إلىٰ فوق البعير دون خوف أن يصيبه سهم طائش أو طعنة غادرة ـ فوقع المشرك فوقع عليه الزبير فألقاه عنه فذبحه، فأثنى عليه رسول الله ﷺ وقال: «**لكل نبي حواري، وحواري الزبير**»[1].

ثم التفت ﷺ إلىٰ من حوله وقال:

لو لم يبرز إليه الزبير لبرزت إليه ـ هذا رسول وقائد شجاع ـ ثم اندلعت نيران المعركة، واشتد القتال بين الفريقين في كل نقطة من نقاط الميدان، وكان ثقل المعركة يدور حول لواء المشركين، فقد تعاقب بنو عبد الدار لحمل اللواء بعد قتل قائدهم طلحة بن أبي طلحة، فحمله أخوه أبو شيبة عثمان بن أبي طلحة، وتقدم وهو يقول:

إن علي أهل اللواء حقا   أن تخضب الصعدة[2] أو تندقا

فتقدم باللواء والنسوة خلفه يحرضن ويضربن بالدفوف فحمل عليه حمزة بن عبد المطلب بن هاشم فضربه بالسيف علىٰ كاهله فقطع يده وكتفه حتى انتهى إلىٰ مؤتزرة فبدت رئته، فرجع حمزة وهو يقول: ـ أنا ابن ساقي الحجيج والتقط لواء المشركين أخو عثمان وأخو طلحة وهو أبو سعيد بن أبي طلحة، فقامت النساء خلفه يقلن:

ضربا بني عبد الدار   ضربا حماة الأدبار
ضربا بكل بتار[3]

فحمل عليه سعد بن أبي وقاص فقطع يده اليمنى فأخذ اللواء بيده اليسرى فضربه علىٰ يده اليسرى فقطعها، فأخذ اللواء بذراعيه جميعًا وضمه إلىٰ صدره

(١) ذكره صاحب السيرة الحلبية ٢/١٨ ـ الحواري: الناصر المبالغ في النصرة، والوزير والخليل، أو ناصر الأنبياء عليهم السلام خاصة.

(٢) الصعدة: القناة.

(٣) البتار: السيف.

وحني عليه ظهره، فأدخل سعد سية القوس بين الدرع والمغفر فرمى به وراء ظهره، ثم ضربه حتى قتله وأخذ يسلبه درعه، فنهض إليه سبيع بن عوف ونفر معه فمنعوه سلبه، وكان سلبه أجود سلب رجل من المشركين: درع فضفاضة ومغفر وسيف جيد.

وحمل لواء المشركين مسافع بن طلحة بن أبي طلحة، فرماه عاصم بن ثابت الأفلح، فراح يترنح وهو في النفس الأخير إلىٰ أمه سلافة وكانت مع النسوة خلف الجيش. فوضع رأسه في حجرها فقالت له: من أصابك؟ سمعت رجلا حين رماني يقول خذها وأنا ابن أبي الأفلح. أفلحي والله! هو من رهطي. وكانت من قبيلة الأوس وكان عاصم بن ثابت منها.

ثم رفع اللواء أخو مسافع الحرث بن طلحة فرماه عاصم فقتله، فحمل إلىٰ أمه سلافة بنت سعد بن شهيد وهي من النساء بأحد فقالت في فزع: من أصابك؟ سمعت رجلا يقول خذها وأنا ابن أبي الأفلح.

فملأ الغيظ قلب سلافة فنذرت إن أمكنها الله من رأس عاصم قاتل ابنيها أن تشرب فيه الخمر، ثم قامت تنادي في المشركين:

من جاء برأس عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح فله مائة من الإبل(١)

(١) في السنة الرابعة للهجرة، في شهر صفر، قدم ﷺ قوم من عَضَل [1]. والقَارة [2] وطلبوا منه أن يبعث معهم من يفقه قومهم في الدين فبعث معهم ستة، وهم: عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح، وخبيب بن عدي، ومرَثَد ابن أبي مرَثد الغنوي، وخالد بن البكير الليثي، وزيد بن الدثِنَّة، وعبد الله بن طارق ـ وأمر عليهم مرث بن أبي مرثد الغنوي ـ في قول ابن إسحاق، وعند البخاري أنه عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ـ شقيقته إحدى زوجات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ هي: جميلة بنت ثابت بن أبي الأفلح فولدت له عاصمًا.. وكانت جميلة هذه تدعى عاصية، فغير النبي ﷺ.اسمها، فقال لها: بل أنتِ جميلة، فاستولدها ابنه عاصم، وعاصم هذا والد ليلي أم سادس الخلفاء الراشدين عمر بن العزيز رضي الله عن هذه الذرية الطاهرة، ذرية بعضها من بعض ـ فعاصم بن ثابت جد عاصم بن عمر بن الخطاب من جهة الأم ـ فذهب هؤلاء الصحابة الستة معهم، فلما كانوا بالرجيع ـ وهو ماء لهُذَيل بناحية الحجاز بين رَابغ وجُدة ـ استصرخوا عليهم =

(1) عضل ـ بفتح المهملة والمعجمة ـ بعدها لام: بطن من بني الهون بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، ينسبون إلىٰ عضل بن الديش.

(2) والقارة، بالقاف وتخفيف الراء، بطن من الهون أيضًا، ينسبون إلىٰ الديش المذكور، وقال "ابن دريد" انقارة أكمة سوداء فيها حجارة كأنهم نزلوا عندها فسموا بها. كذا في "المواهب اللدينة".

= حيا من هذيل يقال لهم: بنو لحيان، فتبعوهم بقريب من مائة رام، واقتصروا آثارهم حتى لحقوهم، فأحاطوا بهم ـ وكانوا قد لجأوا إلىٰ فدفد [1] ـ وقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا ألا نقتل منكم رجلًا. فأما عاصم بن ثابت فأبى من النزول وقاتلهم في أصحابه، فقتل منهم سبعة بالنبل، وبقي خبيب وزيد ورجل آخر، فأعطوهم العهد والميثاق مرة أخرى، فنزلوا إليهم ولكنهم غدروا بهم وربطوهم بأوتار قسيهم، فقال الرجل الثالث: عبد الله بن طارق ـ هذا أول الغدر، وأبي أن يصحبهم، فجرروه وعالجوه علىٰ أن يصحبهم فلم يفعل وهرب وقاتل إلىٰ أن قتلوه بالحجارة، وانطلقوا بخبيب وزيد فباعوهما بمكة، بعد مقتل الصحابة الأربع، وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية فقتله بأبيه، فأما خبيب فمكث عندهم مسجونا، ثم أجمعوا علىٰ قتله، فخرجوا به من الحرم إلىٰ التنعيم، وقال لهم خبيب: دعوني أصلي ركعتين، فتركوه فصلى ركعتين، وقيل: والله لولا أن تحسبوا أن مابي من جزع لزدت! وعند موسي بن عقبة أنه صلاهما في موضع مسجد التنعيم، وقال: اللهم احصهم عددًا واقتلهم بددًا ـ يعني متفرقين ـ ولا تبق منهم أحدًا، فلم يحل الحول ومنهم أحد حي، ثم صلبوه ووكلوا به من يحرس جثته ، فأرسل قائد هذه الأمة رسول الله ﷺ الصحابي عمرو بن أمية الضمري [2] فاحتمله بخدعه ليلًا، فذهب به فدفنه، وكان الذى تولى قتل خبيب هو عقبة بن الحارث، وكان خبيب قد قتل أباه حارثا يوم بدر.

وفي الصحيح أن خبيبا أول من سن الركعتين عند القتل لكل مسلم قتل صبرا لأنه فعلهما في حياته ﷺ فاستحسن ذلك من فعله وقررهما واستحسن المسلمون فبقي سنة، والصلاة خير من ما ختم به عمل العبد، وأنه رئي وهو أسير يأكل قطفا من العنب، وما بمكة ثمرة، وبعد قتل الصحابي الجليل الأوسي عاصم أراد هؤلاء المجرمين أن يبعوا رأسه ليقبضوا المائة أبل لتقي سلافة بنت سعد بن شهيد بقسمها وتبربه، والتي ندرت أن تشرب في جمجمة هذا الصحابي العظيم البطل ـ العجيب والغريب عاصم، وسلافة كلهما من قبيلة الأوس، ولكن هناك فارق كبير، هذا مؤمن وأسطورة في الإيمان وهذه أكذوبه في الكفر والضلال ـ فيها الخمر وتشفي غليلها.

وبعثت قريش إلىٰ عاصم ليؤتوا بجثمانه ـ وكان عاصم قتل لهم عظيمًا من عظمائهم في بدر وهو عقبة بن أبي معيط وغيره ـ فبعث المولى عز رجل بمقدرته وقدرته المطلقة مثل الظلة من ـ الربر ـ الزنابير ـ فحمته من رسلهم ، فلم يقدروا منه علىٰ شيء، وكان الفارس البطل عاصم كان يعلم أنه مستهدف فلذا رفض تصديق هؤلاء المجرمين . وكان أعطى الله عهدًا ألا يمسه مشرك ولا يمس مشركا ولا يمثل بجثته . وكان عمر بن الخطاب ؓ لما بلغه خبره يقول: يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما يحفظه في حياته.

وزاد حنق وغيظ وكيد قريش وهذه المرأة، وكذا تلك الشرذمة من المجرمين، وضاعت الأبل المائة وقهروا جميعًا. ولهذه المرأة عناد وكبر أخذ يدل علىٰ حمقها وغبائها في الكفر وكرهها للإسلام والمسلمين ولنبي الإسلام.

عندما فتح الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ رسوله الكريم ﷺ، والمؤمنين، مكة المكرمة عام ٨ هـ.

أرسل القائد العام الأعلى للأمة الإسلامية علىٰ مر الدهور والعصور والأزمان والأوقات وكل شيء في كل شيء سيدنا محمد ﷺ الصحابي الجليل بلال بن رباح ؓ إلىٰ عثمان بن أبي طلحة العبدري ـ أباه وأخواته كانوا حاملي راية الكفر كما سبق وقتلوا في غزوة أحد ـ وكان هو أيضًا حاملًا لواء الحرب في غزوة الخندق قائلًا له: أن رسول الله ﷺ يأمرك بأن تأتي بمفتاح الكعبة المشرفة.

وكان عثمان قد أسلم قبل الفتح، فقال عثمان نعم هو عند أمي سلافة. فرجع بلال إلىٰ رسول الله ﷺ فأخبره أنه قال نعم، وأن المفتاح عند أمه. =

(1) فدفد: مكان مرتفع.

(2) بفتح الضاد وسكون الميم.

فحمل اللواء أخو مسافع وأخو الحرث وهو كلاب بن طلحة، فانقض عليه الزبير ابن العوام وقاتله حتى قتله.

ثم حمل اللواء أخوهما الجلاس بن طلحة بن أبي طلحة فانقض عليه طلحة بن عبيد الله انقضاض الصاعقة فضربه ضربة ازهقت روحه.

هؤلاء ستة نفر من بيت واحد، بيت أبي طلحة عبد الله بن عثمان بن عبد الدار بن قصي قتلوا جميعا حملوا لواء المشركين، ثم حمله من بني عبد الدار أرطاة بن شرحبيل، فقتله علي بن أبي طالب، وقيل: حمزة بن عبد المطلب.

ثم حمله شريح بن قارظ فقتله قزمان ـ وكان منافقا قاتل مع المسلمين حمية، لا عن إيمان بالإسلام فراح بعض المسلمين يرنو إلىٰ قزمان وهو يعجب أهذا من أهل النار ـ؟!، ثم حمله أبو زيد عمرو بن عبد مناف العبدري، فقتله قزمان أيضًا، ثم حمله ولد لشر جبيل بن هاشم العبدري فقتله قزمان أيضًا.

فهؤلاء عشرة من بني عبد الدار ـ من حمله اللواء ـ أبيدوا عن آخرهم، ولم يبق منهم أحد يحمل اللواء. فتقدم غلام لهم حبشي ـ اسمه صؤاب ـ فحمل

= ذهب عثمان بن أبي طلحة إلىٰ أمه سلافة، قال لها يا أمه، اعطيني ـ ادفعي ـ إلىٰ المفتاح، فإن رسول الله ﷺ قد أرسل إلىٰ وأمرني أن أتيه به، فقال سلافة: لا واللات والعزى لا ادفعه إليك أبدًا.

فقال عثمان: لا لات ولا عزى أنه قد جاء أمر غير ما كنا عليه، وإنك إن لم تفعلي قتلت أنا وأخي فأنت قتلتينا، فوالله لتدفعنه أو ليأتين غيرى ويأخذه منك، فأدخلته في حجرها، وقالت أي رجل يدخل يده هنا؟

فبينما هما علىٰ ذلك وهو يكلمها إذ سمعت صوت أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب ﷺ، في الدار أرسلهما النبي ﷺ حين استبطأ عثمان بن أبي طلحة وعمر بن الخطاب رافع صوته: يا عثمان. . . يا عثمان اخرج، فقالت المرأة: يا بني خذا المفتاح، فإن تأخذه أنت أحب إلىٰ من أن يأخذ تيم وعدى "رهط أبو بكر وعمر" فأخذه عثمان. . . . . . أنظر إلىٰ العناد لدى هذه المرأة، وللقارى الفهم والتعبير، وكيف كان فضل الإسلام علىٰ الناس؟!

ومنذ ذلك الحين وآل شيبة بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزي بن عثمان بن عبد الدار بن قصي يتولون سدانة البيت ومعهم مفتاح الكعبة المشرفة . وهذا المفتاح الذي معنا موجود في متحف توبكابى باسطنبول بتركيا.. أى أن المفتاح الموجود الآن ليس هو المفتاح الأصلي، بل هو مفتاح؟ آخر.. وأخذ المفتاح الذي كان مع الرسول ﷺ تبريكا واحتفظ به... وصنع أخر بدلًا منه وهو الموجود الآن... ولم يأخذ هذا الفرع لهذه المرأة العنيدة، بل أخذه شيبة بن عثمان بن عبد الدار بن قصي ـ ووالد شيبة هو الذي قتله حمزة.. ولم يذهب هذا الإرث الجليل الكريم لذرية هذه المرأة المتعجرفة.

اللواء، وأبدي من صنوف الشجاعة والثبات ما فاق به مواليه من حمله اللواء الذي قتلوا قبله، فانطلق قزمان إليه، فقد قاتل حتى قطعت يداه، فبرك علىٰ اللواء بصدره وعنقه، لئلا يسقط، حتى قتل وهو يقول:

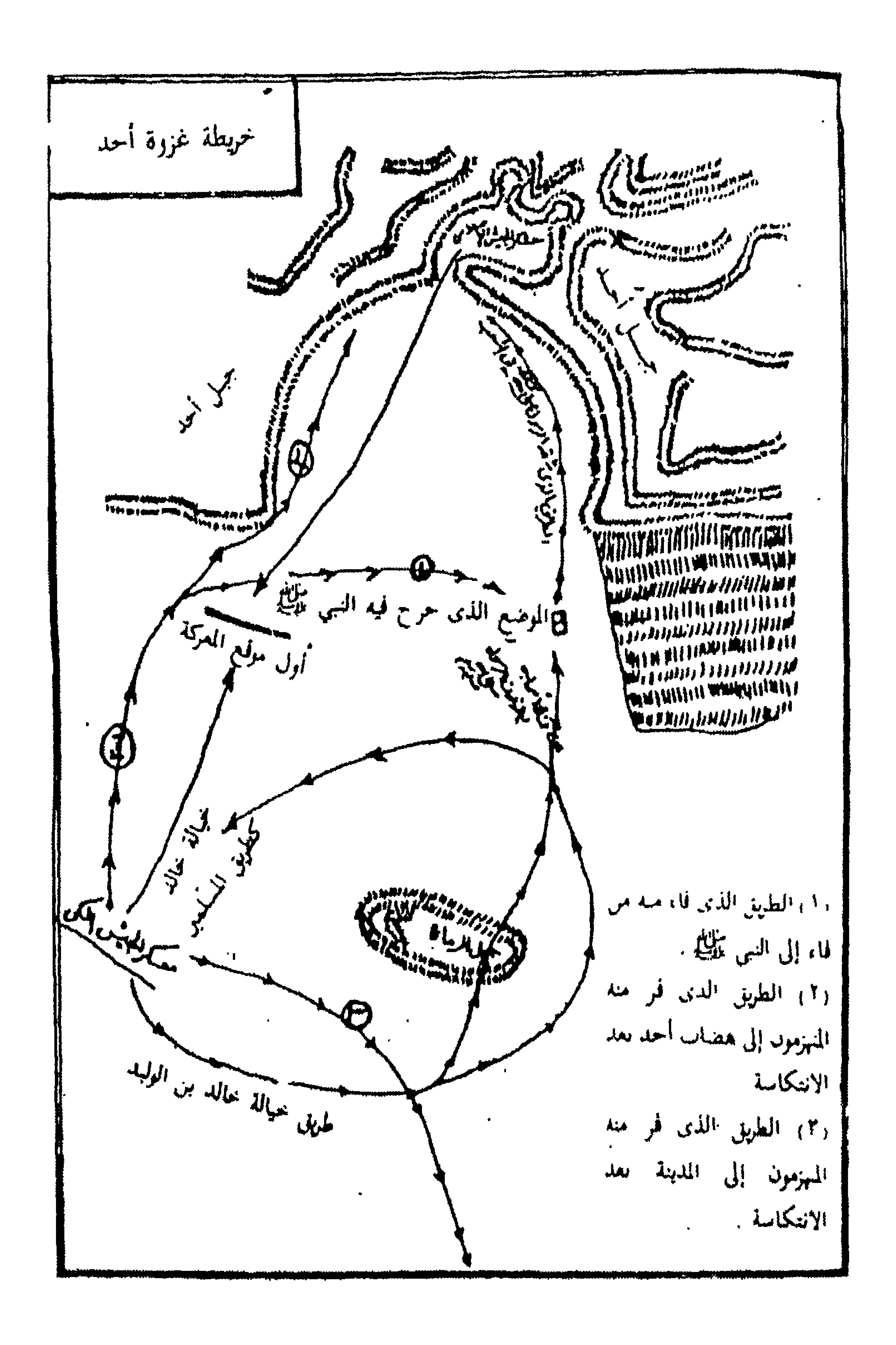
اللهم هل أعذرت؟ يعني هل أعذرت؟

وبعد أن قتل هذا الغلام ـ صؤاب ـ سقط اللواء علىٰ الأرض، ولم يبق أحد يحمله، فبقي ساقطًا، وخرج عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فقال: من يبارز؟ فنهض إليه أبوه أبو بكر شاهرًا سيفه، فقيل له ﷺ: «**شم سيفك وارجع إلىٰ مكانك**»(١)

ومتعنا بنفسك، ـ انظر أيها القارى الفاضل مدى التضحية في سبيل الله ورسوله ورفع راية الإسلام، أب.. ضد ولده؟! وعبد الرحمن أخ شقيق لأم المؤمنين السيدة عائشة ﵂، وكان الصديق يمتلك من العمر في هذا الوقت ٥٣ عاما... وللقاريء العبرة والاتعاظ.

---

(١) ورد في حق أبي بكر الصديق عن النبي ﷺ أنه قال: «رحم الله أبا بكر، زوجني ابنته، وحملني إلىٰ دار الهجرة، وصحبني في الغار، واعتق بلالا من ماله، وما نفعني مال في الإسلام ما نفعني مال أبي بكر».... وعندما أمر الله سبحانه وتعالىٰ النبي ﷺ بالهجرة من مكة إلىٰ المدينة ارسل له جبريل عليه السلام بذلك، ثم سأل جبريل عمن يهاجر معه قال: أبو بكر الصديق، فمن ذلك سماه الله: صديقا، وقد سبق أن سبب تسميته صديقا في المعراج بقوله لرسول الله ﷺ: صدقت في كل ما تخبر به، فلعل هذا سبب ثان لتأكيد التسمية بالصديق وتحقيقها. هو: عبد الله بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي .. أسلم علىٰ يده من العشرة المبشرين بالجنة خمسة: عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام وسعيد بن أبي وقاص، عبد الرحمن بن عوف .. توفي صديق الأمة ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء لثماني ليال بقين من جمادى الآخرة ..، وأوصى أن تغسله أسماء بنت عميس زوجته (فغسلته) وأن يدفن إلىٰ جنب رسول الله ﷺ . وصلى عليه عمر بن الخطاب بين القبر والمنبر، ونزل في حفرة ابنه عبد الرحمن وعمر وعثمان وطلحة ابن عبيد الله.



خريطة غزوة أحد
جبل أحد
الموضع الذى جرح فيه النبي ﷺ
أول موقع المعركة
خيالة خالد
طريق المسلمين
معسكر الجيش المكي
طريق خيالة خالد بن الوليد
(١) الطريق الذى فاء منه من فاء إلى النبي ﷺ .
(٢) الطريق الذى فر منه المنهزمون إلى هضاب أحد بعد الانتكاسة
(٣) الطريق الذى فر منه المنهزمون إلى المدينة بعد الانتكاسة .

القتال في بقية النقاط:

وبينما كان ثقل المعركة يدور حول لواء المشركين، كان القتال المرير يجري في سائر نقاط المعركة، وكانت روح الإيمان قد سادت صفوف المسلمين، فانطلقوا خلال جنود الشرك والضلال والفساد انطلاق الفيضان تتقطع أمامه السدود، وهم يقولون: "أمت، أمت" كان ذلك شعارًا لهم يوم أحد. ونادى المشركون: ياللعزى[١] .. يالهبل[٢].

ونظر ضرار بن الخطلب بن مرداس، أخوبني محارب بن فهر إلىٰ خالد بن الوليد وقال له: كرِ علىٰ القوم فقال له خالد في ضيق:

وترى وجها نكر فيه!

وحاول خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل وفرسان قريش أن يحملوا علىٰ المسلمين ولكن الرماة الذين أسندوا ظهورهم إلىٰ أحد راحوا يصوبون إليهم النبال، فصهلت الخيل ولويِ الفرسان أعنتهم فارتدوا في الوادى متفرقين لا يلوون علي شيء.

ووقف وحشي ـ ذاك العبد الأسود ـ خلف شجرة وفي يده حربته يرصد حركات حمزة ذلك الأسد الهصور وسكناته وصوت جبير[٣] بن المطعم بن

---

(١) من أصنام العرب في الجاهلية، كانت تعبدها غطفان وقريش وجميع بني كنانة، وهي أعظم أصنامهم، وهدمها خالد بن الوليد بعد ذلك في رمضان سنة ٨ هـ بأمر من رسول الله ﷺ.

(٢) وهُبَل ـ بضم الهاء وفتح الباء ـ صنم اتخذته قريش علىٰ بئر في جوف الكعبة، وكانت تلك البئر هي التي يجمع فيها ما يهدي للكعبة، وكان عنده قداح سبعة كل قدح منها فيه كتاب، ـ القداح جمع قدح ـ بكسر القاف وسكون الدال، هو السهم الذى كانوا يستقسمون به، يقال للسهم اول ما يقطع قطع ـ بكسر القاف وسكون الطاء ـ ثم ينحت ويبري فيسمى بريا، ثم يقوم قدحا، ثم يراس ويركب نصله فيسم سهما، والقداح صانعها، وهي الأزلام المذكورة في قوله عز وجل: ﴿وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ﴾ جمع زلم، كجمل، وزلم، كصرد.

(٣) المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي، القرشي، مات مشركا، قبل بدر بنحو سبعة أشهر. وكان أول من كذب بالإسراء والمعراج من قريش لرسول الله، وكان أحد الخمسة الذين قاموا بنقض صحيفة المقاطعة الظالمة، ذلك حتى فرضت قريش حصارا علىٰ بني هاشم، واستمر ثلاث سنوات، أما ابنة جبير فلقد وقع أسير في غزوة بدر، وتركه الرسول الكريم ﷺ لصنع أبيه مع رسول الله عندما دخل في حميته أبان رجوعه من الطائف، عندما أهدرت قريش دمه، ورسول الله ﷺ خير من يعرف =

عدي بن نوفل ابن عبد مناف بن قصي يداعب خياله. "إن قتلت حمزة عم محمد بعمي فأنت عتيق". إنها رمية من حربته تستقر في قلب حمزة ثم يسترد بعدها حريته، فطفق يتبع حمزة بعينة في كره وفره، إنه يحصد الناس بسيفه ويمشي إليهم كالأسد وقد كشر عن أنيابه، ينقض علىٰ فريسته وإن هي إلا ضربة واحدة فيتركه كأمس الدابر وهو يقول:

أنا أسد الله . أنا ابن عبد المطلب.

وضرب حمزة رجلًا ضربة أطاحت برأسه فانكمش وحشي وهو في مكمنه . فحمزة قتل ثلاثين من قريش وحده، ولو التفت ناحية الشجرة وخطر له أنه يتربص به لا نقض عليه انقضاض الصاعقة وقتله قبل أن يستمتع بحريته.

وهز وحشي الحربة في يده وصوبها إلىٰ حمزة، وقبل أن يطلقها كان حمزة قد التفت إلىٰ سباع بن عبد العزى فقال له: أقبل يا بن مقطعة البظور.

كانت أمه أم أنمار مولاة شريف والد الأخنس[1] ختانة بمكة، وكان سباع يعادي الله ورسوله وكان من المكذبين. فشد حمزة عليه ورفع سيفه وهوى به

= المعروف والجميل، وقد كان جبير من أكابر قريش، وأعلمهم بالنسب، ثم أسلم بين الحديبية والفتح، توفي في خلافة معاوية بن أبي سفيان، وأم جبير هي أم جميل بنت سعيد العامرية، وكان جبير بن المطعم خطيبا للسيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق قبل رسول الله، وتركها بإيعاذ من أمه لان ـ السيد عائشة بنت أبي بكر ـ أبوها صديق حميم لمحمد الذي عاب علىٰ قريش إلهيتها.

(١) الأخنس بن شريق الثقفي هو الذي قال فيه النبي ﷺ: أبعده الله فإنه كان يبغض قريشا، نعم أنت رسول الإنسانية.... قريشا وهم أهلك وعشيرتك يحاربوك ويريدون قتلك والتفاني في حربك ويهجوك شعرا ونثرا وقبحا وكذبا وافتراءا... وكل هذا وانت تكره لمجرد كره لقريش .. نعم الوفي للأهل ... صلوا علي وسلموا تسليما، والآيات ٢٠٦/ ٢٠٤ البقرة/ نزلت في الأخنس، جاء في ذلك تفسير القرطبي، واسمه أبيّ، والأخنس لقب به، لقب لأنه خنس يوم بثلاثمائة رجل من حلفائه من بني زهرة عن قتال رسول الله ﷺ، وكان رجلا حلو القول والمنظر، فجاء بعد ذلك إلىٰ النبي ﷺ فأظهر الإسلام، وقال الله يعلم أني صادق ثم هرب بعد ذلك، فمر بزرع لقوم من المسلمين، وبحمر فأحرق الزرع وعقر الحمر. قال المهدى: وفيه نزلت الآيات ١٠، ١١/ القلم وقوله: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهُمَزة: ١] قال ابن عطية ما ثبت قط أن الأخنس أسلم . وكان ابن عطية يرد علىٰ من زعم من الرواة أن الأخنس بن شريق أسلم، وكذره ضمن من ترجم لهم من الصحابة، وقد فعل ذلك انب الأثير في كتابه أسد الغابة وقال في ترجمة اسمه أبي، ولقب الأخنس لأنه خنس ببني زهرة يوم بدر وكان حليف لهم وأعطاه النبي ﷺ مع المؤلفة قلوبهم وتوفى في خلافة عمر بن الخطاب.

فإذا بسباع في مثل لمح البصر يسقط علىٰ الأرض وقد سالت دماؤه يلفظ آخر الأنفاس.

وتقاصرت نفس وحشي فقد كان سباع تمام واحد وثلاثين قتلهم حمزة، إنه يقاتل بين يدي ابن أخيه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب القائد الأعلى للمسلمين بسيفين ويقول:

أنا أسد الله

وملأ الخوف قلب وحشي وبات يخشى أن تنتهي المعركه بهزيمة قريش دون أن ينال من حمزة فيظل يرسف في العبودية، فجعل يرصده في غزواته وروحاته بين صفوف المشركين لعل فرصة نسنح له يقتل فيها حمزه ويسترد حريته.

وكر خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل وفرسان قريش علىٰ المسلمين مرة أخرى فإذا بالنبال تتطاير من الرماة الذين أسندوا ظهورهم إلىٰ جبل أحد لتستقر في أعين الخيل أو في رقاب الفرسان وصدورهم، فانجفل الفرسان مرتدين ليتفرقوا في الوادى وليصبحوا هدفا لأسياف حمزة وعلي والزبير وأبي دجانة وصناديد المسلمين.

وارتفعت الأصوات تجلجل عند أحد، والمسلمون يهتفون:

أمت.. أمت

وقد استبشروا بنصر الله، والمشركون يهتفون:

يا للعزى يا لهبل[١]!

والنسوة من قريش يحمسن الرجال بالدفوف . وقد فعل الأفاعيل حمزة بالمشركين ويندفع إلىٰ قلب جيش المشركين يغامر مغامرة منقطعة النظير،

---

(١) روي أن الزبير بن العوام قال لأبي سفيان أثناء فتح مكة: إن هبل الذي كنت تفتخر به يوم أُحُد قد كسر! قال: دعني ولا توبخني، لو كان مع إله محمد إله آخر لكان الأمر غير ذلك!

ينكشف عنه الأبطال كما تتطاير الأوراق أمام الرياح الهوجاء، فبالإضافة إلىٰ مشاركته الفعالة في إبادة حاملي لواء المشركين فعل الأفاعيل بأبطالهم الآخرين، حتى صرع وهو في مقدمة المبرزين، ولكن لا كما تصرع الأبطال وجها لوجهة في ميدان القتال، وإنما كما يغتال الكرام في حلك الظلام.

مصرع أسد الله حمزة بن عبد المطلب:

وأقبل حمزة بن عبد المطلب وقد شهر سيفه ليقاتل بين يدي رسول الله قائده ويقول: أنا أسد الله فبينا هو كذلك إذ عثر عثرة وقع فيها علىٰ ظهره فانكشفت الدرع عن بطنه، فلاحت لوحشي ـ العبد الأسود ـ الفرصة التي كان يرصدها مذ نشب القتال في بطن أُحُد، فهز حربته ثم دفعها عليه فإذا بها تنفذ من تحت سرته لتخرج من بين رجليه وندت من حمزة صرخة مكتومة ونفر فرأى ذلك العبد الأسود وحشي خلف الشجرة فحمل نفسه حملا لينطلق إليه يريد أن يقتل ذلك العبد الحبشي الذي غدر به، ولكنه عجز عن مواصلة السير فوقع علىٰ الأرض وهو يلهث، ولكن دم حياته كان يتدفق في الصحراء.

ورفع رأسه لينظر فإذا بجبل أُحُد يدور في الفضاء، وإذا بالمدينة البعيدة يطبق عليها الظلام، وإذا بأصوات المسلمين التي كانت تدوي كالرعد: أمت... لمت تخفق. ولم يعد يرى بعينه ولكنه كان يرى ببصيرته أول يوم فيه إسلامه ـ كان إسلامه سنة خمس من النبوة ، قبل إسلام عمر بن الخطاب بثلاثة أيام ـ، يوم أن ذهب إلىٰ أبي جهل وشجه بقوسه وهو في مجلسه عند الكعبة لما سمع أن أبا جهل قد أساء إلىٰ ابن أخيه، وكان يرى صناديد قريش يوم بدر لما كانوا يتهاوون جثثا هامدة تحت ضربات سيفه البتار، وغاب عن الدنيا بينما كانت أصوات عذبة تنسحب في أذنيه تبشره بجنات عرضها السموات والأرض، فإذا بأساريره تنبسط وإذا بروحه تعود إلىٰ ربها آمنة مطمئنة، وبعد قليل رقد ساكنًا.

وجاءه وحشي وقد سكن روعه، واقترب من الجثة باحتراس لما تيقن أن المحارب العظيم قد مات، فأخذ حربته ثم انتحي إلىٰ العسكر ولم يكن له في شيء حاجة غيره.

الهزيمة تنزل بالمشركين:

واشتد القتال بين المسلمين والكفار وحاول الرجال الفرار، فخفف النسوة إلىٰ كل من هم بأن يولي الأدبار وقدمن إليه مكحلا ومرودا مما كان معهن وقلن له:

إنما أنت امرأة.

فكان الرجل يعود فيقاتل خوفا من العار. ولم تنفع الدفوف ولا المكاحل ولا المراود للرجال فقد ولوا منهزمين ونجوا علي متون خيلهم، وجعلت النسوة يتبعن الرجال علىٰ أقدمهن فجعلن يسقطن في الطريق، وقعدت هند بنت عتبة وكانت امرأة ثقيلة خاشية من الخيل ما بها مشي ومعها امرأة أخرى، وقد لاح في وجه هند الفزع والانكسار. حتى ولو شاء المسلمون لأخذوهن، ودخل المسلمون عسكر المشركين.

وهكذا دارت رحى الحرب الزَّبون، هذه هي الدنيا ... وهذا دأبها لم تعط إلا وأستردت ولم تحل إلا وتمردت.. ولم تصف إلا وتكدرت ... بل صفوها لم يخل من الكدر وظل الجيش الإسلامي الصغير مسيطرًا علىٰ الموقف كله حتى خارت عزائم أبطال المشركين، وأخذت صفوفهم تتبدد عن اليمين والشمال والأمام والخلف، كأن ثلاثة آلاف مشرك يواجهون ثلاثين ألف مسلم لا بضع مئات قلائل، وظهر المسلمون في أعلىٰ صور الشجاعة واليقين.

وبعد أن بذلت قريش أقصى جهدها لسد هجوم المسلمين أحست بالعجز والخور، وانكسرت همتها ـ حتى لم يجترئ أحد منها أن يدنو من لوائها الذى سقط بعد مقتل صوُاب فيحمله ليدور حوله القتال ـ فأخذت في الإنسحاب، ولجأت إلىٰ الفرار، ونسيت ما كانت تتحدث به في نفوسها من أخذ الثأر والوتر والانتقام، وإعادة العز والمجد والوقار والبسالة والبطولة.

قال ابن إسحاق: ثم أنزل الله سبحانه وتعالىٰ نصره علىٰ المسلمين، وصدقهم وعده فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن المعسكر، وكانت

الهزيمة لا شك فيها.

وبرغم هذه الخسارة الفادحة التي لحقت المسلمين بقتل أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب بن هاشم، ظل المسلمون مسيطرين علىٰ الموقف كله . فقد قاتل يومئذ أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الله بن جحش، وسعد بن معاذ، وسعد بن عبادة[١] ـ

الجد الأكبر لكاتب هذه السطور، الأنصارى الخزرجي/ أحمد عزور أحمد محمد مصطفى الفرخ ـ وسعد بن الربيع، وأنس بن النضر وأمثالهم قتالًا فلَّ عزائم المشركين.

روي عبد الله بن الزبير عن أبيه أنه قال: والله لقد رأيتني أنظر إلىٰ خَدَمَ ـ سوق ـ هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ـ مع ثقلها لكن الرغبة في الانتقام والحياة بقيت في مكانها ـ ما دون أخذهن قليل ولا كثير[٢] ....

وفي حديث البراء بن عازب عند البخاري في الصحيح: فلما لقيناهم هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل، يرفعن سوقهن قد بدت خلا خيلهن[٣] .

وتبع المسلمون المشركين يضعون فيهم السلاح وينتهبون الغنائم.

من أحضان المرأة إلى مقارعة السيوف والحرب:

وكان من الأبطال المغامرين يومئذ ـ حنظلة الغسيل ـ وهو حنظلة بن أبي عامر، وأبو عامر هذا هو الراهب الذي سمي بالفاسق ـ كان حنظلة حديث عهد بالعرس، فلما سمع هواتف الحرب وهو علي امرأته انخلع من أحضانها ـ تزوج جميلة بنت عبد الله بن أبي سلول ـ أنظر أيها الكريم من هو أب العريس

---

(١) سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن سيد الخزرج، شهد العقبة، كان يكتب في الجاهلية، ويحسن العوم، وكان يحمل راية الأنصار في الغزوات، توفي بحوران من أرض الشام سنة ١٥ هـ. وقيل بعد ذلك.

(٢) ابن هشام (٢/ ٧٧).

(٣) صحيح البخاري (٢/ ٥٧٩).

ووالد العروس وكيف يخرج من أصلابهم هذا الزوج وهذه الزيجة، نعم يا رب يخرج من ظهر الفاسد عالم ! !، ـ كان قد أدخل عليها في الليلة التي صبحيتها قتال أحد ـ وكان قد استأذن قائده رسول الله ﷺ، أن يبيت عندها فأذن له، ـ هذا موقف فيه شجاعة وخلق [١]، فلما صلي الصبح غدا يريد النبي ﷺ، فلزمته جميلة فعاد فكان معها فأجنب منها، ثم أراد الخروج وقد أرسلت قبل ذلك إلىٰ أربعة من قومها فأشهدتهم أنه قد دخل بها، فقد رأت في منامها كأن السماء فرجت فدخل فيها ثم أطبقت ففطنت إلىٰ أنها الشهادة، فأشهدت عليه أنه دخل بها حتى إذا ما علقت منه ثبتت بنوة الوليد "انظر أخي القارئ إلىٰ فصاحة المرأة المسلمة وذكائها الفطري الواسع الشامل التي تعلم دينها جيدًا دون خوف أو حياء.. قل أن تجد امرأة في وقتنا الحاضر بهذه الثقافة الإسلامية العلمية .... بدلًا من الصداع المزمن فيما أسموه . بحقوق المرأة!! ... وللقارئ الفهم والتعليق".

وقام من فوره إلىٰ الجهاد عجلًا ناسيًا أن يغتسل من الجنابة، فلحق برسول الله ﷺ بأحد وهو يسوي الصفوف، فلما انكشف المشركون اعترض قائد المشركين أبي سفيان بن حرب، فضرب عرقوب فرسه فاكتسعت الفرس ووقع أبو سفيان إلىٰ الأرض، فجعل يصيح:

يا معشر قريش أنا أبو سفيان بن حرب!

وحنظلة يريد ذبحة بالسيف، فأسمع الصوت رجالا لا يلتفتون إليه من الهزيمة، حتى عاينه الأسود [٢] بن شعوب، وأتاه ابن شعوب من الخلف علىٰ

---

(١) جمع ﷺ ما تفرق في الأنبياء من مكارم الأخلاق وسماه عظيمًا فقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القَلَم: ٤] فكان فيه ﷺ خَلقُ آدم، ومعرفة شيث، وشجاعة نوح، وخِلّة إبراهيم، ولسان إسماعيل، ورضي إسحاق، وفصاحة صالح، وحكمة لوط، وبشرى يعقوب، وشدة موسى، وصبر أيوب، وطاعة يونس، وجهاد يوشع، وصوت داود، وحب دانيال، ووقار إلياس، وعصمة يحيى، وزهد عيسى.

(٢) عقبة بن جعونة أين شعوب الليثي .. جعونه ابن شعوب، ووهو من ولد الأسود بن عبد شمس بن مالك بن جعونة بن عويرة بن شجع ابن عامر بن ليس ... وشعوب امرأة من خزاعة، وهي أم الأسود، وكان الأسود حليفا لأعلى سفيان بن حرب ... وقد ذكره ابن سعد في ترجمته ٥: ٤٤ .

حنظلة بالرمح فأنفذه، ومشي حنظلة إليه في الرمح فضربه ثانية فقتله وهرب أبو سفيان يعدو علىٰ قدميه فلحق ببعض قريش فنزل عن صدر فرسه وردف وراءه أبا سفيان. ولم يحمد أبو سفيان لابن شعوب هذا الفضل ولكنه قال:

ولو شئت نجتني كميت طمرة ولم أحمل النعماء لابن شعوب

والكميت هي الفرس، والطمرة: هي السابقة السريعة .

يقول: كان في إمكاني أن أنجو علىٰ فرسي دون أن يفكر لابن شعوب فضل علي إذ نجاني من حنظلة .

وكان الشيخان حسيل بن جابر ورفاعة بن وقش شيخين كبيرين قد رفعا في الأطام مع النساء، فقال أحدهما لصاحبه: لا أبالك! ما نستبقي من أنفسنا! فوالله ما نحن إلا هامة اليوم أوغد وما بقي من أجلنا قدر ظمئم[1] دابة، فلو أخذنا أسيافنا فلحقنا برسول الله ﷺ، لعل الله يرزقنا الشهادة فلحقا برسول الله ﷺ وقد حمي وطيس القتال فراحا يصولان ويجولان في صفوف قريش يقتلان من يلتقيان به، وقد استبشرا بنصر الله، وإذا بسيف من سيوف المشركين يقضي علىٰ رفاعة بن وقش الذي يخرج يلتمس الشهادة فرزقه الله الشهادة ليكون في عليين مع الأنبياء والشهداء والصالحين .

وللمرة الثالثة كان للفصيلة التي عينها الرسول ﷺ علىٰ جبل الرماة يد بيضاء في إدارة دفة القتال لصالح الجيش الإسلامي، فقد هجم فرسان مكة بقيادة خالد بن الوليد يسانده أبو عامر الفاسق هذه المرة، ليحطموا جناح الجيش الإسلامي الأيسر، حتى يتسربوا إلىٰ ظهور المسلمين، فيحدثوا البلبلة والإرتباك في صفوفهم وينزلوا عليهم هزيمة ساحقة، ولكن هؤلاء الرماة رشقوهم بالنبل حتى فشلت هجماتهم الثالثة[2] .

أقبل وهب بن قابوس المزني ومعه ابن أخيه الحارث بن عقبة بن قابوس

---

(١) يقال: ما بقي منه إل ظمئم دابة أي لم يبق من عمرة إلا اليسير .

(٢) انظر فتح الباري ٧/ ٣٤٦ .

بغنم لهما من جبل مزينة، فوجدا المدينة خلوا فسألا:

أين الناس؟

بأحد . خرج رسول الله ﷺ يقاتل المشركين من قريش .

فقالا:

لا نبتغي أثرًا بعد عين .

فخرجا حتى أتيا النبي ﷺ بأحد، فيجدان القوم يقتتلون والدولة لرسول الله ﷺ وأصحابه فأغار مع المسلمين، وكان المشركون قد خلفوا العبيد والنساء في العسكر بعد أن صاح أبو سفيان في الناس .

يا معشر قريش خلو غلمانكم علىٰ متاعكم يكونوا هم الذين يقومون علىٰ رحالكم .

فجمع العبيد الرحال بعضها إلىٰ بعض وعقلوا الإبل، وانطلق القوم علىٰ تعبئتهم ميمنة وميسرة، وألبس العبيد الرحال الأنطاع وراحوا يرقبون المعركة الدائرة بين سادانهم وبين المسلمين، وإذا أصحابهم منهزمون واللواء قد سقط علىٰ الأرض بعد أن قتل أصحابه واحد بعد واحد، قد ولوا لا يلوون علىٰ شيء ونساؤهم يدعون بالويل بعد فرحهن وضربهن بالدفوف، وألقين بالدفوف وقصدت الجبل، كاشفات سيقانهن يرفعن ثيابهن ـ يدل علىٰ ضعفهن، لكي يستحي المسلمون منهن ـ والمسلمون يتبعون أعداءهم يضعون فيهم السلاح وقد دخلوا معسكر قريش يقتلون وينهبون .

كان العبيد وبعض النسوة في الرحال فأحدق المسلمون بهم وقد استسلم العبيد والنساء للأمر، وراح المسلمون ينتهبون العسكر وإذا برجل من المسلمين ينقض علىٰ أحد العبيد يقول له:

أين مال صفوان بن أمية؟

فقال العبد:

ما حمل إلا نفقة في الرحل .

فخرج المسلم يسوق العبد حتى أخرج النفقة من العيبة خمسون ومائة مثقال ذهبًا .

وولى رجال قريش وأيس من كان في العسكر من نصرتهم، وانحاش النساء فهن في حجرهن سلمٌ لمن أرادهن، ووجد عاصم(١) بن ثابت بن أبي الأفلح منطقة في العسكر فيها خمسون دينار، فشدها علىٰ حقوبه من تحت ثيابه، ووجد عياذ بن بشر صرة فيها ثلاثة عشر مثقالًا فألقاها في جيب قميصه وفوقها الدرع وقد حزم وسطه، وراح قزمان ينتهب العسكر أقبح انتهاب، وغدا المسلمون يأخذون ما تصل إليه أيديهم فصار النهب في أيدي المسلمين .

غلطة الرماة الفظيعة:

وبينما كان الجيش الإسلامي الصغير يسجل مرة أخرى نصرًا ساحقًا علىٰ أهل مكة لم يكن أقل روعة من النصر الذي اكتسبه يوم بدر، وقعت من أغلبية فصيلة الرماة غلطة فظيعة وشنيعة قلبت الوضع تمامًا، وأدت إلىٰ إلحاق الخسائر الفادحة بالمسلمين، وكادت تكون سببًا في مقتل النبي ﷺ، وقد تركت أسوأ أثر علىٰ سمعتهم، وعلىٰ الهيبة التي كانوا يتمتعون بها بعد بدر .

لقد أسلفنا نصوص الأوامر العسكرية الشديدة والصارمة التي أصدرها القائد الأعلى للجيش الإسلامي محمد ﷺ إلىٰ هؤلاء الرماة، بلزومهم موقفهم من الجبل في كل حال من النصر أو الهزيمة، ولكن علىٰ رغم هذه الأوامر الصارمة لما رأى هؤلاء أن المسلمين ينتهبون غنائم العدو غلبت عليهم أثارة من حب الدنيا، فقال بعضهم لبعض: الغنيمة، الغنيمة، ظهر أصحابكم، فما تنتظرون؟

أما قائدهم عبد الله بن جبير، فقد ذكرهم أوامر الرسول ﷺ، وقال أنسيتم ما

---

(١) عاصم بن ثابت بن قيس بن الأنصار الأوس، يكنى أبا سليمان شهد بدرا وأحدا . واشتهد يوم الرجيع .

قال لكم رسول الله ﷺ .

كان النصر ـ من غير ما شك ـ للمسلمين . ولقد وقع لواء القرشيين تحت كومة هائلة من القتل .

واختلفوا فقام أميرهم عبد الله بن جبير يخطبهم، فحمد الله وأمرهم بطاعة رسوله وإلا يخالف أمره . فعصوه وانطلقوا فلم يبق معه إلا نفير ما يبلغون العشرة منهم الحارث بن أنس بن رافع يقول:

يا قوم، اذكروا عهد نبيكم إليكم وأطيعوا أميركم .

فأبوا وذهبوا إلىٰ عسكر المشركين ينتهبون وخلوا الجبل .

وفي سنين قليلة لن يتوافر للجيوش الإسلامية القيادة الحسنة فقط، بل ستمتاز الجيوش بالطاعة العظمى، التي يعتمد عليها في جميع الأحوال، فإذا ما صدر أمر فإنه ليطاع فورًا، وفي سنة ٣ هـ/ ٦٢٥م لم يكن هذه الروح قد تكون، كان العرب يقاتلون للأخذ بالثأر حينًا، وللسلب غالبًا، وكانوا يقومون بذلك من أزمان سحيقة متناهية في القدم، وما كانت التعليمات المخالفة لذلك، وما كان بعض الأوامر العسكرية ليغير منها .

وكان هذا الموقف إغراء شديد للمسلمين الذين تشبعت عقولهم بالسلب، فابتدءوا في سلب الخيام بدلًا من اغتنام الفرصة، واقتفاء أثر الأعداء، ورأى الرماة من مرتفعهم ما يجري هناك، فقد بدأ كأن المعركة قد انتهت، وإن إخوانهم سيجمعون كل المتاع، فلم يستطيعوا أن يصدقوا أن رسول الله عنى كل أمر أصدره، وحتى لو كان قد عنى ذلك فإنهم لا يستطيعون اتباع ما أمر به، فالمنظر الذي كان أمامهم لا يمكن أي أعرابي أن يقاوم إغراءه، فراحوا يهرولون إلىٰ الغنائم، دون أن يلتفتوا خلفهم لفته، وشاركوا السالبين وأنفاسهم مبهرة .

﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٥٢] أي تقتلونهم.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٥٢]

يعني إقبال من أقبل منهم علىٰ الغنيمة .

﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٥٣] ، ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٥٢] يعني النصر .

ثم أديل للمشركين عليهم بمعصيتهم الرسول، حتى حصبهم النبي ﷺ . وروي السدي، عن عبد خير، عن عبد الله، قال: ما كنت أرى أن أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا، حتى نزلت فينا: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [آل عمران: ١٥٢، ١٥٣] .

خالد بن الوليد يطوق الجيش الإسلامي:

لم يتدرب خالد بن الوليد التدريب العسكري، ولكن كانت له غريزة القيادة، وكان زيادة علىٰ ذلك فارسا جريئا مندفعا، داهية شجاعًا، يقبض علىٰ سيفه ورمحه بنفس المهارة التي يقبض بها علىٰ الجيوش، فكان في أثناء المعركة يرقب الرماة، وكان يقترب منهم كلما تهاونوا في إطلاق سهامهم، والآن وقد تركوا مكانهم، فكشفوا جناح المسلمين، فلم يتردد، فأدار فرسانه، وانطلق علىٰ رأسهم، واندفع في صفوف المسلمين المبعثرة . كانت المفاجأة سريعة كما كانت عنيفة، فتبدل في دقيقتين مجرى المعركة، فأصبح المسلمون ضحايا وقد مزقتها رماح خالد، بعد أن كانت عصبة تقوم بالسلب في سرور .

كان جبل الرماة غادرة أربعون رجلًا، وانطلق إلىٰ ـ القلة ـ وحمل عليهم هو ومن معه من فرسان قريش، فرماهم القوم حتى أصيبوا، ورمى عبد الله بن جبير حتى فنيت نبله، ثم طاعن بالسيف حتى انكسر ثم كسر جفن سيفه فقاتل حتى قتل، وأفلت جعيل بن سراقة وأبو بردة بن نيار بعد أن شاهدا قتل عبد الله بن جبير . وسحق خالد تحت سنابك خيله هؤلاء القلة من الرماة ـ المخلصين ـ ثم

انقض من الخلف علىٰ المسلمين الذين لم يكن لهم من شاغل إلا السلب والنهب، ونظر ضرار بن الخطاب إلىٰ الجبل الذي كان عليه الرماة، ثم دخلوا العسكر فلم يكن أحد يردهم وقد وجدوا المسلمين آمنين فوضعوا فيهم السيوف .

وصاح فرسانه صيحة عرف بها المشركون المنهزمون بالتطور الجديد فانقلبوا علىٰ المسلمين، وأسرعت امرأة منهم ـ وهي عمرة بنت علقمة الحارثية ـ فرفعت لواء المشركين المطروح علىٰ التراب، فالتف حوله المشركون ولا ثوابه، وتنادى بعضهم بعضًا، حتى اجتمعوا علىٰ المسلمين، فأقبل أهل مكة الذين غمرهم الخزي من جبنهم إذ نظروا شجاعة تلك المرأة فأقبلوا ثانية إلىٰ الميدان، وثبتوا للقتال، وأحيط المسلمون من الأمام والخلف، ووقعوا بين شقي الرحى .

عبقرية الرسول مع الموقف المفاجئ:

وكان الرسول ﷺ حينئذ في مفرزة صغيرة ـ تسعة نفر من أصحابه[١] ـ في مؤخرة المسلمين[٢]، كان يرقب مجالدة المسلمين ومطاردتهم المشركين، إذ بوغت بفرسان خالد مباغتة كاملة، فكان أمامه طريقان: إما أن ينجو ـ بالسرعة ـ بنفسه فيدعوا أصحابه ليجمعهم حوله، ويتخذ بهم جبهة قوية يشق بها الطريق لجيشه المطوق إلىٰ هضاب أحد .

وهناك تجلت عبقرية الرسول ﷺ وشجاعته المنقطعة النظير، فقد رفع صوته ينادي أصحابه «**إلي عباد الله**»، وهو يعرف أن المشركين سوف يسمعون صوته قبل أن يسمعه المسلمون، ولكنه ناداهم ودعاهم مخاطرًا بنفسه في هذا الظرف الدقيق .

قمة العطاء والفداء والتضحية والدروس التي يستفيد منها القادة العسكريين

---

(١) في صحيح مسلم (٢/ ١٠٧) أنه ﷺ أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش هما: طلحة بن عبيد الله: سعد بن أبي وقاص .

(٢) يدل علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾ [آل عمران: الآية ١٥٣] ... .

بألا يجبنوا في المعركة إذ لاحت تباشير الهزيمة ـ وصدق الإمام علي بن أبي طالب حينما قال: "إذا حمى الوطيس، اتقينا برسول الله، فإنه يكون أقربنا إلىٰ العدو:" . نعم . قائد فذ لهذه الأمة صلى الله عليك يا حبيبي وقائدي وأستاذي ومعلمي يا رسول الله من محب لك .. اسمه متواضعًا بقوله ... أحمد عزوز أحمد محمد مصطفى الفرخ .

وفعلًا فقد علم به المشركون فخلصوا إليه، قبل أن يصل إليه المسلمون .

تشتت الموقف الإسلامي:

وانقلب وجه المعركة، فغدا ذلك اليوم عصيبًا، بعد أن بدأ بالبشر والإقبال، وفزع المسلمون إذ باغتهم المشركون من خلفهم، وحل فيهم الخوف والرعب، فلما وقعوا في التطويق طار صواب طائفة منهم، فلم تكن تهمها إلا نفسها، فقد أخذت طريق الفرار ـ للأسف ـ وتركت ساحة القتال، وهي لا تدري ماذا وراءها؟ وفرد من هذه الطائفة بعضهم إلىٰ المدينة حتى دخلها، وانطلق بعضهم إلىٰ ما فوق الجبل .

ورجعت طائفة أخرى فاختلطت بالمشركين، والتبس العسكران فلم يتميزا، فوقع القتل في المسلمين بعضهم من بعض . روى البخاري عن عائشة أم المؤمنين ﵂ قالت: لما كان يوم أحد هزم المشركون هزيمة بينة، فصاح إبليس أي عباد الله أخراكم ـ أي احترزوا من ورائكم ـ فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم، فبصر حذيفة، فإذا هو بأبيه اليمان، فقال: أي عباد الله أبي أبي. قالت: فوالله ما احتجزوا عنه حتى قتلوه، فقال حذيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ما صنعتم! قال عروة: فوالله ما زالت في حذيفة بقية حتى لحق بالله[1] . وإن الذي ضربه أبو زعنة ـ وكان اليمان ـ واسمه حسيل بن جابر ـ ذلك الشيخ الذي لحق برسول الله ﷺ طمعًا في الشهادة . ومع اختلط

(١) صحيح البخاري ١/٥٣٩، ٢/٥٨١، وفتح الباري ٧/٣٥١، ٣٦١، ٣٦٣ وذكر غير البخاري أن رسول الله ﷺ أراد أن يديه . فقال حذيفة: تصدقت بدينه علىٰ المسلمين . =

المسلمون وصاروا يقتلون ويضرب بعضهم بعضًا وما يشعرون بما يصنعون من الدهش والعجل، وجرح أسيد بن حضير جرحين ضربه أحدهما أبو بردة بن نيار وما يدري، يقول: خذها وأنا الغلام الأنصاري .

وكر أبو زعنه في حومة القتال فضرب أبا بردة ضربتين ما يشعر أنه هو، يقول: خذوها أنا أبو زعنه .

والتفت بعد ذلك علىٰ اليمان . وكسر قزمان جفن سيفه وجعل يقول:

الموت أحسن من الفرار . يا للأوس! قائلوا علىٰ الأحساب واصنعوا مثل ما أصنع .

ودخل بالسيف وسط المشركين فقال المسلمون:

قد قتل . وسرعان ما طلع يقول: أنا الغلام الظفري .

ثم عاد ليغوص في صفوف المشركين وغاب مدة فقال الناس: قد قتل . وما لبس أن طلع يصيح: أن الغلام الظفري .

ثم عاد ليغوص في صفوف المشركين وغاب مدة فقال الناس:

قد قتل . وما لبث أن طلع يصيح: أنا الغلام الظفري .

وأصاب كعب بن مالك الجراح، فلما رأى المشركين يمثلون بالمسلمين أشد المثل وأقبحها قام فتنحى عن القتلى، فإنه لفى موضعه أقبل خالد بن الأعلم العقيلي يحوش المسلمين يقول: استوا سقوا " اجتمعوا " كما يستوسق جرُبّ الغنم .

وهو مدجج في الحديد يصيح .

يا معشر قريش لا تقتلوا محمدًا، إنسروه أسرًا حتى نعرفه ما صنع .

= فزاد ذلك حذيفة خيرًا عند النبي ﷺ ... وإن بعد ذلك حذيفة بن اليمان بعد قتل عثمان بن عفان بأشهر، وكان أبوه إيمان اسمه، حسيل ابن جابر ربيعة بن عمرو بن جزوة . وقيل حزوة هو اليمان .

ويصمد له قزمان فيضربه بالسيف ضربة علىٰ عاتقه حتى يرى منه سحره[١] ثم أخذ سيفه وانصرف . فطلع عليه من المشركين فارس ما يرى منه إلا عيناه فحمل عليه قزمان فضربه ضربة جزله اثنين، فإذا هو الوليد بن العاص بن هشام المخزومي .

وهذه الطائفة حدث داخل صفوفها ارتباك شديد، وعمتها الفوضى، وتاه منها الكثيرون، لا يدرون أين يتوجهون، وبينما هو كذلك إذ سمعوا صائحًا يصيح: إن محمدًا قد قتل، فطارت بقية صوابهم، وانهارت الروح المعنوية أو كادت تنهار في نفوس كثيرة من أفرادها، فتوقف من توقف منهم عن القتال، وألقى بأسلحته مستكينًا وفكر آخرون في الاتصال بعبد الله بن أبي ـ رأس المنافقين ـ ليأخذ لهم الأمان من أبي سفيان .

ومر بهؤلاء أنس بن النضر ـ عم أنس بن مالك بن النضر خادم رسول الله ـ وقد ألقيا ما بأيديهم فقال: ما تنتظرون؟ فقالوا: قتل رسول الله ﷺ، قال: ما تصنعون بالحياة بعده، قوموا فموتوا علىٰ ما مات عليه رسول الله ﷺ، ثم قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء؟ يعني المسلمين، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء، يعني المشركين، ثم تقدم فلقيه سعد بن معاذ، فقال: أين يا أبا عمر؟ فقال أنس: واها لريح الجنة يا سعد، إني أجده دون أحد، ثم مضى فقاتل القوم حتى استشهد، فما عرف حتى عرفته أخته ـ بعد نهاية المعركة ـ ببنانه، وبه بضع وثمانون ما بين طعنة برمح، وضربه بسيف ورميه بسهم[٢] ـ بطل فارس يستشهد وبه كل هذه الجراحات أنها أوسمة البطولة علىٰ صدره .

قال أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ: فكنا نقول أنزل فيه هذه الآية ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] ، أنها فيه وفي أصحابه .

ونادى ثابت بن الدحداح قومه فقال: يا معشر الأنصار، إن كان محمد قد

(١) السحر: الرئة .

(٢) زاد المعاد ٢/٩٣، ٩٦، صحيح البخاري ٢/٥٧٩ .

قتل، فإن الله حي لا يموت، قاتلوا علىٰ دينكم، فإن الله مظفركم وناصركم، فنهض إليه جماعة من الأنصار، فحمل بهم علىٰ كتيبة فرسان فيها خالد بن الوليد وعمر بن العاص وعكرمة بن أبي جهل وضرار بن الخطاب فحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فقتله وقتل من كان معه من الأنصار .

وراح علي[1] بن أبي طالب يذب عن رسول الله من ناحية وأبو دجانة في ناحية يذب طائفة منهم، وانفرد علىٰ بفرقة كثيرة السلاح فيها عكرمة بن أبي جهل فدخل وسطهم بالسيف فضرب به، واشتملوا عليه حتى أفضى إلىٰ آخرهم ثم كر فيهم الثانية حتى رجع من حيث جاء، وكان الحباب بن المنذر بن الجموح يحشوهم كما تحاش الغنم وقد اشتملوا عليه حتى قيل: قد قتل .

ثم برز والسيف في يده وافترقوا عنه، وجعل يحمل علىٰ فرقة منهم وإنهم ليهربون منه إلىٰ جمع منهم وصار الحباب إلىٰ النبي ﷺ، وكان الحباب معلما بعصابة خضراء في مغفرة .

وأصيب عبد الرحمن بن عوف فيه فهتم وجرح عشرين جراحة فأكثر، وجرح في رجله فكان يعرج منها .

وراح الشماس بن عثمان يقاتل عن رسول الله وكان رسول الله ﷺ لا يأخذ يمينًا ولا شمالًا إلا رأى شماس بن عثمان في ذلك الوجه يذب بسيفه عنه، حتى غشي رسول الله صلىٰ الله عليه وآله، فترس من نفسه دونه حتى قتل .

ولقد تفرق الناس عندما صاح ابن قميئة ـ الملعون:

إن محمدًا قد قتل .

فمنهم من ورد المدينة، فكان أول من وردها يخبر أن محمدًا قد قتل سعد ابن عثمان أبو عبادة، ثم ورد بعده رجال حتى دخلوا علىٰ نسائهم حتى جعل

(١) كان أم شديد الأبرز من ثقيل العينين عظيمها، أقرب إلىٰ القصير من الطويل، ذا بطن، كثير الشعر، عظيم اللحدة، أصلع، أبيض ـ ٤٠ ـ الرأس واللحية .. قتل الإمام علىٰ غررًا يوم الجمعة وغسله ابناه وعبد الله بن جعفر، وصلى عليه الحسن، دفن في السحر وهو ابن ثمان وخمسين، ومات لا ألحن، فقل لا الحين .

النساء يقلن:

أعن رسول الله تفرون؟

وولى عثمان بن عفان ومع رجال أمثال الحارث بن حاطب وثعلبة بن حاطب وعقبة بن عثمان وخارجة بن عمر وأوس بن فيظي في نفر من بني حارثة، ولقبتهم أم أيمن[١] فراحت تحثي في وجوههم التراب وتقول لبعضهم:

هاك المغزل فاغزل به .

وكان رسول الله ﷺ، خلف ابن أم مكتوم[٢] علىٰ المدينة يصلي بالناس وكان أعمى، فجاء إلىٰ الذين فروا يقول مؤنبًا:

أعن رسول الله تفرون؟ دلوني علىٰ الطريق .

فدلوه، فجعل يستخبر كل من لقي في الطريق حتى لحق القوم وهو خائف أن يكون النبي ﷺ قد قتل حقا، فلما اطمأن إلىٰ سلامته عاد إلىٰ المدينة ليصلي بالناس ويؤنب الذين فروا عن رسول الله وأقبل عبد الله بن شهاب الزهري يقول:

دلوني علىٰ محمد، فلا نجوت إن نجا .

وإن رسول الله ﷺ إلىٰ جنبه ما معه أحد، ثم جاوزه، ولقي عبد الله بن شهاب صفوان بن أمية فقال له صفوان:

ترحت! هل ضربت محمدا فقطعت هذه الشافة فقد أمكنك الله منه .

---

(١) أم أيمن، واسمها بركة الحبشية تزوجت عبيدة بن زيد الحارث الحبشي فولدت له أيمن، وكنيت به، واستشهد أيمن يوم حنين، ثم تزوجها زيد بن حارثة بعد النبوة فولدت له أسامة .

(٢) أتى رسول الله ﷺ، ابن أم مكتوم، واسم أبيه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة . الفهري بن بني عامر بن لؤي وعنده صناديل قريش، عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل بن هشام، العباس بن عبد المطلب، أميه بن خلف، الوليد بن المغيرة وغيرهم، يدعوهم إلىٰ الإسلام رجاء أن يسلم بإسلام غيرهم فقال: يا رسول الله، أقرني وعلمني مما علمك الله، وهو لا يعلم تشاغله بالقوم، فكره رسول الله قطعه لكلامه، وعبس وأعرض عنه، فنزلت الآيات، فكان رسول الله يكرمه ويقول إذا رأه: مرحبًا بما عاتبني فيه ربي، ويقول له: هل لك من حاجة؟ واستخلف علىٰ المدينة مرتين .

وهل رأيته؟

نعم أنت إلىٰ جنبه.

والله ما رأيته، أحلف بالله إنه ممنوع. خرجنا أربعة تعاقدنا وتعاهدنا علىٰ قتله فلم نخلص إلىٰ ذلك[١].

وقتل قزمان من قريش سبعة وأصابته الجراحة وكثرت فيه، فوقع فمر به قتادة بن النعمان فقال له:

أبا الغيداق.

قال قزمان: لبيك، هنينا لك الشهادة. إني والله ما قاتلت يا أبا عمرو علىٰ دين، ما قاتلت إلا علىٰ الحفاظ، أن تسير قريش إلينا فتطأ سعفنا.

فآذته الجراحة فأخذ سهمًا من كنانته فقتل به نفسا، وصدق رسول الله ﷺ " فإنه كان يقول إذا ذكر له قزمان: «إنه من أهل النار».

فضرب الحباب بن المنذر جبَّار بن صخر ضربه في رأسه مثقلة وما يدري. ورأى المسلمون أن يظهروا شعارهم بينهم حتى لا يضرب بعضهم بعض فجعلوا يصيحون أمت ... أمت.

فكف بعضهم عن بعض ثم تفرقوا في كل وجه وتركوا ما انتهبوا وخلوا الأسرى وألقوا ما حملوا من غنائم، فإذا بالذهب قد تناثر في عسكر قريش وإذا بالنفائس تكسوا الأرض.

وقال رسول الله ﷺ:

من رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع؟ أفى الأحياء هو أم في الأموات؟

فقال مالك بن الدخشم:

أنا أنظر يا رسول الله ما فعل.

---

(١) زاد المعاد (٢/ ٩٧).

فنظر فوجده جريحًا في القتلى وبه رمق، فقال له:

إن رسول الله ﷺ، أمرني أن أنظر في الأحياء أنت أم في الأموات؟

أنا في الأموات فأبلغ رسول الله ﷺ مني السلام وقل له: إن سعد بن الربيع يقول: جزاك الله خيرًا عنا ما جزى نبيا عن أمته، وأبلغ قومك السلام عني وقل لهم:

إن سعد بن الربيع يقول لكم: لا عزر لكم عند الله أن يخلص إلىٰ نبيكم ومنكم عين تطرف.

فلم يبرح مالك بن الدخشم عنده حتى مات، ثم جاء إلىٰ رسول الله ﷺ، فأخبره فقال:

اللهم ارض عن سعد[(١)] بن الربيع.

وثبت رسول الله - ﷺ - لما تفرقت عنه أصحابه وصار يقول:

أنا رسول الله

فما يعرج إليه أحد والنبل يأتي إليه من كل ناحية، وقد ثبت معه طلحة بن عبيد الله يدور حول النبي ﷺ، يترس بنفسه لا يدري أيقوم من بين يديه أو من ورائه أم عن يمينه أم شماله، فيذب بالسيف عنه ههنا وههنا.

وجاء علي بن أبي طالب يدافع عن رسول الله عليه السلام، فلما التف حوله عليه السلام بعض أصحابه قصدته كتيبة من بني كنانة، فقال رسول الله ﷺ: **«يا علي اكفني هذه الكتيبة»**.

فحمل عليها وإنها لتقارب خمسين فارسًا وهو عليه السلام راجل. فما زال يتضر بها بالسيف حتى تفرقت عن رسول الله الحبيب. وقبل أن يلتقط علىٰ أنفاسه إذا بكتيبة من بني عبد مناة بن كنانة تقصد رسول الله فخف علي إلىٰ الفرسان وحمل عليهم فقتل خالد بن سفيان وأبا الشعثاء بن سفيان وأبا الحمراء بن

(١) هو: سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير، أحد النقباء شهد العقبة وبدرًا وأحد وقتل يومئذ.

سفيان أمرأته هي: عمرة بنت الحارث بن علقمة الكنانية هى التي رفعت الراية بعد سقوطها علىٰ الأرض وغراب بن سفيان، فلما رأى القوم مقتل بنى سفيان بن عوف الأربعة وسيف علىٰ البتار تفرقوا عن رسول الله ﷺ وإذا بصوت يدوي في المكان:

لا سَيفْ إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي[1]!

وبمثل هنا الاستبسال والتشجيع عادت إلىٰ جنود المسلمين روحهم المعنوية، ورجع إليهم رشدهم وصوابهم، فعدلوا عن فكرة الاستسلام أو الاتصال بابن أبي، وأخذوا سلاحهم، يهاجمون تيارات المشركين، وهم يحاولون شق الطريق إلىٰ مقر القيادة، وقد بلغهم أن خبر بمقتل النبي ﷺ كذب مختلق، فزادهم ذلك قوة علىٰ قوتهم، فنجحوا في الإفلات عن التطويق، وفي التجمع حول مركز منيع، بعد أن باشروا القتال المرير، وجالدوا بضراوة بالغة.

وكانت هناك طائفة ثالثة لم يكن يهمهم إلا رسول الله ﷺ. فتذكرت هذه الطائفة إلىٰ رسول الله ﷺ، وعمل التطويق في بدايته، وفي مقدمة هؤلاء الأبطال أبو بكر الصديق، عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وغيرهم كانوا في مقدمة المقاتلين، فلما أحسوا بالخطر علي ذاته الشريفة ـ عليه الصلاة والسلام ـ صاروا في مقدمة المدافعين.

شراسة القتال حول الرسول:

وبينما كانت تلك الطوائف تتلقي أوامر التطويق، وتطحن بين شقي رحى المشركين، كان العراك محتدمًا حول رسول الله ﷺ. وقد قال حماد بن سلمة،

---

(١) وأما ما ورد من أنه رضي الله تعالىٰ عنه ـ علي بن أبي طالب ـ في عام الحديبية وفي غزوة بن المصطلق قاتل الجن، وأن جبريل ﷺ قال يوم غزوة أحد، وهو صاعد إلىٰ السماء: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا عليّ، فهذا من الموضوع، كما ذكره ابن تيمية، يعني أن مغزاه موضوع لم يرد من طريق يعتد به، وإن كان المدح في عليٍّ لا يستكثر عليه، وذلك الإجماع علىٰ شجاعته وكرامته، والمراد بالفتى الشجاع السيد، وفي الحديث: إن ملكا يقال له رضوان نادى يوم بدر من السماء: لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار، وقال النبي ﷺ. أنا الفتي ابن الفتي أخو الفتي ابن الفتي، يعني إبراهيم ﷺ، وأخو الفتي يريد عليا كرم الله وجهه . انتهى وقد علمت ما في هذا الكلام، وإن كان لمعناه لا يستنثر علىٰ عليّ ﷺ.

عن ثابت وغيره، عن أنس: أن رسول الله ﷺ أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين[١] من قريش، فلما رهقوه ـ أى الكفار يريدون قتله ـ قيل: من يردهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة؟ فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، وتقدم آخر فقاتل حتى قتل، فلم يزل حتى قتل السبعة، حتى كان آخرهم زيادًا أو عمارة بن زياد ابن السكن. ثم فاءت من المسلمين فئة فأجهضوهم عنه، فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «أدنوه مني». فأدنوه، فوسده قدمه، فمات وخده علىٰ قدم رسول الله ﷺ.

وبعد سقوط ابن السكن بقي الرسول في القرشيين فقط، ففي الصحيحين عن أبي عثمان قال: لم يبق مع النبي ﷺ في بعض تلك الأيام التي يقاتل فيهن غير طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص[٢]. وكانت أحرج ساعة بالنسبة إلىٰ حياة الرسول.

وكان قد تعاقد وتعاهد من قريش علي قتل رسول الله ﷺ عبد الله بن شهاب الزهري وابن قميئة أحد بني الحارث بن فهر وعتبة بن أبي وقاص وأبي بن خلف الجمحي، فرمي عتبة بن أبي وقاص رسول الله ﷺ. بحجر فكسر رباعيته[٣].

وأقبل ابن قمئية وهو يقول:

دلوني علىٰ محمد، فوالذى يحلف به لئن رأيته لأقتله.

فوصل إلىٰ رسول الله ـ ﷺ ـ فعلاه بالسيف، ورماه عتبة بحجر فأدمي

(١) هما: طلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص .

(٢) عن سهل بن سعد، قال: جرح رسول الله ﷺ، وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم، وعلي يسكب الماء عليه بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، أخذت قطعة حصير أحرقته، حتى إذا صار رمادًا ألصقته بالجرح، فاستمسك الدم .

أخرجاه [1]، رواه مسلم من حديث سعيد بن أبي هلال عن أبي جابر عن سهل، قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد أصيبت رباعيته وهشمت بيضته . وذكر باقي الحديث [2] .

(٣) صحيح البخاري (١/ ٥٢٧، ٣/ ٥٨١) .

شفيته. وشجه ابن قميئة في وجهه حتى غاب حلق المغفر في وجنته. وكان عليه الصلاة والسلام فارسًا وهو لابس درعين مثقل بهما فوقع رسول الله ﷺ في حفرة كانت أمامه فأصيبت ركبتاه، جحشتا "خدشتا" لما وقع في تلك الحفرة، وكانت هناك حفر حفرها أبو عامر الفاسق كالخنادق للمسلمين، وكان رسول الله - ﷺ - واقفا علىٰ بعضها وهو لا يشعر. ولم يفعل سيف ابن قمئه شيئًا. وقال له رسول الله ﷺ «أقماك الله[1]».

وتوارى رسول الله ﷺ في الحفرة فجاء إليه طلحة وعلي بن أبي طالب فراح طلحة يحمله من ورائه وعلي بن أبي طالب يأخذ بيديه حتى استوى قائما والدم يسيل من الشجه التي في جبهته حتى أخضل لحيته. وخف سالم مولى أبي حذيفة يغسل الدم عن وجهه ورسول الله يقول:

«كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلىٰ الله تعالىٰ؟»

فأنزل الله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران: ١٢٨] وفى الصحيح أنه ﷺ كسرت رباعيته وشجع في رأسه، فجعل يسلت الدم عنه ودعا عليهم بالدعاء السابق ذكره. - قدر - رسول الله ﷺ - يحكى أن السلطان محمود الأول الغازي - سلطان عثماني حكم من سنة ١٧٣٠ حتى ١٧٥٤ م، وهو السلطان العثماني الرابع والعشرون - ذهب إلىٰ الشيخ أبي الحسن الخرقاني ليزوره، فقال: حدثنا حديثا عن أبي يزيد[2] لنسمعه منك، فقال الشيخ: كان أبو يزيد رجلا من أبصره نجا، ومن نظر إليه اهتدي . فقال السلطان محمود: أهو أعظم من حضرة محمد ﷺ، فقد كان

---

(١) وقد سمع الله سبحانه وتعالى دعاء رسوله ﷺ - فعن ابن عائذ أن ابن فمنة "انصرف إلى أهله فخرج إلى غنمه فوافاها على ذروة جبل فدخل فيها، فشد عليه تيسها فنطحه نطحة أرداه من شاهق الجبل فتقضع (فتح الباري ٧/ ٧١٣) وعند الطبراني: فسلط الله عليه تيس جبل، فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة (فتح الباري ٧/ ٣٣٦) . و"أقماك الله": أذلك الله .

(٢) اقرأ عن أبي يزيد البسلماني: حلية الأولياء (١٠/ ٣٣)، ميزان الاعتدال (٢/ ٣٤٦)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٨٦)، البداية والنهاية ٣.

أبو جهل وغيره من الكفار يبصرونه وينظرون إليه كمال النظر ولم ينجوا، بل ماتوا علىٰ الكفر! فأجابه الشيخ، بأن هؤلاء كانوا لا يبصرون تلك الحضرة، بل كانوا يبصرون محمد بن عبد الله، وينظرون إليه بالنظر إلىٰ أنه رجل من بني آدم حتى لو كانوا أبصروه بوصفه كونه محمدًا رسول الله لفازوا بالسعادات ونجوا من الشبهات وتنحو عن الضلالات.

ومصدق ذلك قوله جل ذكره. ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: الآية ١٩٨] وتحقيق ذلك أن الجنة الإنسانية والصورة البشرية الجسمانية يشترك فيها الأنبياء والأولياء والعلماء، وتستوي فيها الخاصة والعامة، وإنما الذي يناط به مراتب الرجال ويظهر تفاوت الأقدار هو المعاني والكمالات الحاصلة للإنسان، مع تفاوتها وتكثرها، المتعلقة بالقرب الإلهي، ولا يعرف صاحب هذه الأوصاف إلا الكاملون، فمن غرق في بحار الضلالات، وانغمس في تيه الجهالات، كيف يعرف كمية المتصف بصفات الكمالات.

فغير الاستمرار علىٰ الإيذاء لجسمه الشريف تعرضوا دائمًا لرميه بالسحر والكهانة والجنون، بعدما سبق منهم قبل النبوة أنهم كانوا ينظرون إليه نظر كمال وإجلال حتى سموه بالأمين قبل النبوة، واشتهر عندهم بهذا العنوان، ولم يجربوا عليه بعد إشهاره بذلك خللًا ولا نقصًا، فتناقض أمرهم فيه واختل اعتقادهم بعد النبوة، لعمي بصيرتهم، ورجعوا وصفوه بالجنون مثلًا، ولم يكن لهم شبهة في ذلك إلا ما رأوه منه عند نزول الوحي من الاستغراق لتلقيه، ومن حمرة الوجه، وكثرة الغطيط، فعميت قلوبهم عند إدراك الفرق بين حالة نزول المَلَك وحالة الجنون، مما لا يخفي علي أدني عاقل، فكانوا ينظرونه كأنه رجل من بني آدم، ولا يلتفتون إلىٰ امانته ولا إلىٰ وصف النبوة، فالمبالغة فى أذىٰ قريش للمسلمين هي التي أوجبت الهجرة إلىٰ الحبشة مرتين، كما أن المبالغة خصوصًا في إيذائه ﷺ هي التي أوجبت الهجرة إلىٰ الطائف ثم إلىٰ يثرب هكذا كان كفار مكة وغير هم من الأعراب تنظرون ـ إليه ـ وهذا هو فرق الإيمان.

وفي رواية الطبراني أنه قال يومئذ: «**أشتد غضب الله علىٰ قوم دموا وجه رسوله**»، ثم مكث ساعة ثم قال: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»[١]، وفي صحيح مسلم أنه قال: «**رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»[٢]. وفي الشفاء للقاضي عياض أنه قيل: «**اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون**»[٣].

ونثل رسول الله ﷺ كنانته وقال: «**ارم فداك أبي وأمي**»[٤] . ويدل علىٰ مدى كفاءته أن النبي ﷺ لم يجمع أبويه لأحد غير سعد[٥].

وكذلك طلحة بن عبيد الله كان كالليث يدافع عن رسول الله حتى ضربت يداه وقطعت أصابعه، فقال: حَسَّ[٦]، فقال النبي ﷺ: «**لو قلت بسم الله أو ذكرت اسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون إليك حتى تلج بك في جو السماء**» . ووقع عند الحاكم في الإكليل أنه جرح يوم أُحُد تسعا وثلاثين أو خمسا وثلاثين، وشلت إصبعه، أي السبابة والتي تليها[٧] .

وروي الترمذي وابن ماجه أن النبي - ﷺ - قيل فيه يومئذ: «**من أحب أن ينظر إلىٰ شهيد يمشي علىٰ وجه الأرض فلينظر إلىٰ طلحة بن عبيد الله**»[٨]. وروي البخاري عن قيس بن أبي حازم قال: رأيت يد طلحة شلاء، وقي بها النبي ﷺ يوم أحد[٩]. وروي أبو داود الطيالسي عن عائشة قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال: ذلك

---

(١) فتح البارى ٣٧٣/٧.

(٢) صحيح مسلم: باب غزوة أحد ١٠٨/٢.

(٣) كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٨١/١.

(٤) (٥) صحيح البخارى ٤٠٧/١، ٤٠٨، ٥٨١.

(٦) حس: (بفتح الحاء وكسر السين وترك التنوين) وهي كلمة تقال عند التوجع والألم (فتح الباري ٣٦١/٧ وسنن النسائي ٥٢/٢).

(٧) فتح الباري ٣٦١/٧.

(٨) الترمذي: مناقب ح (٣٧٤٠) و ابن ماجه: المقدمة ح (١٢٥) هو: طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي.

(٩) صحيح البخاري ٥٢٧/١، ٥٨١.

اليوم كله لطلحة[١].

وقال فيه أبو بكر الصديق ﷺ أيضًا:

يا طلحة بن عبيد الله قد وجبت لك الجنان وبوئت المها العينا[٢]

ومما يذكر أيضًا لهذا الصحابي الجليل حرصه علىٰ حياة رسول الله ﷺ ، فلقد تمكن عبدالله بن قمئة، وهو أحد المكيين الذين يمقتون رسول الله والإسلام، من أن ينسل خلف الصحابة وهجم علي رسول الله، شاهرا سيفه، فبدأ كأن المثل الإسلامية العليا علىٰ وشك الانتهاء ـ كان موتورا بقتل الرسول ﷺ طوال المعركة، وكان يفعل ذلك علىٰ فترات متقطعة ـ ولكن طلحة هذا الليث الباسل، القى بنفسه بسرعة البرق أمام قائده رسول الله، وتلقى الضربة عنه، وصدم رسول الله في اندفاعه، فألقاه فاقد الوعي، وكان ابن قمئة ـ لعنه الله ورسوله والمؤمنون إلىٰ يوم الدين ـ مأخوذًا حتى إنه لم يتمكن من التأكد مما حدث، فجعل ينحدر سريعًا من فوق التل وهو يصيح: إنه قتل محمدا. ومن الغريب أن هذا البلاغ أنقذ هزيمة المسلمين من أن تتحول إلىٰ كارثة، فإنه أوقف برهة محاولات المسلمين للقيام بهجوم مضاد، كما أوقف العدو عن العمل، دائمًا وأبدا ـ لا ينسى الله سبحانه وتعالىٰ ـ رسوله الكريم ﷺ في احلك اللحظات وكذا ـ المسلمين ـ لذا لا بد من اتباع وسماع كلامه . سمحنا في تقصرينا أيها الحبيب وصلى الله عليك وعلىٰ أهلك وسلم تسليمًا كثيرًا.

والبطولات كثيرة منها.

وكانت عمارة[٣] المازينة زوج زيد بن عاصم قد خرجت يوم أحد لتنظر ما

---

(١) فتح الباري ٧/٣٦١.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٧/٨٢ والعين: بقر الوحشي .. قتل طلحة يوم الجمل، وكان يوم الخميس لعشرة خلون من جمادى الآخرى سنة ست وثلاثين. ويقال: سهما غربا أتاه فوقع في حلقه، فقال: بسم الله، وكان أمر الله قررا مقدورًا ويقال: إن مروان بن الحكم قتله . ودفن بالبصرة وهو ابن ستين.

(٣) تحلت بالشجاعة متمسكة بطاعة الله عز وجل ورسوله ﷺ، مجاهدة وصحابية جليلة

يصنع الناس ومعها سقاء فيه ماء تسقط به الجرحى، فانتهت إلىٰ رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والريح للمسلمين. فلما انهزم المسلمون انحازت إلىٰ رسول الله فقامت تباشر القتال وتذب عنه بالسيف وترمى عن القوس ـ انظر أيها القارئ العزيز لصنيع المرأة في الإسلام، وكيف تكافح؟ هذه أنموذج للمرأة في الإسلام كما تحدث عنها. لا المرأة في عالم اليوم، عالم الموضة، والسينما وأشياء أخري يعف اللسان عن ذكرها... وكان الناس قد ولوا عن رسول الله فأقبل هذا ـ الموتور ـ ابن قمئة الليثي يقول:

دلوني علىٰ محمد فلا نجوت إن نجا

فاعترضت له ـ هي ـ ومصعب بن عمير فضربها ابن قميئة ضربة علىٰ عاتقها ـ أنظر معي إلىٰ هذا الموقف ـ وحلل ـ وموقف الصحابي الجليل أبو دجانة ـ عندما رأى هند بنت عتبة، وهي تحمس الجنود ضد المسلمين، لم يضربها.... واكرم سيف رسول الله...

هذا فارس تعلم في مدرسة الفروسية عميدها محمد رسول الله ﷺ، والآخر جلف، وجايف، ولص، وسارق، وجبان، تعلم ودرس في مدرسة الجاهلية مدرسيها أبي جهل، أبي لهب، أبي بن خلف، وأبي سفيان... وغيرهم ـ ضربة تركت جرحا أجوف فأصابها وضربته ضربات ولكن كان عليه درعان

= ذات صلاح ودين واجتهاد واعتماد علىٰ النفس. هى نسيبة بنت كعب بن عمرو بن مازن، من بني النجار، الأنصارية الخزرجية، وهي أخت الصحابي أبي بن كعب، وكانت كنيتها أم عمارة، زوجها زيد بن عاصم وابناها حبيب وعبد الله.

شهدت العقبة الثانية، وبايعت رسول الله ﷺ، وشهدت أحدا، وابلت بلاء حسنا، تقاتل أشد القتال وأنها لحاجزة ثوبها علىٰ وسطها حتى جرحت ثلاثة عشر جرحا. وشهدت أيضًا بيعة الرضوان. ثم شهدت قتال مسيلمة الكذاب باليمامة، وذلك لما تهيأ خالد بن الوليد للخروج إلىٰ اليمامة . جاءت إلىٰ أبي بكر الصديق فاستأذنته للخروج، فقال قد عرفنا جزاءك في الحرب فاخرجي علىٰ اسم الله وأوصي خالد بن الوليد بها. وقد جاهدت باليمامة أجل جهاد وجرحت أحد عشر جرحا وقطعت يدها وقتل ولدها . ولما قدمت المدينة وبها الجراح روئي أبو بكر يأتيها يسأل عنها وهو يؤمئذ خليفة المسلمين. وروت عن النبي ﷺ وروي عنها الحارث بن عبد الله بن كعب وعكرمة مولي ابن عباس غيرهم. ما هذه النوعية من البشر؟!.. هذه هي نساء الإسلام. رباهن وعلمهن رسول الله ﷺ.. يا رب ارزقنا مثل هذه النوعية.

فنجا . ما أعظمك أيها المرأة العظيمة، فلم تنفذ إليه الجراح وبقيت أم عمارة تقاتل حتى أصابها اثنا عشر جرحا.

والتفت رسول الله إلىٰ ابن عمارة، فقال: **«يا بن عمارة»**

نعم

ارم.

فرمى بين يديه رجلا من المشركين بحجر وهو علىٰ فرس. فأصيبت عين الفرس حتى وقع هو وصاحبه، وجعل يعلوه بالحجارة حتى كاد يغطيه والنبي - ﷺ - ينظر إليه ويبتسم، فنظر ﷺ إلىٰ جرح بأمه علىٰ عاتقها فقال:

«أمك... أمك... أعصب جرحها بارك الله عليكم من أهل بيتك.»

فقالت أم عمارة:

ادع لنا الله يا رسول الله أن نرافقك في الجنة.

«اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة».

وكان سهل بن حنُيْف أحد الرماة الأبطال، بايع رسول الله ﷺ علىٰ الموت، ثم قام بدور فعال في ذود المشركين.

وكان رسول الله ﷺ يباشر الرماية بنفسه، فعن قتادة بن النعمان: أن رسول الله رمى عن قوسه حتى اندقت سِيَتْها[(١)]، فأخذها قتادة بن النعمان، فكانت عنده، وأصيبت يومئذ عينه حتى وقعت علىٰ وجَنْته، فردها رسول الله ﷺ بيده، فكانت أحسن عينيه وأحَدَّهُما[(٢)].

وفي ذلك الظرف الدقيق والساعة الحرجة أنزل سبحانه وتعالىٰ نصره

(١) سيتها: ما عطف من طرفيها.

(٢) عن أبي سعيد الخدري عن قتادة بن النعمان، وكان أخا أبي سعيد لأمه، أن عينه ذهبت يوم أحد، فجاء بها إلىٰ النبي ﷺ فردها، فاستقامت. كذلك عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن أبيه، عن قتادة بن النعمان، أنه أصيبت عينه يوم بدر، فسألت حدقته علىٰ وجنته، فأرادوا أن يقطعوا، فسألوا النبي ﷺ فقال: لا، فدعا به فغمز حدقته براحته. فكان لا يدري أي عينيه اصيبت.

بالغيب، ففي الصحيحين عن سعد، قال: «**رأيت رسول الله - ﷺ - يوم أحد، ومعه رجلان يقاتلان عنه، عليهما ثياب بيض كأشد القتال، ما رأيتهما قبلُ ولا بعد**»، وفي رواية: "يعني جبريل وميكائيل"[١] عليهما السلام.

وحرص سعد بن أبي وقاص على قتل أخيه حرصا ما حرص على شيء قط، فراح يتخرق صفوف المشركين يطلب أخاه ليقتله، ولكنه راغ منه روغان الثعلب، فراح سعد يتخرقُ صفوف المشركين مرة ثانية وعتبه بن أبي وقاص يفر من أمامه فلما كانت المرة الثالثة قال له رسول الله:

يا عبد الله ما تريد؟ أتريد أن تقتل نفسك؟

فكف سعد عن طلب أخيه.

لكن كان هناك - صقر - رأى ذلك حتى بصر عتبة، وتبعه، وكان ذلك الصقر المسلم الفارس المغوار ذو الهمة والغيرة علي قائده في كل شيء ﷺ ألا - وهو - الصحابي الجليل حاطب[٢] بن أبي بلتعه، وكيف لهذا العتبة[٣] يكسر رباعية الحبيب - تلك الرباعية الشريفة - فضربه بالسيف حتى طرح رأسه، ثم أخذ فرسه وسيفه، رغم حرص سعد على قتل أخيه، إلا أنه لم يظفر به، بل ظفر به حاطب.

وقعت كل هذه اللحظات بسرعة هائلة في لحظات خاطفة سريعة جدًا، وإلا

---

(١) صحيح البخاري (٢/ ٥٨٠)، (٤٠٥٤) ونحوه عند مسلم: الفضائل ١٠٨٢/ ٤ ح (٤٦، ٤٧).

(٢) وروي حاطب بن أبي بلتعه عن النبي ﷺ أنه قال: «**من رآني بعد موتي فكأنما رآني في حياتي، ومن مات في أحد الحرمين بعث في الآمنين يوم القيامة**». وليس له غير هذا الحديث.... ودعا له النبي ﷺ يوم أحد فقال: «**رضي الله عنك... رضي الله عنك**» وحاطب اسمه: عمرو بن عمير بن سلمة اللخمي.

(٣) من تهذيب تاريخ دمشق (٧/ ٧٧)، - طلحة بن عبيد الله وأبو بكر الصديق أبناء عم، فهما من قبيلة تيم انظر أيها القارئ الحبيب ماذا يتمني أبن العم لابن عمه؟.. وما نراه في حياتنا اليومية من أماني الأقارب والأخوة لبعضهما البعض.. اللهم اهدي قومي فإنهم لا يعرفون ولا يعلمون ولا يدركون. وحاطب بن أبي بلتعه يعرفه أهل مصر جيدا - فهو رسول الله - ﷺ - إلى المقوقس حاكم مصر ليعرض عليه الإسلام، ولما حضر ومعه الهدايا إلى رسول الله ﷺ، نظر رسول الله إلى مارية وأختها سيرين فأعجباه، وكره الجمع بينهما، ثم عرض الإسلام عليهما فأسلمت مارية قبل سيرين، وتسري بها، قال ﷺ: «**لو بقي إبراهيم ما تركت قبطيا إلا وضعت عنه الجزية**».

فالمصطفون الأخيار من صحابته ﷺ ـ الذين كانوا في مقدمة صفوف المسلمين عند القتال ـ لم يكادوا يرون تغير الموقف، أو يسمعوا صوته ـ ﷺ ـ حتى أسرعوا إليه، لئلا يصل إليه شيء يكرهونه، إلا أنهم وصلوا وقد لقي رسول الله ـ ﷺ ـ ما لقي من الجراحات ـ وستة من الأنصار قد قتلوا والسابع قد أثبتته الجراحات، وكاتب هذه السطور، أحمد عزوز أحمد مصطفى الفرخ كان يود أن يكون الثامن مثل أعمامه الأنصار السابعة الشهداء السابقين، بل كان يود أن يكون الأول مدافعًا عن قائده، وقائد هذه الأمة صلى الله عليك يا حبيبي ... وسعد وطلحة يكافحان أشد الكفاح ـ فما وصلوا أقاموا حوله سياجًا من أجسادهم وسلاحهم، وبالغوا في وقايته منه ضربات العدو، ورد هجماته. وكان أول من رجع إليه هو ثانيه في الغار أبو بكر الصديق، نعم هو أول في كل شيء في هذه الأمة... أمة الإسلام... رحماك الله أيها الصديق ورضي الله عنك من كاتب هذه السطور.

روى ابن حبان في صحيحه عن عائشة قالت: قال أبو بكر الصديق: لما كان يوم أحد انصرف الناس كلهم عن النبي ـ ﷺ ـ فكنت أول من فاء إلىٰ النبي ﷺ، فرأيت بين يديه رجلا يقاتل عنه ويحميه، قلت: كن طلحة، فداك أبي وأمي ، كن طلحة، فداك أبي وأمي (حيث فاتني ما فاتني) فقلت: يكون رجل من قومي أحب إلي[١].

فلم أنشب أن أدركني أبو عبيدة بن الجراح، وإذا هو يشتد كأنه طير حتى لحقني، فدفعنا إلىٰ النبي ﷺ، فإذا طلحة بين يديه صريعًا، فقال النبي ﷺ: «**دونكم أخاكم فقد أوجب**»، وقد رمي النبي ﷺ في وجنته حتى غابت حلقتان

---

(١) قال ابن إسحاق: قال حسان بن ثابت

إذا الله جازيَ مَعشرًا بفعالهم ... ونصرهم الرحمن رب المشارقِ
فأخزاك ربي يا عُتيبَ بن مالك ... ولقاك قبل الموت إحدىَ الصواعق
بسطت يمينا للنبي تعمَّدًا ... فأدمت فاهُ، قطعت بالبوارق
فهلا ذكرت الله والمنزل الذي ... تصير إليه عند إحدى البوائق

من حلق المغفر في وجنته، فذهبت لأنزعهما عن النبي ﷺ فقال أبو عبيدة: نشدتك بالله يا أبا بكر، إلا تركتني، قال: فأخذ بفيه، فنذرت ثنية أبي عبيدة؟ قال أبو بكر:

ثم ذهبت لأخذ الآخر، فقال أبو عبيدة: نشدتك بالله يا أبا بكر، إلا تركتني، قال: فأخذه فجعل ينضضه حتى استله، فنذرت ثنية أبي عبيدة الأخرى فصار أبو عبيدة في الناس أثرم، ثم قال رسول الله ﷺ: «**دونكم أخاكم، فقد أوجب**»، قال: فأقبلنا على طلحة نعالجه، وقد أصابته عشرة ضربة[١] .

وفي تهذيب تاريخ دمشق[٢]: فأتيناه في بعض تلك الحفار فإذا به بضع وستون أو أقل أو أكثر، بين طعنة ورمية وضربة، وإذا قد قطعت إصبعه، فأصلحنا من شأنه.

وخلال هذه اللحظات الحرجة اجتمع حول النبي - ﷺ - كوكبة من أبطال المسلمين منهم أبو دجانة وعلي بن أبي طالب[٣]، ومصعب بن عمير، وسهل بن حنيف، ومالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري، وأم عمارة نسيبة بنت كعب المازينة، وقتادة بن النعمان، وعمر بن الخطاب، وحاطب بن أبي بلتعه، وأبو طلحة وغيرهم.

وكان أبو طلحة الأنصارى النجاري معدودًا من الرماة في الصحابة، وكان ممن تضرب بشجاعته الأمثال، وكان أكثر الأنصار مالًا، واسمه زيد، شهد العقبة ثم شهد بدرا وما بعدها من المشاهد، وهو القائل:

أنا أبو طلحة واسمي زيد   وكل يوم في سلاحي صيد

---

(١) زاد المعاد ٩٥/ ٢.

(٢) ٧٨/ ٧.

(٣) قال علي بن أبي طالب: لما أنجلي الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد نظرت القتلى فلم أر رسول ﷺ فقلت: والله ما كان ليفر، وما أراه في القتلى، ولكن الله غضب علينا بما صنعنا، فرفع نبيه ﷺ، فما في خير من أن أقاتل حتى أقتل، فكسرت جفن سيفي، ثم حملت على القوم فافرجوا لي، فإذا أنا برسول الله ﷺ بينهم. مسند أبي يعلى ح (٥٤٦).

وعن أنس أن أبا طلحة قرأ سورة براءة فأتىٰ علىٰ قوله ﷻ: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١] قيل: لا أرى ربنا إلا أن يستنفرنا شبانًا وشيوخًا، يا بني جهزوني جهزوني ـ (وكانت الغزوات في صدر الإسلام متواترة برية وبحرية)، ـ فغزا في البحر فمات، فلم يجدوا جزيرة يدفنونه بها إلا بعد سبعة أيام، فدفنوه فيها وهو لم يتغير، وهذا رأي البصرة، والمعلوم عند غيرهم أنه توفي بالمدينة، وكانت وفاته سنة أربع وثلاثين، وهو ابن سبعين سنة، وصلى عليه عثمان بن عفان ﷺ. وعن أنس بن مالك: كان طلحة يحثو بين يدي رسول الله ﷺ ويقول: نفسي لنفسك الفداء، ووجهي لوجهك الوفاء، ثم ينثر كنانته بين يديه، فقال النبي ﷺ: «**صوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة**». وعن أنس أيضًا أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين: «**من قتل قتيلًا فله سلبه**»، فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلًا وأخذ أسلابهم.

وكذلك فعل بنو زهرة أخوال النبي الأفاعيل برسول الله ـ ﷺ ـ فقد حركهم أبو سفيان وهاجهم علىٰ الشر لأنهم رجعوا يوم بدر من الطريق إلىٰ مكة فلم يشهدوها ، فاعترض عيرهم ومنعهم عنها وأغري بهم سفهاء أهل مكة فعيروهم برجوعهم ونسبوهم إلىٰ الجبن وإلى موالاة محمد ـ ﷺ ـ فأرادوا أن يعلنوا علىٰ الملأ أنهم ليسوا بجبناء وأنهم علىٰ مثل رأي قريش في محمد ﷺ.

وأقبل عبد الله بن حميد بن زهير حين رأى رسول الله ﷺ قد سقط من ضربة ابن قميئة يركض فرسه مقنعا في الحديد يقول:

أنا ابن زهير. دلوني علىٰ محمد فو الله لأقتله أو لأموتن دونه.

فتعرض له أبو دجانة فقال:

هلم إلىٰ من يقي نفس محمد ﷺ بنفسه.

فضرب فرسه فعرقبها[1] فاكتسعت، ثم علاه بالسيف وهو يقول:

---

(١) عرقبها: ضرب عرقوبها، والعرقوب من رجل الناقة بمنزلة الركبة في يدها.

خذها وأنا ابن خرشه

وقتل عبد الله بن حميد ورسول الله ينظر ويقول:

«اللهم ارض عن ابن خرشه كما أنا عنه راضٍ».

وقاتل بضراوة وبسالة منقطعة النظير مصعب بن عمير وكان يحمل لواء المسلمين، وثبت به، لقد شهد مصعب مع رسول الله ﷺ من قبل موقعة بدر، ثم موقعة أحد، وكان لواء المسلمين بيده، وحرص مصعب علىٰ اللواء أشد من حرصه علىٰ نفسه، إنه أن يبقى اللواء مرفوعا ليعرف المسلمين أن كفتهم راجحة وموقفهم ثابت.

واشتدت صدمة قريش للمسلمين بعد الجولة الأولى الناجحة التي كانت لهم كما ذكرنا سلفا، ثم انكشف المسلمون، وتفرقوا عن لوائهم، ولكن مصعبا ثبت قدمه في الأرض، فهو لا يزول ولا يميل. وجاء ابن قميئة وكان فارسا فضربه علىٰ يده بالسيف فقطعها، فأخذ مصعب اللواء بيده الأخرى. وحرص علي أن يظل مرفوعا، فأقبل ابن قميئة وضربه علىٰ يده الأخرى، فثبت مصعب قدميه في الأرض وضم علىٰ اللواء عضديه وظل اللواء مرفوعا ، وكر عليه ابن قميئة مرة ثالثة، فأنفذ الرمح في صدره فسقط مصعب ولكن أخاه أبا الروم(١) تلقي منه اللواء ورفعه وما زال مرفوعا حتى وصل إلىٰ المدينة.

ولقد تجلت بطولة مصعب في معركة أحد، وظل ثابتًا في موقفه حتى استشهد بطلا شجاعًا.

وحين أرادوا مواراته في التراب لم يكن له كفن، وإنما هو ثوب قصير إن

---

(١) أبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، وهو أخو مصعب بن عمير رضي الله عنهما ، وأمه أم ولد من الروم . أسلم قديما بمكة، وهاجر مع اخيه مصعب إلىٰ الحبشة وعاد إلىٰ مكة ثم هاجر إلىٰ المدينة. أول مشاهدة مع النبي ﷺ موقعة أحد، وفيها أبلى بلاء حسنا وهو الذي التقط اللواء من أخيه مصعب بعد مصرعه فرفعه وظل مرفوعا بيده حتى دخل به المدينة مع المسلمين بعد انتهاء المعركة.

وشهد بقية المشاهد مع رسول الله ﷺ. واستأنف الجهاد بعد وفاة رسول الله فقد شارك في الفتوحات الإسلامية واستشهد في معركة اليرموك . راجع ترجمته في أشد الغابة ج٦ ص ١١٣/ الاستيعاب ج٤.

أخفى رأسه أظهر رجليه، وإن أخفى رجليه أظهر رأسه .

فأمر النبي ﷺ أن يغطى أعلاه بالثوب وأن يلف أسفله برطب الكلأ وقال: "إن رسول الله شهد أنكم الشهداء عند الله يوم القيامه وتلا قوله تعالىٰ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٢٣] .

ويذكر ابن سعد فى استبسال مصعب في حمل اللواء وحرصه عليه فيقول: إن مصعب بن عمير حين وقف باللواء في ميدان المعركة، وجال المسلمون ثبت به مصعب فأقبل ابن قميئة وهو فارس فضرب يده اليمنى فقطعها ومصعب يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنا عليه فضرب ابن قميئة يده اليسرى فقطعها فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدريه وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ .

ثم حمل عليه الثالثة فانفذه واندق الرمح ووقع مصعب وسقط اللواء، وابتدره رجلان من بني عبد الدار: سويبط بن سعد بن حرمله وأبو الروم بن عمير. فأخذه ابو الروم بن عمير فلم يزل بيده حتى دخل به المدينة حين انصرف المسلمون وعندما قتله ابن قمئة، ظنه رسول الله ـ لشبهه به ـ فانصرف وهو يصيح: إن قتل محمد.

قال محمد بن عمر: ما نزلت هذه الآية ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ يومئذ حتى نزلت بعد ذلك.

وروى ابن سعد أيضًا قال: أعطى رسول الله ﷺ يوم أحد مصعب بن عمير اللواء فقتل مصعب فأخذه ملك في صورة مصعب، فجعل رسول الله ﷺ يقول له في آخر النهار: تقدم يا مصعب، فالتفت إليه الملك فقيل: لست بمصعب. فعرف رسول الله ﷺ أنه ملك أيد به.

رثاء النبي ﷺ لمصعب:

وقف رسول الله ﷺ وهو يراه في برده مقتول فقال: «**رأيتنا بمكة وما بها أحد أرق حلة ولا أحسن لمة منك، ثم أنت شعث الرأس في بردة**» ثم أمر به أن يقبر، فنزل في قبره أخوه أبو الروم بن عمير وعامر بن ربيعه وسويبط بن سعد ابن حرملة.

وقد نزل فيه من القرآن، آيات بينات، وقال العلماء: قوله تعالىٰ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣] نزلت في مصعب بن عمير وأصحابه من المؤمنين.

وقد اعترف الصحابة بفضل مصعب بن عمير، فلقد قال سعد بن أبي وقاص: كنا قوما يصيبنا ظلف العيش بمكة مع رسول الله ﷺ فلما أصابنا البلاء اعترفنا، ومررنا عليه فصبونا، وكان مصعب أنعم غلام بمكة وأجوده حلة مع أبويه، ثم لقد رأيته جهد في الإسلام جهدا شديدا، حتى لقد رأيت جلده يتحشف كما يتحشف جلد الحية.

وعن الواقدي قال: كان مصعب بن عمير فتى مكة شبابًا وجمالًا وسبيبًا ـ ثوبًا رقيقًا ـ وكان أبواه يحبانه وكانت أمه تكسوه أحسن ما يكون من الثياب، وكان أعطر أهل مكة.

وكان النبي ﷺ حين يرى مصعب بن عمير يرق له ويشفق عليه نظرًا لما كان عليه من نعمة ثم تبدلت به الحال بعد الإسلام فذاق شظف العيش ومرارة الجوع وحر الأذى ، حتى تشقق جلدته وتغير لونه. وروى الأعمش عن أبى وائل عن خباب[1] بن الأرت قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغي وجه الله ﷻ فوقع أجرنا علىٰ الله، فمنا من مات لم يأكل من أجره شيئًا، ومنا

(١) خباب بن الأرت بن جندلة قيل كان سادس ستة في الإسلام، توفي بالكوفة سنة سابع وثلاثين، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، وصلى عليه علي بن أبي طالب حين منصرفه من معركة صفين، وهو أو لعن قبر بظهر الكوفة.

من أينعت ثمرته فهو يهْدُبها ـ أي يجنيها ـ وإن مصعب بن عمير مات ولم يترك ثوبًا، كان إذا غطوا رأسه خرجت رجلاه وإذا غطوا به رجليه خرج رأسه، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**غطوا رأسه واجعلوا علىٰ رجيله الإذخر**»[1].

يقول خباب هذا يرثي لنفسه أن ذاق الدنيا فنقصت من أجره في الآخرة.

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يدرك هذا ويرى أن طيبات الدنيا تأخذ من نصيب الآخرة، فقد قيل له مرة: لماذا لم تنل من طيبات الدنيا فقال: إني رأيت الله سبحانه وتعالىٰ حرم أقواما من طيبات الآخرة وقال لهم: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٠].

واستشهد هذا الصحابي الكريم الجليل وكانت سنه حين استشهد أربعين سنة.

ولم يترك مصعب ذرية إلا فتاة اسمها زينب.

وأمها حمنة بنت جحش، وهي أخت زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ وأم المؤمنين.

ولم يكن لمصعب زوج سوى حمنة واستشهد عنها يوم أحد فجزعت عليه. وقد لقت رسول الله وهو قادم في الطريق للمدينة، فنعي إليها أخوها عبد الله بن جحش فاسترجعت واستغرقت له، ثم نعي لها خالها حمزة بن عبد المطلب، فاسترجعت واستغفرت، ثم نعي لها زوجها مصعب بن عمير، فصاحت وولت، فقال رسول الله ﷺ: «**إن زوج المرأة لِيمكَان**»[2].

وترك لها زينب التي تزوجها عبد الله بن عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي، فولدت له محمدًا ومصعبًا وغيرهما، لقد أحيت في ولدها اسم والدها.

(١) الإذخر: حشيش معروف طيب الرائحة.

(٢) ابن هشام (٢/ ٩٨).

أما حمنة فقد تزوجت بعد مصعب ـ طلحة بن عبيد الله أحد المبشرين بالجنة وفارس مغوار من أبطال أحد كما أسلفنا ـ فولدت له محمدًا وعمران ابني طلحة فهما أخوا زينب بنت مصعب لأمهما.

وحمنة هذه ابنة عمة النبي ﷺ، أمها: أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، هذه ذرية طيبة بارك الله فيها، وقد عدا الرواة زينب بنت مصعب في الصحابيات لأنها ولدت في عهد النبي ﷺ.

رجل نور الله قلبه:

لقد هانت الدنيا في نظر مصعب بن عمير، وفتح الله نور بصيرته فأدرك أن ما عند الله خير وأبقى، وأن تلك الدنيا علىٰ سعتها لا تساوي عند الله جناح بعوضة.

عن يزيد بن الأصم عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال: نظر النبي ﷺ إلىٰ مصعب بن عمير مقبلا وعليه إهاب كبش قد تنطق به. فقال النبي ﷺ: «**انظروا إلىٰ هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه، لقد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب، فدعاه حب الله ورسوله ما ترون**»[١].

وذهب البطل الأسطورة في الزهد والتقشف تاركًا ذلك حبًا في الله ورسوله ورفعه راية الإسلام علىٰ شكل عال، وقد اجتباه الله ورسوله بألقاب حسنة فهو أول سفير للإسلام، وكان سببًا رئيسيًا ومباشرًا في إسلام أهل المدينة، وكان من صنع مصعب في المدينة ـ وهذا توفيق من الله سبحانه وتعالىٰ له ـ أنه أستأذن النبي ـ ﷺ ـ أن يجمع بالأنصار أي يصلي بهم الجمعة، فأذن له، وكتب إليه. انظر من اليوم الذى يجهز فيه اليهود لسبتهم، فإذا زالت الشمس فازدلف ـ تقرب ـ إلىٰ الله فيه بركعتين واخطب فيهم[٢].

---

(١) حلية الأولياء جـ١ صـ١٠٨.

(٢) الطبقات الكبرى ج٢ ص ١٩١ ولعل معنى: انظر من اليوم الذي يجهر فيه اليهود لسبتهم: أي قبل اليوم الذي يجهرون فيه وهو يوم الجمعة.

فجمع بهم مصعب بن عمير في دار سعد بن خيثمة[١] وهم اثنا عشر رجلًا، وذبح لهم يومئذ شاه، فهو أول من جمع في الإسلام جمعة.

وكذلك عندما أراد العودة لمكة ـ أي عودة هذه دون أن يسجلها التاريخ؟! ـ فقد خرج من المدنية وبصحبة السبعين الذين وافوا رسول الله ﷺ في العقبة الثانية من حجاج الأوس والخزرج.

فقدم مكة فجاء منزل رسول الله ﷺ أولًا ـ ولم يقرب ـ منزله ـ فجعل يخبر رسول الله ـ أستاذه ـ عن الأنصار وسرعتهم إلىٰ الإسلام واستبطائهم ـ رسول الله ـ في الهجرة إليهم ـ فسر رسول الله ـ بكل ـ ما اخبره.

وليعذرني ـ القارئ ـ في الأسهاب عن البطل المسلم الأنموذج الذي وصفه أبو نعيم في الحلية سبق الركب، وقضى النحب، ورغب عن التريف والتسويف، وغلب عليه الحنين والتحويف وكان قبل إسلامه أعطر فتى في قريش وأجملهم منظرًا وآنقهم ثيابًا وأرشقهم شبابًا، مطمع الفتيات الحسان، وزينة الشباب الحسان، ولقد زهد في كل زينة، وأصبح راهب قريش، ورمى وراء ظهره كل متعه، وترك لين الشراب والطعام، ورضي بالقليل، رغم وسامته الجميلة وثرائه الفاحش.

أهدي هذه الروايات القليلة من ـ كثير ـ عليه إلىٰ شباب الأمة، شباب هذه ـ الأيام ـ ليعرفوا أن هناك شباب ـ أمثالهم ـ حملوا ودفعوا وصبروا وتحملوا في ذلك الصعاب والأهوال في سبيل رفع راية ـ لا إله إلا الله.. محمد رسول الله ـ وليكن في مصعب بن عمير قدوة للشباب علىٰ مر العصور والأزمنة لأي شاب يريد الذهاب إلىٰ طريق الجنة.

القائد العام رسول الله ينقذ الموقف العسكري:

ولما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله اللواء علي بن أبي طالب،

(١) كان المهاجرون في المدينة يقومون في دار سعد بن خثيمة الذي لم يكن قد تزوج وقتئذ، ونزل رسول الله ﷺ علىٰ كلثوم بن الهدم، ونزل أبو بكر الصديق علىٰ خبيب بن إساف.

فقاتل قتالًا شديدًا، وقامت بقية الصحابة الموجودين هناك ببطولاتهم النادرة، يقاتلون ويدافعون.

وجاء سعد(١) ابن أبي وقاص وعاصم بن ثابت والسائب بن عثمان بن مظعون والمقداد بن عمرو وزيد بن حارثة وحاطب بن أبي بلتعة وعتبة بن غزوان وخرامش بن الصمة وقطبة بن عامر وبشر بن البراء بن معرور وأبو نائلة سلكان بن سلامة وقتادة بن النعمان لينضموا إلىٰ رسول الله ليدفعوا عنه. واقبلت فرقة من المشركين تريد رسول الله ﷺ فقال عليه السلام:

من لهذه الفرقة؟

فقال وهب بن قابوس: أنا يا رسول الله.

فقام فرماهم بالنبل حتى انصرفوا. ثم طلعت فرقة أخرى فقال رسول الله ﷺ: من لهذه الكتيبة؟ فقال المزني: أنا يا رسول الله . فقام فذبها بالسيف حتى ولت ثم رجع، وطلعت كتيبة أخرى فقام وهب بن قابوس المزني، فقال له: قم وأبشر بالجنة. فقام مسرور يقول: والله لا أقيل ولا أستقيل. فجعل يدخل فيهم فيضرب بالسيف ورسول الله ﷺ ينظر إليه والمسلمون حتى خرج من أقصى الكتيبة ورسول الله يقول: اللهم ارحمه.

ثم رجع إليهم، فما زال كذلك وهم محدقون به حتى اشتملت عليه أسيافهم فقتلوه.

وجعل رسول الله - ﷺ - يحض المسلمون علىٰ القتال، وكان رجال من المشركين قد أوجعوا المسلمين بالرمي منهم حبان بن العرفة وأبو أسامة الجشمي، فجعل النبي ﷺ يقول لسعد بن أبي وقاص: ارم فداك أبي وأمي.

---

(١) هو: سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة أول من رمي بسهم في الإسلام ... كان قصيرا، غليظًا؛ ذا هامة، شثين الأصابع، أدم، أفطس، تأسعشر الجسد، يخضب بالسواد .. مات سعد بالعقيق، فحمل علىٰ رقاب الرجال إلىٰ المدينة وصلى عليه مروان بن الحكم، وهو يومئذ والي المدينة، ثم صلى عليه أزواج النبي ﷺ في حجرهن، ودفن في البقيع.

فرمي السهم في ثغره نحو حبان، فقال ـ ﷺ ـ لسعد: أجاب الله دعوتك وسدد رميتك.

وكان مالك بن زهير الجشمي، أخو أبي أسامة الجشمي قد رمى المسلمين رميًا شديدًا، وكان هو وريان بن العِرفة قد أسرعا في أصحاب رسول الله وأكثروا فيهم القتل يستتران بالصخر ويرميان، فبيناهم على ذلك أبصر سعد بن أبي وقاص مالك ابن زهير وراء صخرة قد رمى واطلع رأسه، فرماه سعد فأصاب السهم عينه حتى خرج من قفاه، فهب واقفا ثم رجع فسقط جثة هامدة.

واجتمع عباس بن نضله ومعه خارجة بن أبي زهير وأوس بن أرقم بن زيد، فنزع عباس مغفرة عن رأسه وخلع درعه وقال لخارجة بن أبي زهير:

هل لك في درعي ومغفري؟ قال خارجة:

لا، أنا أريد الذي تريد.

فخالطوا القوم جميعًا وعباس يقول:

ما عذرنا عند ربنا إن أصيب نبينا وبنا عين تطرف؟

فيقول خارجة لعباس بن نضله المعروف بابن قوقل[1]؟

لا عذر لنا والله عند ربنا ولا حجة.

وضرب عباس سفيان بن عبد شمس السلمي ضربتين فجرحه جرحين عظيمين، ولكن سفيان طعنه طعنة أردته قتيلًا، وأخذ خارجة الرماح فجرح بضعة عشر جرحًا، فمر به صفوان بن أمية بن خلف فعرفه فقال:

هذا من أكابر أصحاب محمد وبه رمق فأجهز عليه. وقتل أوس بن أرقم وراح صفوان بن أمية يمثل بخارجة ويقول:

(١) القواقل: جمع قوقل وهم بطن من الخزرج في الأنصار، وسمي جدهم قوقل كان إذا أتاه إنسان يستجير به او بيثرب، قال له: قوقل في هذا الجبل وقد أمنت، ومعنى قوقل: ارتق ـ لسان العرب مادة قوقل ـ والقوافلة هم بنو غنم وبنو سالم ابني عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج.

هذا ممن أغرى بأبي[١] يوم بدر.

وغدا ينظر إلىٰ ابن قوقل وإلى خارجة وابن أرقم وقد قتلوا فأحس أنه قد ثأر لمقتل أبيه أمية بن خلف يوم بدر، فقال:

الآن شفيت نفسي حين قتلت الأماثل من أصحاب محمد، قتلت ابن قوفل، وقتلت ابن أبي زهير وقتلت أوس بن أرقم.

وجعل سهل بن حنيف ينضح بالنبل عن رسول الله فقال: نبلوا سهلا فإنه سهل.

قال محمد بن عامر فيما يرويه ابن سعد: نظر رسول الله - ﷺ - إلىٰ أبي الدرداء يوم أحد والناس منهزمون في كل وجه فقال: نعم الفارس عويمر غير أفهٍ - يعني غير ثقيل -.

وقيل: أمره أن يرد الناس من الجبل فردهم.

نماذج كثيرة من الصحابة دافعوا عن رسول الله ﷺ وعن الإسلام كدين وعن راية التوحيد.

ولقد خرجت صفية بنت عبد المطلب بن هاشم - عمة رسول الله - من إحدى الآطام[٢] لما عرفت انكشاف المسلمين، فكان أول من لقيت علي بن أبي طالب ابن أخيها فقال:

ارجعي يا عمه فإن في الناس تكشف.

فقال لها: أن رسول الله ﷺ بخير وأشار إليه فانتهت إليه وبه الجراحة وأصيب عبد الرحمن بن عوف[٣] في فيه فهتم وجرح عشرين جراحة فأكثر،

(١) الصحابي خبيب بن يساف هو الذي قتل أمية بن خلف والد صفوان في غزوة في بدر وأخاه علي.

(٢) الحصون.

(٣) قال رسول الله - ﷺ -: «معاشر المسلمين، ما من نبي يموت حتى يصلي خلف رجل صالح من امته، وإن النبي صلى به رجلان من أمته عبد الرحمن بن عوف في السفر وأبو بكر الصديق في الحضر» ... هو: عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي صلى رسول الله خلفه في غزوة بتوك وذهب للطهارة فجاء، وعبد الرحمن =

وجرح في رجله فكان يعرج منها.

وبعض هذه نماذج قليلة من ـ كثيرة ـ من البطولات الباسلة من الصحابة وبسالتهم النادرة والمستميتة في الذود عن رسول الله ﷺ قائدهم الأعلى.

وحينئذ استطاع رسول الله ـ القائد المحنك ـ أن يشق الطريق لجيشه المطوق، فاقبل إليهم فعرفه كعب بن مالك ـ الشاعر ـ وكان أول من عرفه ـ فنادى بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أبشروا، هذا رسول الله، فأشار إليه أن اصمت ـ وذلك لئلا يعرف موضعه المشركون ـ إلا أن هذا الصوت بلغ آذان المسلمين، فلاذ إليه المسلمون حتى تجمع حوله مجموعة من الصحابة، وكان كعب يوم أحد لبس لأمْة النبي ﷺ، وكانت صفراء، ولبس النبي ﷺ لأمته، وجرح يومئذ أحد عشر جرحًا.

وبعد هذا التجمع أخذ رسول الله في الانسحاب المنظم إلىٰ شعب الجبل، وهو يشق الطريق بين المهاجمين ـ انظر الرسم ـ واشتد المشركون في هجومهم، لعرقلة الانسحاب إلا أنهم فشلوا أمام بسالة ليوث الإسلام.

ـ هذا الانسحاب البارع التكتيكي العسكري ـ طوره بعد ذلك رسول الله ـ عندما أراد دخول مكة في عمرة الحديبية عام ٦ هـ، وكانت قريش قد علمت أن رسول الله، جاء غازيًا مكة، ويريد دخولها، فعقدت مجلس استشاري عسكري لصد رسول الله والمسلمين عن دخول مكة، فأرسلت خالد بن الوليد في مائتي فارس في الطريق الرئيسي الموصل لمكة ، فخدع رسول الله ﷺ قريشًا وخالد بن الوليد بأن سلك طريقًا آخر واعرًا بين الشعاب وذلك علىٰ طريق ثنية المرار مهبط الحديبية أسفل، وفي لحظة خاطفة أبصرت فجاءة أهل مكة كلها برسول الله والمسلمين معه، وتعلمها سيف الإسلام ـ فيما بعد ـ عندما أسلم من نبيه

= قد صلى بهم ركعة فصلى خلفه وأتم الذي فاته، وقال: ما قبض نبي حتى يصلي خلف رجل صالح من أمته .. كان طويلًا رقيق البشرة، فيه حنأ، أبيض مشربا حمزة، ضخم الكفين، أمني، كان ساقطا لثنيتين، أعرج، أصيب يوم أحد فهتم . توفي سنة اثنين وثلاثين ودفن بالبقيع.

وقائده الأعلى رسول الله، وذلك في غزوة مؤتة سنة ٨ هـ. ومن هذا التكتيك أنبثقت منه جميع الخطط العسكرية حتى هذا الزمان، وتعلمها قادة جيوش العالم في حروبها مثل جنكيز خان عندما اكتسح العالم بجيوشه، وكذلك خلفه ـ تيمور لنك[١] ـ وللأسف كان مسلمًا ـ وانتصر بها السلطان قطز على المغول في موقعة عين جالوت، وما زالت المدارس الحربية في العالم تدرسها وتستشف من خططه فنون الحرب وبراعة القتال.

بل عندما سئل ـ نابليون بونابرت ـ القائد الفرنسي الشهير، وثعلب الصحراء المسمى ـ روميل ـ القائد الألماني الشهير، وكلاهما قادة عسكريين على مستوى عال في الأداء التكتيكي والقيادة العسكرية الفذة، كيفا أستطعتما الحرب في الصحراء وقيادة الجيوش في حياتكم العسكرية ـ بالطبع كل في زمانه ـ قالا: نحن نطبق عبقرية وعسكرية قائد عربي مسلم اسمه خالد بن الوليد وتعلمنا منه الكثير. ـ لكن ـ من عندي ـ كاتب هذه السطور، بل القائد الحقيقي

---

(١) تيمور لنك . . . كان واحد من أعظم الغزاة في العالم، كانت فتوحات "قيصر ونابليون" تبدو ضئيلة إذا ما قرنت بفتوحات تيمور لنك والبلاد الشاسعة والخاضعة لسلطانه، وكان يؤمن بضرورة سرعة الحركة في الحرب ... وكان يردد دائمًا أن من الأفضل أن يكون الإنسان في المكان المناسب ومعه عشرة رجال فقط عن أن يكون بعيدًا عنه ومعه عشرة ألاف رجل.. هذا بالإضافة إلى طاقته الفائقة وقدرته الخارقة في الجلد والاحتمال.. كان يقظًا نشيطًا وعلى بعد خطوة من عدوه. كانت عقيدته تتلخص في الشعار الذي أتخذه لنفسه وهو "راستي راستي " ومعناه: "القوة هي الحق"، ولد تيمور لنك عام ١٣٣٦ ميلادية في بلدة صغيرة تسمى كيش على بُعد ٤٨ كيلو مترًا من مدينة سمرقند، كان اسمه تيمور ولان ساقه بترت وهو صغير .. أطلق عليه تيمور لنك .. ومعناها" تيمور الاعرج"، يقال أنه رُقي إلى السلطان عن طريق اللصوصية وقطع الطريق.. كان تيمور من التتار وهو جنس من الشعوب اجتاح روسيا وأسيا الصغرى قبل ذلك بمائة وخمسين عامًا بقيادة جنكيز خان.. الذي جعل إمبراطوريته أكبر ما عرف الإنسان من إمبراطوريات وجاء تيمور لنك وأعلن أنه من سلالة جنكيز خان. وأخذ يناضل لتوطيد سلطانه في تركستان.. وغزا بلاد العجم " فارس" وذاع صيته في الإبادة الجماعية.. ولما رفضت مدينة أصفهان الإذعان له وتمردت.. قرر تيمور لنك أن يجعل منها عبرة فذبح من سكانها ٧٠ ألف شخص ـ هذا الرقم قديمًا يساوي الآن ملايين البشر ـ وكدس رؤوسهم في هرم ضخم رهيب.. غزا الهند واستولى على دلهي.. ودمرها حتى سواها بالأرض. ثم اكتسح سوريا واستولى على حلب وأخذ طائفة من أفضل علمائها وامهر صناعها وفنانيها إلى سمرقند. زحف إلى بغداد ودخلها للمرة الثانية.. ثم تحول إلى تركيا. وهزم السلطان العثماني بايزيد عام ١٤٠٢م وأخذه أسير ووضعه في قفص مثل القرود حتى مات. وفي عامه الثامن والستين شرع تيمور لنك في غزو الصين إلا أنه توفي وهو في طريقه إلى الصين.. ودفن في سمرقند!!.. هل اقتنعت أيها القارئ اليس هذا تكتيك خالد بن الوليد البطل الإسلامي الأسطورة في الفروسية وليس في التدمير والحرق.. تلميذ رسول الله.. (وسأظل أقول للقارئ التعليق).

لهذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قائدنا ونبينا وسيدنا ﷺ.. أليس هو المخترع والمستحدث لهذه النظرية.

ـ وللأسف ـ الشديد قد فعلها معنا اليهود ـ لعنة الله عليهم ـ في حرب رمضان/ ١٣٩٣ هـ/ أكتوبر/ ١٩٧٣ م فيما يمسى "بثغرة الدفراسور"، المعروفة بلغة الكود العسكري الإسرائيلي "الغزالة"، لكن جنودنا وأبطالنا البواسل أجهضوا هذه المحاولة. ـ ومرة أخرى ـ فليعذرني القارئ الحبيب ـ يبقى.. القائد الأعلى .. المبتكر لها .. قائد هذه الأمة رسول الله ﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قيس بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.. وهذا الاسم العظيم هو صاحب براءة الاختراع لذلك.

وتدرس ـ الآن ـ في جميع الأكاديميات العسكرية العريقة، وقد قرأت عنها كثير مثل أكاديمية فرونز بروسيا، كلية هاند هيرست بانجلترا، وغيرها في أمريكا ... وفرنسا ... ودول كثيرة حتى الآن.

معذرة في هذا ـ الاسهاب ـ عن رسول الله، فهو ـ يستحق ـ أكثر، من ذلك ـ ﷺ ـ.

وبعد الانسحاب البارع الذي تحدثنا عنه، أقبل عثمان بن عبد الله بن المغيرة يعدو علىٰ فرس له أبلق يريد رسول الله ـ ﷺ ـ عليه لأمة كاملة وهو يصيح:

لا نجوتُ إن نجوت!

فوقف رسول الله، وعثر بعثمان فرسه في بعض تلك الحفر التي حفرها أبو عامر الفاسق للمسلمين فوقع الفرس لوجهه وسقط عثمان عنه. وخرج غائرا فأخذه بعض أصحاب رسول الله، ومشى الحارث بن الصمة إلىٰ عثمان فاضطربا ساعة بالسيفين، ثم ضرب الحارث رجله وكانت درعه مشمرة فبرك

فأجهز عليه ورسول الله ينظر إلىٰ قتالهما، فسأل عن الرجل قيل: عثمان بن عبد الله بن المغيرة.

الحمد لله الذي أحانه (أهلكه).

وقد كان عبد الله بن جحش أسره من قبل ببطن نخله[١] حتى قدم به علىٰ رسول الله، فافتدى ورجع إلىٰ قريش وغزا معهم أحدا، ورأى مصرع عبيد بن حاجز العامري أحد بني عامر بن لؤي فأقبل يعدو كأنه سبع، فضرب حارثه بن الصمة ضربة علىٰ عاتقه فوقع الحارث جريحًا حتى احتمله أصحابه، وأقبل أبو دجانة علىٰ عبيد بن الحاجز فتناوشا وكل واحد منهما يتقي بالدرقة سيف صاحبه، ثم حمل عليه أبو دجانة فاحتضنه، ثم جلد به الأرض وذبحه بالسيف كما تذبح الشاه، ثم انصرف ليلحق برسول الله.

وألقى الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ المسلمين النعاس، أمنة منه، ما منهم رجل إلا يغط غطيطًا حتى تناطحت التروس، وسقط سيف بشير بن البراء بن معرور من يده، وسقط سيف طلحة بن عبيد الله[٢]، ثم فزعوا وكأنهم لم يصبهم من قبل مكبة.

وقال حماد بن سلمة، عن ثابت، عن انس، عن أبي طلحة، قال: رفعت رأسي يوم أحد، فجعلت أنظر، وما منهم أحد إلا وهو يميد تحت حجفته من النعاس. فذلك قوله: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ

(١) كان ذلك في رجب سنة ٢ هـ. الموافق يناير سنة ٦٢٤ م.

كان رسول الله ﷺ أرسل عبد الله بن جحش إلىٰ نخلة وهي بين مكة والطائف، وكان هناك قافلة لقريش وفيها عمرو بن الحضرمي، وعثمان ونوفل ابنا عبد الله بن المغيرة، والحكم بن كيسان مولى بنى المغيرة، وقد رمي احدهم عمرو بن الخضرمي فقتله، وأسروا عثمان والحكم وأفلت نوفل، ثم قدموا بالعير والأسيرين إلىٰ المدينة، وقد عزلوا من ذلك الخمس، وهو أول خمس كان في الإسلام، وأول قتيل في الإسلام، وأول أسيرين في الإسلام.

(٢) صحيح البخاري (٢/ ٥٨٢).

ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقال يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن جده، عن الزبير، قال: والله لكأني أسمع قول معتب بن قشير، وإن النعاس ليغشاني ما أسمعها منه إلا كالحلم، وهو يقول: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمرَان: ١٥٤] . وروي الزهري، عن عبد الرحمن بن مسور بن مخرمة، عن أبيه، قال ألقى علينا النوم يوم أحد.

وبمثل هذه البسالة بلغت هذه الكتيبة ـ في انسحاب منظم ـ إلىٰ شعب الجبل، وشق لبقية الجيش طريقًا إلىٰ هذا المقام المأمون، فتلاحق به في الجبل، وفشلت عبقرية خالد بن الوليد أمام عبقرية.. القائد.. المعلم.. الأستاذ.. البطل.. رسول الله ﷺ.

مقتل أبي بن خلف:

كان أبي بن خلف علىٰ ظهر جواده يبحث بعينه عن رسول الله ـ ﷺ ـ فقد كان أبي يريد أن يقعد مع القاعدين لما خرجت قريش لقتال المسلمين يوم بدر لأنه سمع أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال إنه سيقتله[1]، ولولا سخرية النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط، ما خرج في ذلك اليوم. فلما افتدى من الأسر ببدر وأراد أن يفر من خوفه الذي يلاحقه. ولمح أبي بن خلف جماعة من المسلمين فاندفع إليهم وهو يقول:

أين محمد؟ لا نجوت إن نجا.

فاعترضه رجال من المسلمين فأمرهم رسول الله ـ ﷺ ـ أن يخلو طريقه.

---

(١) وذلك أن رسول الله ـ ﷺ ـ لما كان بمكة كان يلقاه أبي هذا، فيقول: يا محمد، إن عندي العَوْدَ فرسًا أعلفه كان يوم فرقًا ـ مكيال يسع اثني عشر مدا من ذرة ـ من ذرة أقتلك عليه، فيقول رسول الله ـ ﷺ ـ: «بل أنا أقتلك إن شاء الله».

وأخذ رسول الله - ﷺ - الحربة من الحارث بن الصمة فإنه كان حاملها فقط، فلما أخذها منه انتفض انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله وأبصر ترقوته(١) من فرجه بين سابغة الدرع والبيضة، فطعنه فيها طعنة(٢) تدأدأ - تدحرج - منها عن فرسه مرارًا. فلما رجع إلىٰ قريش وقد خدشه في عنقه خدشا غير كبير، فاحتقن الدم، قال قتلني والله محمد، قالوا له: ذهب والله فؤادك، والله إن بك من بأس، قال: إنه قد كان قال لي بمكة: "أنا أقتلك"، فو الله لو بصق علي لقتلني. فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به إلىٰ مكة. وفي رواية أبي الأسود عن عروة، وكذا في رواية سعيد بن المسيب عن أبيه: أنه كان يخور خوار الثور، ويقول: والذي نفسه بيده، لو كان الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا جميعًا(٣).

طلحة ينهض برسول الله:

وفي أثناء انسحاب رسول الله - ﷺ - إلىٰ الجبل عرضت له صخرة من الجبل، فنهض إليها ليعلوها فلم يستطيع، لأنه كان قد بدن وظاهر بين الدرعين، وقد أصابه جرح شديد. فجلس تحته طلحة بن عبيد الله، فنهض حتى استوى عليها، وقال: "أوجب طلحة"، أي: الجنة(٤).

أخر هجوم قام به المشركون:

ولما تمكن رسول الله - ﷺ - من مقر قيادته في الشعب قام المشركون بآخر هجوم حاولوا به النيل من المسلمين قال ابن إسحاق: بينا رسول الله - ﷺ - في الشعب اذ علت عالية من قريش الجبل - يقودهم أبو سفيان وخالد بن الوليد -

---

(١) الترقوة: العظمة المشرفة بين ثغرة النحر والعانق.

(٢) قال سعيد في المسيب: فكسر ضلع من أضلاعه، ففي ذلك نزلت ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: الآية ١٧] . ... هو: سعيد بن المسيب بن حزن من بني مخزوم . يكنى أبا محمد ولن السلتين خلفتا من خلافة عمر بن الخطاب مات بالمدينة وهو ابن أربع وثمانين سنة علىٰ خلاف بينهم في ذلك.

(٣) ابن هشام ٢/٨٤، والمستدرك للحاكم ٢/٣٢٧، كانت سرف علىٰ ستة أميال من مكة.

(٤) ابن هشام ٢/٨٦، ورواه الترمذي في الجهاد ح(١٦٩٢)، وفي المناقب ح(٣٧٣٩)، وأحمد ١/١٦٥، وصححه الحاكم ٣/٣٧٤ ووافقه الذهبي وظاهر بين الدرعين: ليس درعه فوق درع.

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا**»، فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل[١].

وفي مغازي الأموي: أن المشركين صعدوا علىٰ الجبل، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ لسعد بن أبي وقاص: "اجبنهم" ـ يقول: ارددهم ـ فقيل: كيف اجبنهم وحدي؟ فقال ذلك ثلاثا، فأخذ سعد سهما من كنانته، فرمي به رجلًا فقتله، قال، ثم أخذت سهمي أعرفه، فرميت به أخر، فقتلته، ثم أخذته أعرفه فرميت به أخر فقتلته، فهبطوا من مكانهم، فقلت: هذا سهم مبارك، فجعلته في كنانتي، فكان عند سعد حتى مات، ثم كان عند بنيه[٢].

تشويه الشهداء:

وكان هذا أخر هجوم قام به المشركون ضد النبي ـ ﷺ ـ، ولما لم يكونوا يعرفون من مصيره شيئًا ـ بل كانوا علىٰ شبه اليقين من قتله ـ رجعوا إلىٰ مقرهم، وأخدوا يتهيأون للرجوع إلىٰ مكة، واشتغل من اشتغل منهم ـ وكذا اشتغلت نساؤهم ـ بقتلى المسلمين، يمثلون بهم، ويقطعون الآذن والأنوف والفروج، ويبقروق البطون.

وجاء وحشي إلىٰ هند بنت عتبة فقال:

ماذا لي إن قتلت قاتل أبيك؟

سلني

فأخبرها أنه قتل حمزة فتهللت أساريرها فأعطته ثيابها وحليها وكان في ساقيها خدمتان "خلخالان" من جزع ظفار "بلد باليمن" وأساور وخواتيم في أصابع رجليها ـ لحظة هوس المرأة ـ ثم قالت:

إذا جئت مكة فلك عشرة دنانير.

(١) ابن هشام ٨٦/٢.

(٢) زاد المعاد (٢/ ٩٥).

ووقفت ترنوا إلىٰ وحشي في نشوة ثم قالت:

أرني مصرعه.

فراحا يجوسان خلال الجثث التي ملأت أرض المعركة حتى ما إذا ما رأت حمزة قتيلا انقضت عليه وبقرت كبده فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها[١] ثم علت علىٰ صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها:

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سُعْر
ما كان عن عتبة لي من صبر ولا أخي وعمه وبَكْرى
شفيت نفسي وقضيت نذري شفيت وحشي غليل صدري
فشكر وحشي علىٰ عمري حتى ترم أعظمي في قبري

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب فقالت:

خِزيت في بدر وبعد بدر يا بنت وقاع عظيم الكفر
أفحمك الله غداة الفجر بالهاشميين الطوال الزهر
بكل قطاع حُسام يفري حمزة ليثي وعليّ صقري
إذ رام شيب وأبوك غدري فخضبا منه ضواحي النَّحر
ونذرك السوء فشر نذر

ولم يكن المسلمون يعلمون بمقتل حمزة، فأرادت هند أن تعلنهم بالنبأ لتشفي غليل صدرها فصرخت بأعلى صوتها:

شَفَيت من حمزة نفسي بأحد حتى بقرت بطنه عن الكبد
أذهب ذاك عني ما كنت أجد من لذعة الحزن الشديد المعتمد
والحرب تعلوكم بشؤبوب[٢] يرد تُقدم إقداما عليكم كالأسد

ولقد صاح أبو سفيان بن حرب.

يا معشر قريش، أيكم قتل محمد؟

قال ابن قمیئة:

---

(١) ابن هشام (٢/ ٩٠).

(٢) الشؤبوب: دفعة المطر الشديد.

أنا قتلته.

فقال له أبو سفيان وقد تهلل بالفرح:

نسورك كما تفعل الأعاجم بأبطالها.

وأنتفخت أوداج ابن قميئة وانتظر في لهفة لحظة التكريم. تلك اللحظة التي سيوضع فيها السوار حول معصمه اعترافًا ببطولته. وراح أبو سفيان يطوف بأبي عامر الفاسق بعد المعركة هل يرى محمدًا بين القتلى! فمر بخارجة بن زيد بن أبي زهير فقال: يا أبا سفيان هل تدري من هذا؟

لا هذا خارجة بن زيد، هذا أسيد بن الحارث بن الخزرج.

ومر بعباس بن عبادة بن نضلة إلىٰ جنبه قال:

أتعرفه؟

لا

هذا ابن قوقل، هذا الشريف في بيت الشرف

ثم مر بذكوان بن عبد قيس فقال:

هذا من سادتهم

ثم مر بابنه حنظلة بن أبي عامر وهو مقتول إلىٰ جنب حمزة بن عبد المطلب وعبد الله بن جحش، فلاح في وجهه الأسى فقال أبو سفيان ـ هذا خبث ومكر ودهاء من أبي سفيان، لأن حنظلة كان سيقتله ـ

من هذا؟

هذا أعز من ههنا عليَّ، هذا ابني حنظلة.

وراح أبو سفيان يضرب في شدق حمزة بن عبد المطلب بزج الرمح ويقول: ذق عُقَق[1]

---

(١) من العقوق: يقصد أن تنكر وتجاوز في تنكرة لقريش.

ومر الحليس سيد الأحابيش بأبى سفيان وهو يضرب في شدق حمزة فاستنكر ما يفعل فقال:

يا بني كنانة، هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون لحما.

ويحك اكتمها عني فإنها كانت زلة. عن ربيع بن أنس، حدثني أبو العالية، عن أبي بن كعب[1]: أنه أصيب من الأنصار يوم أحد أربعة وستون، وأصيب من المهاجرين ستة، منهم حمزة.

فمثلوا بقتلاهم. فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يومًا من الدهر لنر بين عليهم فلما كان يوم فتح مكة نادي رجل لا يعرف: لا قريش بعد اليوم، مرتين.

فأنزل الله علىٰ نبيه ـ ﷺ ـ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [النّحل: ١٢٦] . فقال النبي ﷺ: «كفوا عن القوم».

ثم نظر أبو عامر إلىٰ ابنه مليًا فقال:

إن كنت أحذرك هذا الرجل من قبل هذا المصرع، والله إن كنت لبرا بالوالد، شريف الخلق في حياتك، وإن ممائك لمع سراه أصحابك وأشرافهم.

وألقى نظرة علىٰ حمزة ثم قال:

إن جزي الله هذا القتيل خيرًا، أو جزي أحدًا من أصحاب محمد خيرا فليجزيك. ثم نادي: يا معشر قريش حنظلة لا يمثل به، وأن كان خالفني وخالفكم.

وقال أبو سفيان.

ما نرى مصرع محمد ولو كان قتل لرأيناه، كذب ابن قميئة!

ولقي خالد بن الوليد فقال:

---

(١) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد الأنصاري الخزرجي شهد العقبة، والمشاهد كلها . وكان يكتب الوحي، وهو أحد الذين حفظوا القرآن كله علىٰ عهد رسول الله ﷺ، وأحد الذين كانوا يفتون علىٰ عهد رسول الله ﷺ ولم يكن بالطويل ولا بالقصير.

هل تبين عندك قتل محمد؟

لا .. رأيته أقبل في نفر من أصحابه مصعدين في الجبل.

فقال أبو سفيان:

هذا حق، كذب ابن قميئة. زعم أنه قتله! ثم نظر ثم نظر أبو سفيان فوقف على أصحاب النبي - ﷺ - وهم في عرض الجبل فنادي بأعلى صوته: أين ابن أبي قحافة؟ أين ابن الخطاب؟ الحرب سجال، حنظلة بحنظلة. يعني حنظلة بن أبي عامر بحنظلة بن أبي سفيان[1]، فقال عمر بن الخطاب:

يا رسول الله أجيبه؟

نعم فأجبه.

فقال أبو سفيان:

أعلى هبل[2].

فقال رسول الله ﷺ لعمر:

قل له: الله أعلى وأجل.

إن لنا العزى ولا عزى لكم.

الله مولانا ولا مولى لكم.

ألا إن الأيام دول، وإن الحرب سجال.

ولا سوء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار. إنكم لتقولون ذلك لقد جبنا إذا وحشرنا.

ثم قال:

يا بن الخطاب قم إليَّ أكلمك.

---

(١) قتله علي بن أبي طالب في غزوة بدر.

(٢) هبل من أصنام قريش التي كانت في جوف الكعبة وكان أعظمها عندهم . قال ابن الكلبي: كان فيما بلغني من عقيق أحمر على صورة الإنسان (الأصنام: ٢٨).

فقام إليه فقال:

أنشدك بدينك هل قتلنا محمدًا؟

اللهم لا . وإنه ليسمع كلامك الآن.

أنت عندي أصدق من ابن قميئة[١].

ثم صاح أبو سفيان ورفع صوته:

إنكم واجدون في قتلاكم عبثًا ومُثْلًا، ألا إن ذلك لم يكن عن رأي سراتنا.

ثم أدركته حمية الجاهلية فقال:

وأما إذا كان ذلك فلم نكرهه.

ولم يفكر أبو سفيان في أن يصعد إلىٰ الجبل ليقضي علىٰ محمد ﷺ فالجبل لا يستطيع الصعود إليه، إن القوم إن صعدوا إليه رجاله لم يثقوا بالظفر به لأن معه أكثر أصحابه وهم مستميتون إن صعد القوم إليهم، وإنهم لا يقتلون منهم واحدًا حتى يقتلوا منهم اثنين أو ثلاثة لأنهم لا سبيل لهم إلىٰ الهرب لكونهم محصورين في قمة أحد، فالرجل منهم يحامي عن خيط رقبته.

فقنع أبو سفيان والذين معه بما وصلوا إليه من قتل وأملوا يومًا ثانيًا يكون لهم فيه الظفر فنادى أبو سفيان:

ألا إن موعدكم بدر الصفراء علىٰ رأس الحول.

فوقف عمر[٢] بن الخطاب وقفه ينتظر ما يقوله رسول الله ﷺ فقال له:

قل: نعم.

فانصرف أبو سفيان إلىٰ أصحابه وأخذوا في الرحيل، وكما حدث في غزوة بدر، وفي جمع المعارك العربية في تلك الأيام، كانت العدوات تنتهي عند

---

(١) ابن هشام: ٢/٩٣، ٩٤، وزاد المعاد ٢/٩٤، وصحيح البخاري ٢/٥٧٩.

(٢) هو: عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي كان أبيض أمهق، تعلوه حمرة، طويلا أصلح، أجلح، شديد حمرة العين، عن عارضة خفة.

الأخذ بالثأر، فما خرج أبو سفيان من مكة في الأصل إلا ليثأر من محمد، وليرضي شهوة زوجته، بأن ترى حمزة قتيلًا، فلما تحقق هذان الغرضان، بطل الدافع للقتال، لذلك دعا رجاله الذين كانوا يطاردون أفراد المسلمين، وجمعهم حول لوائه، فأشفق رسول الله ﷺ والمسلمون أن يغيروا علىٰ المدينة فيهلك الزراري والنساء، فقال رسول الله - ﷺ - لسعد بن أبي وقاص[١]:

اذهب فأتنا بخبر القوم فإنهم إن ركبوا الإبل وجنبوا الخيل فهو الظعن إلىٰ مكة، وإن ركبوا الخيل وجنبوا الإبل فهو الغارة علىٰ المدينة، والذي نفسى بيده إن ساروا إليها لأسيرن إليهم ثم لأناجزنهم.

وتأهب سعد للانطلاق في أثر القوم فقال له رسول الله ﷺ:

إن رأيت القوم يريدون المدينه فأخبرني فيما بيني وبينك ولا تفت في عضد المسلمين.

فتوجه سعد يسعى وأرصد في نفسه إن أفزعه شيء رجع إلىٰ النبي ﷺ، فخرج في آثارهم حتى اذا كانوا بالعقيق[٢] وهو بحيث يراهم ويتأملهم ركبوا الإبل وجنبوا الخيل، فقال:

إنه الظعن إلىٰ بلادهم. ثم وقفوا وقفة بالعقيق يتشاورون في دخول المدينة فقالوا:

بئس ما صنعنا، قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشرذمة تركناهم. ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا علي ذلك ألقى الله تعالىٰ في قلوبهم الرعب فقالوا:

لنا الغلبة، فلو انصرفنا فإنه قد بلغنا إن ابن أبي انصرف بثلث الناس وقد تخلف الناس من - الأوس والخزرج، ولا نأمن أن يكروا علينا وفينا جراح وخيلنا عامتها قد عقرت من النبل.

وقال صفوان بن أمية:

---

(١) فتح الباري ٧/٣٤٧.

(٢) موضع المدينة فيه عيون ونخيل.

قد أصبتم القوم فانصرفوا ولا تدخلوا عليهم وأنتم كالون ولكم الظفر، فإنكم لا تدرون ما يغشاكم، فقد وليتم يوم بدر، لا والله ما تبعوكم وكان الظفر لهم.

وانصرفوا إلىٰ مكة[١] فلما رآهم سعد بن أبي وقاص منطلقين رجع إلىٰ رسول الله ﷺ وهو كالمنكسر فقال:

وجه القوم يا رسول الله إلىٰ مكة، امتطوا الإبل وجنبوا الخيل.

فقال رسول الله ﷺ:

ما تقول؟

ما قلت يا رسول الله

فخلا به فقال:

أحقا ما تقول؟

نعم يا رسول الله.

فما بالي رأيتك منكسرًا؟

كرهت أن آتي المسلمين فرحًا بقفولهم إلىٰ بلادهم.

فقال ﷺ:

إن سعد المجرب ـ نعم هو فرسان الصحابة رضوان الله عليهم جميعًا ـ وانطلقت قريش إلىٰ مكة حتى إذا كان بسرف علىٰ بعد بضعة أميال من مكة احتقن الدم في عنق أبي بن خلف من أثر الرمح الذي صوبه إليه ـ محمد ﷺ ـ فقال: قتلني والله محمد! قالوا له:

ذهب والله فؤادك! والله إن بك من بأس.

إنه قد كان قال: أنا أقتلك. فوالله لو بصق عليَّ لقتلني.

---

(١) سميت مكة أم القرى لأنها قبلة أهل الدنيا، نصارت هي كالأصل وسائر البلاد تبعا، وأيضًا الناس يجتمعون إليها للحج والتجارة كما يجتمع الأولاد للأم، وقيل لأن الكعبة أول بيت وضع للناس.

ومات أبي بن خلف وهم قافلون به إلىٰ مكة، وصدق رسول الله ﷺ حين قال: أنا أقتله إن شاء الله.

تفقد القتلى والجرحى:

عن خارجه بن زيد بن ثابت، عن أبيه، قال: بعثني النبي ﷺ يوم أُحد لطلب سعد بن الربيع وقال لي: إن رأيته فأقره مني السلام وقل له: يقول لك رسول الله كيف تجدك؟ فجعلت أطوف بين القتلى فأصبته وهو في آخر رمق وبه سبعون ضربة، فقلت : إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام ويقول لك: خبرني كيف تجدك؟ قال: علىٰ رسول الله السلام وعليك، قل له: يا رسول الله أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خلص إلىٰ رسول الله ﷺ شفر يطرق. وقال: وفاضت نفسه.

- **رأي وتعليق** .. صحابي به سبعون ضربة، كيف كان يقاتل .. بالطبع كان وحش كاسر، مارد جبار وليث إسلامي يدافع عن الحق.. يا رب أخلق وأرسل وأرزق هذه الأمة مثل هؤلاء الليوث الأكاسرة -.

ووجد في الجرحى الأصيرم - عمرو بن ثابت -، قال محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة: أن عمرو بن أفيش كان له ربًا في الجاهلية[1]، فكره أن يسلم حتى يأخذه . فجاء يوم أحد فقال: أين بنو عمي؟ قالوا: بأحد. فلبس لأمته وركب فرسه ثم توجه قبلهم ، فلما رآه المسلمون قالوا: إليك عنا. قال: إني قد آمنت. فقاتل حتى جرح فحمل جريحًا، فجاءه سعد بن معاذ فقال لأخته: سليه حمية لقومك أو غضبًا لله؟ قال: بل غضبًا لله ورسوله. فمات فدخل الجنة وما صلى صلاة[2].

(١) يحاول كثير من الكتاب في العصر الحاضر - مخلصين - أن يوجدوا في التشريع الإسلامي ثغرة يدخلون منها إلىٰ تحليل التعامل مع البنوك زاعمين أن هذا ليس هو الربا الذي حرمه الإسلام، ذلك أن الربا الذي حرمه الإسلام في نظرهم هو الذي حدده القرآن نفسه بأنه "أضعافًا مضاعفة" أما التعامل مع البنوك فإنه نظام اقتصادي سليم . ولكن الأئمة السابقين جميعًا قد حرموا الفائده مهما ضئولت قيمتها، مفرقين بين النظام الإسلامي: نظام الأخوة والتعاون والعطف، وبين النظام المادي الذي لا يعرف أخوة ولا تعاونًا ولا عطفًا.

(٢) سنن أبي داود: كتاب الجهاد. باب فيمن يسلم ويقتل مكانه في سبيل الله تعالىٰ (١٩/٣).

وجد في القتلى رجل من يهود بني ثعلبة، قال لقومه: يا معشر يهود، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق. قالوا: إن اليوم يوم السبت. قال لا سبت لكم. فأخذ سيفه وعدته، وقال: إن أصبت فمالي لمحمد. يصنع فيه ما شاء، ثم غدا فقاتل حتى قتل.

فقال رسول الله ﷺ: «**مخريق خير يهود**». وكان مخريق، وعبد الله بن سلام ممن أسلما من اليهود.

- **فقد ذكر ابن يونس في كتابه**، عند ذكر الأحباس، قال: روي أن النبي ﷺ حبس سبع حوائط - أي حدائق نخل - أوصى له بها مخريق لما قتل يوم أحد يضعها حيث أراد الله بحبسها، وهي من أموال بني النضير، وذلك لاثنين وثلاثين شهرًا من الهجرة . وفي السير لابن إسحاق: وكان ممن قتل يوم أحد مخريق، وكان أحد بني ثعلبة بن الفطيون - علىٰ وزن فرعون، معناه الملك -، قال: يا معشر يهود، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق. قالوا: إن اليوم يوم السبت. قال: لا سبت لكم. فأخذ سيفيه وعدته، وقال: إن أصبت فما لي لمحمد. يصنع فيه ما شاء، ثم غدا إلىٰ رسول الله ﷺ فقاتل معه حتى قتل، فقال رسول الله ﷺ - فيما بلغنا - مخيريق خير يهود فجعل رسول الله ﷺ حين انصرف ماله أوقافا، وهو أول حبس، أي وكف، في الإسلام. قيل إن مخيريق اليهودي أسلم يوم أحد، قال بعضهم: وكان حَبْرًا من علماء بني النضير فآمن رسول الله ﷺ يوم أحد - كذلك عبد الله بن سلام، وهو من بني إسرائيل، كان من يهود يثرب وكان اسمه الحصين، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينةَ مهاجرًا، أسلم علي يديه، فسماه النبي ﷺ عبد الله.

وهو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، ثم الأنصارى، كان حليفًا للأنصار من بني قينقاع - وكان حبرًا عالمًا - وهو من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام، شهد مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فتح بيت المقدس، ومات بالمدينة المنورة عام ٤٣ هـ.

عن أبي بردة[١] أن جليبيبا[٢] كان من الأنصار. فقال النبي ﷺ ذات يوم لرجل: زوجني ابنتك. قال: نعم ونعمة عين. قال: لست أريده لنفسي. قال: فلمن؟

قال: لجليبيب. قال: أستأمر أمها. فأتاها فأجابت: لرسول الله ﷺ؟ قال: إنما يريد ابنتك لجليبيب. قالت: ألجليبيب؟ لا لعمر الله لا تزوجه[٣]. فلما قام أبوها ليأتي النبي ﷺ، قالت الفتاة من خدرها لأبويها: من خطبني؟ قالا: رسول الله ﷺ. قالت: أفتردون عليه أمره؟ ادفعني إلىٰ رسول الله ﷺ فإنه لن يضيعني. فذهب أبوها إلىٰ النبي ﷺ فقال: شأنك بها.

فزوجها جليبيبًا، ودعا لهما. فبينما رسول الله ﷺ في مغزي له قال: هل تفقدون من أحد؟ قالوا: نفقد فلانًا ونفقد فلانًا. قال النبي ﷺ: **«أفقد جليبيبا، فاطلبوه»**.

فنظروا فوجده إلىٰ جنب سبعةٍ قد قتلهم، ثم قتلوه. فقال رسول الله ﷺ: هذا مني وأنا منه. قتل سبعة ثم قتلوه. فوضعوه علىٰ ساعديه ثم حفروا له، ماله سرير إلا ساعدا رسول الله ﷺ حتى وضعه في قبره.

قال ثابت البناني: فما في الأنصار أنفق منها[٤].

---

(١) أبي بردة والتصحيح من صحيح مسلم وتهذيب (٤٦٦/ ١٠) وكما يرد في النص صحيحا بعد قليل.

(٢) جليبيب: بصيغة تصغير جلباب، غير منسوب، من أصحاب رسول الله ﷺ، وكانت فيه دمامة، فعرض عليه النبي ﷺ التزويج فقال: إذن تجدني يا رسول الله كاسدا؟ فقال: إنك عند الله لست بكاسد. وانظر ترجمته في الإصابة (٢٤٢/ ١) والاستيعاب علىٰ الهامش (٢٥٦/ ١) وأسد الغابة (٣٤٨/ ١).

(٣) هذه العبار مضطربة في ع، وقد رسمت هكذا "قالت حلقي الجليبيب لا القمر والله لازوجه" واضح أنها محرفة عن النص الصحيح الذى أثبتناه والذي ورد في الحديث كما رواه الإمام أحمد في مسنده من طريق عفان عن حماد بن سلمة عن أبي برزة الأسلمي. وفيه تقول الأم كالمستنكرة: أجليبيب، إنيه (ثلاثا) الخ. وإنيه، بكسر الألف والنون وسكون الياء بعدها هاء تقال في الإنكار والاستبعاد. قال الزبيدي في التاج: هذه اللفظة وردت في حديث جليبيب في مسند أحمد، وفيها اختلاف كثير. أما لفظة (حلقي) في أول العبارة، فلعلها تحريف شديد عن (محنقة)، وقد أهملناها..

(٤) الضمير عائد إلىٰ زوجة جليبيب، وفى رواية الإمام أحمد "فما كان في الأنصار أيم أنفق منها" وذلك، من أثر دعاء النبي ﷺ لها: "اللهم أصبب عليها الخير صبا، ولا تجعل عيشها كدًا".

أخرجه مسلم، من حيث حماد بن سلمة، عن ثابت، عن كنانة بن نعيم. عن أبي برزة[١].

جمع الشهداء ودفنهم:

وفقدوا نعش حنظلة، فتفقدوه فوجده في ناحية الأرض يقطر منه الماء، ورأى النبي ﷺ حنظلة تغسله الملائكة فعجب من ذلك، فقال: سلوا زوجته ما شأنه؟

فقالت: كان جنبا وغسلت إحدي شقي رأسه، فلما سمع الهيعة طار إليها قبل أن يتم غسله، فخرج فقتل.

لقد همه القتال والاستشهاد في سبيل الله، وأكرمه الله تعالىٰ إكرامًا عظيمًا حيث أمر الملائكة أن تغسله. ذلك أن الشهداء لا يغسلون ويدفنون بدمائهم لتكون شهادة صدق لهم.

ومن أجل ذلك قال النبي ﷺ: «**لقد رأيت الملائكة تغسله**» فهل هناك فضل أعظم من ذلك؟

ومن يومها أصبح يطلق علىٰ حنظلة: غسيل الملائكة.

تفاخر بين الأوس والخزرج:

كانت هناك مفاخرات أساسها الأعمال الصالحة تجري بين كل من الأوس والخزرج بين الحين والحين ليس الهدف منها المباهاة الفارغة ولكن الهدف منها التنافس المحمود الذي يغري بمزيد من العمل الخير الصالح.

وفي يوم قال الأوس: منا غسيل الملائكة حنظلة ابن الراهب .

ومنا من حمته الدبرَ عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح .

ومنا من أجيزت شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت .

---

(١) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل جليبيب ﷺ (٧/ ١٥٢).

ومنا من اهتز عرش الرحمن لموته سعد بن معاذ .

فقال الخزرجيون: منا أربعة قرءوا القرآن علىٰ عهد رسول الله ﷺ ولم يقرأه غيرهم ـ أي ولم يحفظه ـ غيرهم ـ زيد بن ثابت، وأبو زيد ـ أحد أعمام أنس بن النضر خادم رسول الله، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب رضي الله عن هؤلاء وهؤلاء.

ومعنى لم يحفظه غيرهم يعني من الأوس، وإلا فقد حفظ من المهاجرين جماعة منهم عبد الله بن مسعود وسالم مولي أبي حذيفة وعبد الله بن عمرو بن العاص وعلي بن أبي طالب وغيرهم.

رحم الله حنظلة ورضي الله عنه وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وكان رسول الله ﷺ يشرف علي دفن الشهداء فقال: **«أنا شهيد علي هؤلاء، إنه مامن جريح يجرح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة، يدمي جرحه، اللون لون الدم، والريح ريح المسك»**[١].

وكان أناس من الصحابة قد نقلوا موتاهم إلىٰ المدينة فأمر أن يردهم، فيدفنوهم في مضاجعهم وألا يغسلوا، وأن يدفنوا كما هم بثيابهم بعد نزع الحديد والجلود. وكان يدفن الاثنين والثلاثة في القبر الواحد، ويجمع بين الرجلين في ثوب واحد، ويقول: "أيهم أكثر أخذًا للقرآن؟" فإذا أشاروا إلىٰ الرجل قدمه في اللحد، وقال: **«أنا شهيد علىٰ هؤلاء يوم القيامة»**[٢] ودفن عبد الله بن عمرو بن حرام وعمرو بن الجموح في قبر واحد لما كان بينهما من المحبة[٣].

وتعال مع أيها القارئ لتعرف من هو البطل الفارس المحب الشهيد الكريم

---

(١) ابن هشام (٢/ ٩٨).

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ٣/٢٤٨ح (١٣٤٣، ١٣٤٦ - ١٣٤٨، ١٣٥٣، ٤٠٧٩).

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٥٨٤، وزاد المعاد (٢/ ٩٨).

المتفاني في سبيل رفع كلمة التوحيد ونصره رسوله الكريم.

عبد الله بن حرام:

هو عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة، الأنصاري الخزرجي السلمي، وهذا الصحابي الجليل هو الوحيد من البشر الذي كلمه الله سبحانه وتعالىٰ بعد استشهاده مواجهة.

وأمه هي:

الرباب بنت قيس بن القريم بن أمية من بني كعب بن سلمة .

مشاهده:

شهد عبد الله بن عمرو بن حرام العقبة مع الثلاثة والسبعين، واختير نقيبًا، فكان أحد النقباء الأثني عشر، وشهد بدرًا، فهو عقبي بدري، ثم شهد أحدًا واستشهد فيها.

منزلته عند ربه:

عن جابر بن عبد الله قال: لما قتل أبي يوم أحد أتيته وهو مسجى، فجعلت أكشف عن وجهه وأقبله، والنبي ﷺ يراني فلم ينهني.

وعنه أيضًا قال: لما قتل أبي يوم أحد جعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكي، وجعل أصحاب رسول الله ﷺ ينهوني والنبي ﷺ لا ينهاني، وجعلت عمتي فاطمة بنت عمرو تبكي عليه. فقال: النبي ﷺ: «**أبكيه أو لا تبكيه، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه**»[١]. وحين أستشهد أراد أهله أن ينقلوه إلىٰ المدينة هو وعمرو بن الجموح، ولكن النبي ﷺ رفض ذلك.

فعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: أصيب أبي وخالي يوم أحد فجاءت بهما أمي قد عرضتهما علىٰ ناقة. أو قال علىٰ جمل ـ فأقبلت بهما إلىٰ المدينة ـ فنادى منادي رسول الله ﷺ: «**أدفنوا القتلى في مصارعهم**».

---

(١) مسند أحمد جـ ٣ صـ ٣٩٨ معزو إلىٰ شعبة.

شهادة النبي ﷺ له:

عن جابر: أن رسول الله ﷺ لما خرج لدفن شهداء أحد قال: «**زملوهم بجراحهم فإني أنا الشهيد عليهم، ما من مسلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة يسيل ما، اللون لون الزعفران، والريح ريح المسك**»[١].

أول قتيل من المسلمين:

وكان عبد الله بن عمرو بن حرام أول قتيل من المسلمين يوم أحد، قتله سفيان بن عبد شمس والد أبي الأعور السلمي - فصلى عليه النبي ﷺ، ما أجلك يا رسول الله حتى وأنت في المعركة لا تنسي أن تصلي علي أصحابك، نعم - لذلك أحبوك وأطاعوك وتفانوا في الطاعة لك -، وقال رسول الله ﷺ: «**ادفنوا عبد الله بن عمرو وعمرو بن الجموح في قبر واحد لما كان بينهما من الصفاء**».

وفي رواية: «**ادفنوا هذين المتحابين في الدنيا في قبر واحد**».

قال جابر: وكان عبد الله بن عمرو بن حرام رجلاً أحمر أصلع ليس بالطويل، وكان عمرو بن الحموح رجلا طويلا فعرفا فدفنا في قبر واحد.

الشهداء أحياء:

لقد أكرم الله سبحانه وتعالىٰ الشهداء وذكر أنهم أحياء عند ربهم يرزقون، ومما يؤكد ذلك أن معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين حين أمر باجراء المسيل، وكان يمر علىٰ شهداء أحد، وكان قبر عبد الله بن عمرو بن حرام وعمرو بن الجموح مما يلي المسيل، فدخله السيل، وكان عبد الله قد أصابه جرح في وجهه فيده علىٰ جرحه، فأميطت يده عن جرحه فانبعث الدم، فردت يده إلىٰ مكانها فسكن الدم.

قال جابر: فرأيت أبي في حفرته كأنه نائم وما تغير من حاله قليل ولا الكثير.

---

(١) الطبقات جـ٢ صـ٥٦٨.

فقيل له: أفرأيت أكفانه؟ قال: إنما كفن في نمرة خمر بها وجهه، وجعل علىٰ رجليه الحرمل ـ نبات ـ فوجدنا النمرة كما هي، والحرمل علي رجليه علي هيئته، وبين موتهما وبين ذلك ست وأربعون سنة.

ولقد شاور جابر أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا موجدين في ذلك الوقت في أن يطيب أباه بالمسك، فأبوا عليه ذلك وقالوا: لا تحدثوا فيهم شيئا.

ثم حولوا من ذلك المكان إلىٰ مكان آخر.. وذلك أن القناة كانت تمر عليهما...

وأخرجوا طابا يتثنون ـ كأنهم قد دفنوا منذ قليل.

النبي ﷺ يطمئن جابرًا على أبيه:

عن طلحة بن خراش الأنصاري قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: نظر إليَّ رسول الله ﷺ فقال: ما لي أراك منكسرًا مهتما؟ قلت: يا رسول الله، قتل أبي وترك دينًا وعيالا. فقال رسول الله: «**ألا أخبرك؟**» ما كلم الله أحدًا قط إلا من وراء حجاب، وإنه كلم أباك كفاحا ـ مواجهة ـ فقال: «**يا عبدي سلني أعطك**».

قال أسألك أن تردني إلىٰ الدنيا فاقتل فيك ثانية.

قال: أنه سبق منى أنهم لا يردون إليها ولا يرجعون. قال: يا رب، أبلغ من ورائي.

فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [آل عمران ١٧١/ ١٦٩] .

منزلة الشهداء عند ربهم:

وهذه الآيات الكريمة وما جاء حولها من خير يشير إلىٰ منزلة الشهداء عند ربهم، وأن لهم عند الله سبحانه وتعالىٰ فضلا كبيرا.

وقد جاء في تفسير القرطبي: روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أكرم الله تعالىٰ الشهداء بخمس كرامات لم يكرم بها أحدًا من الأنبياء ولا أنا، وأحدها أن جميع الأنبياء قبض أرواحهم ملك الموت وهو الذي سيقبض روحي، وأما الشهداء فالله هو الذي يقبض أرواحهم بقدرته كيف يشاء ولا يسلط علىٰ أرواحهم ملك الموت**».

الثاني: أن جميع الأنبياء قد غسلوا بعد الموت وأنا أغسل بعد الموت، والشهداء لا يغسلون ولا حاجة لهم إلىٰ ماء الدنيا.

والثالث: أن جميع الأنبياء قد كفنوا وأنا أكفن، والشهداء لا يكفنون بل يدفنون في ثيابهم.

والرابع: أن الأنبياء لما ماتوا سموا أمواتًا وإذ مت يقال مات، والشهداء لا يسمون موتى.

الخامس: أن الأنبياء تعطي لهم الشفاعة يوم القيامة وشفاعتي أيضًا يوم القيامة، وأما الشهداء فإنهم يشفعون كل يوم فيمن يشفعون[1].

دين عبد الله بن عمرو:

أوصى عبد الله بن حرام ابنه جابرا يوم أحد وقال له: إني أرجو أن أكون أول من يصاب غدا، فأوصيك ببنات عبد الله خيرًا.

لقد رزقه الله شفافية منها أنه سيكون أول من يصاب، وفعلا لقد كان أول من أصيب.

وأوصى عبد الله ابنه جابر بدينه وأمره أن يسدده.

---

(١) تفسير القرطبي.

ولم يكن لعبد الله ميراث يفي بما عليه من دين، ولكن معجزة النبي ﷺ وبركته كانت مع جابر حتى تمكن من وفاء دين أبيه.

قال جابر: إن أبي توفي وعليه دين فأتيت النبي ﷺ: إن أبي ترك عليه دينا وليس عندي إلا ما يخرج نخله، ولا يبلغ ما يخرج سنين ما عليه، فانطلق معي لكيلا يفحش عليَّ الغرماء. قال: فجاء النبي ﷺ فمشى حول بيدر من بيادر التمر، ودعا ثم عليه وقال: «أين غرماءه؟» فجاءوا، فأوفاهم الذي لهم وبقي مثل الذي أعطاهم[1]. ولقد كانت هناك صلة رحم بين عبد الله بن عمرو بن حرام وعمرو بن، الجموح، ولقد راح عمرو بن الجموح يقاتل عن نبيه ﷺ، وكان ابنه يعدو في أثره حتى يمنعه ـ الذهاب إلىٰ المعركة لكبر سنه وعرجه ـ حتى رزقهما الله الشهادة وقتلا في سبيل الله.

هنا أنموذج من صناديد الإسلام وما أكثرهم قد ضحوا في سبيل الله .... وبعد ذلك كان رسول الله ﷺ يقول:

ما فعل عمي؟ ما فعل عمي؟

فخرج الحارث بن الصمة فأبطا، فخرج علي[2] بن أبي طالب يطلبه فيقول:

يارب إن الحارث بن الصِّمهْ	كان رفيقا وبنا ذا ذمهْ
قد ضل في مهامه مهمهْ	يلتمس الجنة فيها ثمهْ

حتى انتهى إلىٰ الحارث ووجد حمزة مقتولا فاعتصر الحزن قلبه وطفرت الدموع إلىٰ عينيه، وإذا بالبطل الذي قال لزوجه فاطمة وهو يذهب ليأتي بماء ليغسل الدم من وجه رسول الله ﷺ: أمسكي هنا السيف غير ذميم. يجهش بالبكاء علي عمه حمزة لا يدري كيف يذهب بالنبأ الفاجع إلىٰ رسول الله، وكيف ينعي إليه حمزة أسد الله وأسد رسوله.

---

(١) الطبقات جـ٣ صـ ٥٧٠ ـ البداية والنهاية جـ٦ صـ١١٦.

(٢) اقرأ للمؤلف، فتاوى الإمام علي بن أبي طالب/ الناشر/ المكتبة المحمودية/ بجوار جامع الأزهر/ القاهرة.

ولا بد لنا أن نعرف من هو حمزة.

أسطورة أخرى في البسالة والفداء.

ليث من ليوث الإسلام.

هو: حمزة[١] بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قيس بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركه بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ... الإمام البطل الضرغام أسد الله أبو عمارة وأبو يعلي القرشي الهاشمي المكي ثم المدني البدري الشهيد عم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة.

ولد حمزة ﷺ قبل يوم الفيل بعامين أي عام ٦٨ م. كما كان أخًا لرسول الله ﷺ من الرضاعة إذ غذتهما حليمة السعدية من ثدييها معا. كما كانت أمه السيدة هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب (ابنة عم السيدة آمنة بنت وهب أم رسول الله)، أرضعت رسول الله يومًا وهو عند حليمة السعدية، كما أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب. وكانت قد أرضعت معهما أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي قبلهما.

وكان قد أسلم في السنة السادسة من البعثة النبوية الموافق سنة ٦١٦م .

وكان إسلام حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله عزًا ورفعة للإسلام وقوة مثل إسلام عمر بن الخطاب بل أكثر منه إن عز القول ـ زادك الله عزًا يا سيد الشهداء ـ.

ومنذ أسلم هذا الفارس المغوار نذر كل عافيته وبأسه وحياته لله ولدينه ولرسوله حتى خلع النبي ﷺ عليه لقب أسد الله، وأسد رسوله.

كانت أول سرية خرج فيها المسلمون للقاء العدو كان أميرها حمزة بن

(١) أقرأ للمؤلف/ حمزة أسد الله ورسوله/ الناشر/ مركز الإسكندرية للكتاب/ ٤٦ ش مصطفى مشرفة/ الأزاريطة/ الإسكندرية.

عبد المطلب ﷺ، وأول راية عقدها رسول الله لأحد من المسلمين كانت لحمزة حيث كان في شهر رمضان سنة ١هـ، الموافق مارس سنة ٦٢٣م، وكانت تسمى ـ سرية سيف البحر[١] ـ وذلك لاعتراض عير لقريش في ثلاثين راكبًا، فانتهى إلىٰ الساحل ولم يلق كيدًا.

وفي غزوة بدر جندل بسيفه كبار مشركي مكة، وسنسوق قول أحد كبار مشركي مكة وهو يتحدث عن البطل الأسطورة، وهو أمية بن خلف، وكان قد رأى رجلًا علىٰ صدره ريشة نعامة وكان عندئذ يحتمي في الصحابي عبد الرحمن بن عوف لينجو بنفسه ـ كانت بينهما صداقة مقربة في الجاهلية ـ فقال أمية لعبد الرحمن: يا عبد الرحمن من هذا الرجل الملعم بريشة نعامة في صدره؟

فقال عبد الرحمن: ذاك حمزة بن عبد المطلب.

فقال أمية: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل.

ثم يأتي دوره في أحد ـ كما أسلفنا في تفاصيلها ـ وقتل الشهيد البطل .. أسد الله وأسد رسوله حتى معنى أسمه اسد، وهو لم يقتل عن قلة كفاءته العسكرية القتالية ـ لكن ـ قدره أن تعثر قدماه، ـ وإلا ـ كان الويل والثبور والجحيم لهذا العبد الوحشي الأسود، ولم ينظر هذا العبد الأسود في وجه رسول الله ﷺ ـ طيلة حياته ـ بناء علىٰ قول رسول الله ـ له ـ «**إذا تقابلنا في طريق فاسلك طريق أخر يمينًا أو يسارًا**» وكان هذا عذاب نفسي ووحشي قاس ظل يلازمه حتى مماته.

فهو شهيد .. بل سيد الشهداء.. فالشهيد هو من قتل في سبيل الله تعالىٰ، قال

(١) سرية سيف البحر: في رمضان سنة ١هـ، الموافق مارس سنة ٦٢٣م، أمر رسول الله ﷺ علىٰ هذه السرية حمزة بن عبد المطلب، وبعثه في ثلاثين رجلًا من المهاجرين يعترضون عيرًا لقريش جاءت من الشام، وفيها أبو جهل بن هشام في ثلاثمائة رجل، فبلغوا سيف البحر من ناحية العيص ـ بالكسرة:
مكان بين ينبع والمروة ناحية البحر الأحمر ـ، فالتقوا واصطفوا للقتال، فمشى مجدي بن عمرو الجهني ـ وكان حليفًا للفريقين جميعًا ـ بين هؤلاء وهؤلاء حتى حجز بينهم فلم يقتتلوا.

الله تعالىٰ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ . [آل عمران: ١٦٩] فإذا كان هذا الذي قتل شهيد حي، فإن الاعتداء عليه بعد استشهاده هو اعتداء علىٰ حي، فكل الذين استشهدوا يوم أحد ومثل بهم هم الذروة من الشهداء، ويأتي في طليعتهم رضي الله تعالىٰ عنه أسد الله تعالىٰ، وأسد رسوله ﷺ: حمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ، فحينما قتله وحشي، ونقل الخبر لهند زوجة أبي سفيان جاءته وبقرت بطنه وأكلت من كبده وجدعت أنفه ومعها نساء قريش، وكانت جثث أولئك الشهداء في حال يرثى لها: لقد ظمئت نساء قريش إلىٰ الثأر، فتركن الدفوف، وارتمين علىٰ القتلى يمثلن بهم، وقد سبقتهن رئيستهن هند بنت عتبة في مضمار الوحشية فاتخذت من آذان الرجال وأنوفهم قلائد وأقراطًا، وأعطت أقراطها وقلائدها وخزمها "وحشيًا" ووقعت وكأنها الفهد، علىٰ جثة حمزة، فبقرت بطن الشهيد بأظرفها الدامية، وخلعت الكبد ولاكتها بين فكيها، بحنق ووحشية، فلم تستطع أن تسيغها، فلفظتها، فكانت كل مضغة، وكل جدعة هي بمثابة قتلة جديدة له، لذا قال الشاعر:

أحمزة عم المصطفى أنت سيد
على شهداء الأرض طرة

وحسبك من تلك الشهادة عصمة
من الموت في وصل الحياتين بالأخرى

حزن الرسول ﷺ على حمزة:

خرج رسول الله ﷺ يلتمس حمزة بن عبد المطلب فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ومثله به، فجدع أنفه وأذناه، فدمعت عيناه ﷺ لرؤية حمزة الحبيب ومصعب الباسل وآخرين كثيرين، فأمر بعدم مس أي شيء من الجثث أو نقلها، بل يجب أن يرقدوا حيث سقطوا، لتبقى مقابر الشهداء إلىٰ الأبد شاهدة علىٰ وفائهم.

فقال رسول الله ﷺ حين رأى ما رأى: «**لولا أن تحزن صفية ويكون سنة من بعدي لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله علىٰ قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلًا منهم**».

فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغيظه علىٰ من فعل بعمه ما فعل، قالوا: والله لئن أظفرنا الله بهم يومًا من الدهر لنمثلن بهم مثله لم يمثلها أحد من العرب ، فأنزل الله تعالىٰ، فيما قوله من ذلك رسوله صلوات الله عليه وسلامه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [النحل: ١٢٦، ١٢٧] فعفا رسول الله ﷺ وصبر ونهى عن المثلة ويقال: أن رسول الله ﷺ لما وقف علىٰ حمزة قال: «**لن أصاب بمثلك أبدًا! ما وقفت موقفًا قط أغيظ لي من هذا**». ثم قال: «**جاءني جبريل فأخبرنى أن حمزة مكتوب في أهل السموات السبع: حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله**».

ثم أمر به رسول الله ﷺ فسجى ببردة، ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات، ثم أتى بالقتلى، يوضعون إلىٰ حمزة وصلى عليهم وعليه معهم، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة، وأقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر إليه، وكان أخوها لأبيها وأمها، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام: «**القها فأرجعها، لا ترى ما بأخيها**» . فقال لها: "يا أمة: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي" . قالت: ولم؟ وقد بلغني أنه مثل بأخي ـ وذلك في الله ـ فما أرضانا بما كان من ذلك، لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله، فلما أخبر الزبير بذلك رسول الله ﷺ قال: «**خل سبيلها**»، فأتته فنظرت إليه فصلت عليه واسترجعت واستغفرت له، ثم أمر به رسول الله ﷺ فدفن .

وزعم آل عبد الله بن جحش أن رسول الله ﷺ دفن عبد الله بن جحش مع حمزة في قبره، وهو ابن أخته أميمة بنت عبد المطلب، وكان قد مثل به كما مثل بخاله حمزة، إلا أنه لم يبقر عن كبده وجدع أنفه وأذنيه، فلذلك يقال له:

المجدع في الله، وكان أول النهار قد لقي سعد بن أبي وقاص قال له عبد الله: هلم يا سعد فلندع الله وليذكر كل واحد منا حاجته في دعائه وليؤمن الآخر، فقال سعد: يا رب إذا لقيت العدو فلقني رجلًا شديد بأسه شديدًا حرده أقاتل فيك ويقاتلني ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله وأسلبه سلبه، فأمن عبد الله بن جحش ثم قال: اللهم ارزقني رجلًا شديدًا بأسه شديدًا حردة أقاتله فيك ويقاتلني ثم يجدعني أنفي وأذني، فإذا لقيتك غدًا قلت لي: يا عبد الله، فيم جدع أنفك وأذناك؟ فأقول: فيك يا رب وفي رسولك، فتقول لي: صدقت، فأمن سعد علىٰ دعوته .

قال سعد: كانت دعوة عبد الله خيرًا من دعوتي، لقد رأيته أخر النهار وإن أذنيه وأنفه معلقتان في خيط، ولقيت أنا فلانًا من المشركين فقتلته وأخذت سبله .

وذكر الزبير أن سيف عبد الله بن جحش انقطع يوم أحد فأعطاه رسول الله ﷺ عرجونًا فعاد في يده سيفًا قائمًا منه، فقاتل به فكان ذلك السيف يسمى العرجون، ولم يزل هذا يتوارث حتى بيع من بغا التركي بمائتي دينار(١) .

لقد كان مصاب النبي ﷺ في عمه العظيم حمزة فادحًا .. وكان العزاء فيه مهمة صعبة ـ رسول الله بشر مثلنا ويجب ألا ننسى ذلك في رسول الله ـ بيد أن الأقدار كانت تدخر لرسول الله أجمل عزاء . ففي طريقه من احد إلىٰ داره مر عليه الصلاة والسلام بسيدة من بني دينار (من بني مالك بن دينار الخزرجي)، استشهد في المعركة أبوها وأخوها وزوجها .. وحين أبصرت المسلمين العائدين من الغزو سارعت نحوهم تسألهم عن أنباء المعركة .. فنعوا إليها الزوج .. والأب .. والأخ .. وإذا بها .

تسألهم في لهفة "وماذا فعل رسول الله؟ .

---

(١) ما بين المعكوفين من الاكتفاء في مغازي الرسول ﷺ والثلاثة الخلفاء (٢/١٠٨ ـ ١١٠) .

قالوا: "خيرًا .. وهو بحمد الله كما تحبين"

قالت: أرونيه حتى أنظر إليه"

ولبثوا بجوارها حتى اقترب رسول الله ﷺ فلما رأته أقبلت نحوه تقول "كل مصيبة بعدك أمرها يهون" . أجل لقد كان هذا أجل عزاء وأبقاه .. ولعل الرسول ﷺ قد ابتسم(١) لهذا المشهد الفذ الفريد فليس في دنيا البذل والولاء والفداء لهذا نظر ... سيدة ـ ضعيفة .. مسكينة .. تفقد في ساعة واحدة أباها، وزوجها، وأخاها .. ثم يكون ردها على الناعي لحظة سماعها النبأ الذي يهد الجبال "وماذا فعل رسول الله؟" لقد كان مشهدًا أجاد القدر رسمه وتوقيته ليجعل منه للرسول الكريم ﷺ عزاء .. أي عزاء .. في أسد الله وسيد الشهداء ..

وأقبل رسول الله ﷺ حتى وقف على حمزة فوجده قد بقر بطنه ومثل به فجدع أنفه وقطعت مذاكيره، وكان دم حياته يتدفق في الصحراء، فنظر ﷺ إلى شيء لم ينظر إلى شيء قط كان أوجع لقلبه منه وقال:

لن أصاب بمثلك . ما وقفت موقفًا أغيظ لي من هذا . رحمة الله عليك فإنك كنت ما علمتك فعولا للخيرات وصولا للرحم، أما والله لئن أظفرني الله تعالى بقريش في موطن من المواطن لأمثلن بسبعين منهم مكانك .

ووضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب حتى شهق، وبلغ به الغشي وراح يقول: يا عم رسول الله وأسد الله واسد رسول الله، يا حمزة يا فاعل الخيرات، يا حمزة يا كاشف الكربات، يا حمزة يا ذاب عن وجه رسول الله .

ولما رأى المسلمون جذع رسول الله ﷺ على عمه قالوا:

لئن أظفرنا الله بهم يومًا من الدهر لنمثلن بهم مثله لم يمثلها أحد من العرب .

وطلعت صفيه فقال ﷺ:

يا زبير أعن عني امك .

---

(١) كان رسول الله ﷺ إذا اتبسم كان وجهه كالقمر .

فذهب الزبير إلىٰ أمه وهو واله حزين وقال لها:

يا أمه، إن في الناس تكشف فارجعي .

ما أنا بفاعلة حتى أرى رسول الله ﷺ .

وحال الأنصار بينهما وبين رسول الله ﷺ فقال:

دعوها .

فجاءت النبي ﷺ فقال: «**فإني أخاف علىٰ عقلها**» . فوضع يده علىٰ صدرها ودعا لها، فاسترجعت، وبكت .

فانطلقت إليه عليه السلام وقالت:

أين ابن أمي حمزة؟

فقال وهو حزين:

هو في الناس .

لا أرجع حتى أنظر إليه .

ورأت صفية أخاها حمزة وقد مثل به فأحست بسكاكين تمزق أحشاءها، وجلست عند رسول الله، فجعل إذا بكت يبكي وإذا نشجت ينشج[١] . وجعلت فاطمة عليها السلام تبكي، فلما بكت بكي رسول الله ﷺ ثم قال: «**لن أصاب بمثل حمزة أبدًا**» .

وكفن حمزة رضي الله عنه بنمرة[٢] إذا مدوها علىٰ رأسه انكشفت رجلاه وإن مدوها علىٰ رجليه انكشف رأسه، فمدوها علىٰ رأسه وجعلوها علىٰ رجليه الأذخر[٣] .

ونزل في قبر حمزة عليٌّ كرم الله وجهه والزبير وأبو بكر وعمر ورسول الله ﷺ جالس علىٰ حفرته .

---

(١) النشيج: البكاء بصوت مرتفع .

(٢) النمرة: شملة فيها خطوط .

(٣) الإذخر: الحشيش الأخضر .

وأشرف رسول الله ﷺ علىٰ قتلى أحد وقال:

أنا شهيد علىٰ هؤلاء وما من جرح يجرح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه، اللون لون الدم والريح ريح مسك .

ثم تلا: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝١٦٩﴾ [آل عِمرَان: ١٦٩] .

وأراد ﷺ أن يتوجه للمدينة فركب فرسه وخرج المسلمون حوله ـ عامتهم جرحى ومعه أربع عشرة امرأة، فلما كانوا بأصل أحد قال ﷺ:

اصطفوا حتى أثني علىٰ ربي عز وجل[(١)] .

فاصطف الرجال خلفه صفوفًا وخلفهم النساء، فقال:

اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطي لمن منعت ولا مانع لمن أعطيت ولا مقرب لما أبعدت ولا مبعد لما قربت . اللهم إني أسألك من بركتك ورحمتك وفضلك وعافيتك . اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول . اللهم إني أسألك الأمن يوم الخوف والغناء يوم الفاقة، عائذا بك اللهم من شر ما أعطيت ومن شر ما منعت . اللهم توفنا مسلمين . اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين . اللهم عذّب كفرة أهل الكتاب الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك . اللهم أنزل عليهم رجسك وعذابك إله الحق آمين .

أقبل رسول الله ﷺ من أحد علىٰ فرسه وقد أخذ بعنانها سعد بن معاذ والمسلمون من حوله، وخرجت كبشة بنت عتبة بن معاوية بن بلحارث بن الخزرج تعدو نحو رسول الله ﷺ وهو واقف علىٰ فرسه وسعد بن معاذ أخذ بعنان فرسه، فقال سعد: يا رسول الله أمي، فقال: مرحبا بها، فدنت حتى تأملته

(١) منتهى العبودية لله ﷻ ـ رأى المؤلف ـ .

فعزاها بإبنها عمرو بن معاذ، فقالت: أما أذ رأيتك سالما فقد اشتويت المصيبة (أي استقللتها)، ثم دعا لأهل من قتل بأحد، وقال: «**يا أم سعد بشري أهليهم أن قتلاهم قد ترافقوا في الجنة جميعًا وقد شفعوا في أهليهم**» . قالت: رضينا يا رسول الله، ومن يبكي عليهم بعد هذا؟ ثم قالت: يا رسول الله ادع لمن خلفوا، فقال: اللهم اذهب حزن قلوبهم وأجر مصيبتهم وأحسن الخلف علىٰ من خلفوا .

الرسول ﷺ في المدينة:

وانتهى رسول الله ﷺ ـ مساء ذلك اليوم ـ يوم السبت السابع من شهر شوال سنة ٣ هـ ـ إلىٰ المدينة فلما انتهى إلىٰ أهله ناول سيفه ابنته فاطمة، وقال: «**اغسلي من هذا دمه يا بنية**»، وناولها علي بن أبي طالب سيفه، فقال: وهذا أيضًا فاغسلي عنه دمه، فوالله لقد صدقني اليوم، فقال رسول الله ﷺ: «**لئن كنت صدقت القتال، لقد صدق معك سهل بن حنيف وأبو دجانة**»[1] .

وكان شماس بن عثمان المخزومي قد حمل إلىٰ المدينة وبه رمق، فأدخل علىٰ عائشة فقالت أم سلمة:

ابن عمي يدخل لغيري؟

فقال رسول الله ﷺ: احملوه إلىٰ أم سلمة . فحملوه إليها فمات عندها . فأمر رسول الله ﷺ أن يرد إلىٰ أحد ويدفن هناك كما هو في ثيابه التي مات فيها . وكان قد مكث يومًا وليلة ولم يذق شيئًا . فلم يصل عليه رسول الله ﷺ ولا غسله .

وأمر سادات الأنصار ووجوتهم نسائهم ونساء قومهم أن يذهبن إلىٰ بيت رسول الله ﷺ يبكين حمزة . وأذن بلال لصلاة المغرب فخرج رسول الله ﷺ يتوكأ علىٰ السعدين فصلى ﷺ بالناس ثم دخل بيته .

وغاب الشفق فأذن بلال بالعشاء فلم يخرج رسول الله ﷺ فلما ذهب ثلث

---

(١) ابن هشام ٢/ ١٠٠ .. أبو دجانة شهد المشاهد كلها .. واستشهد يوم اليمامة .

الليل نادى بلال:

الصلاة يا رسول الله .

فقام من نومه وخرج والنساء على باب المسجد يبكين حمزة ﷺ، فقال لهم:

ارجعن رحمكن الله، لقم واسيتين معي، رحم الله الأنصار فإن المواساة فيهم كما علمت قديمة .

ونهى نساء الأنصار عن النَّوح وقال له الأنصار:

يا رسول الله بلغنا أنك نهيت عن النوح، وإنما هو شيء نندب به موتانا ونجد فيه بعض الراحة فأذن لنا فيه .

إن فعلنِ فلا يخمشن ولا يلطمن ولا يحلقن شعرًا ولا يشقُقن جيبًا .

وبات وجوه الأوس والخزرج ليلة الأحد الثامن من شوال سنة ٣ هـ على بابه بالمسجد يحرسونه خوفًا من قريش أن تعود إلى المدينة .

وراح ابن أبي بن سلول والمنافقين معه يشمتون ويُسَرُّون بما أصاب المسلمين ويظهرون أقبح القول، ورجع عبد الله بن عبد الله بن أبي إلى أبيه وهو جريح، فبات يكوي الجراحة بالنار حتى ذهب عامة الليل وأبوه يقول:

ما كان خروجك مع محمد إلى هذا الوجه برأيي، عصاني محمد وأطاع الولدان! والله لكأني كنت أنظر إلى هذا .

فقال ابنه:

الذي صنع الله لرسوله وللمسلمين خير وإن شاء الله .

وكان حاطب بن أمية منافقًا وكان ابنه يزيد بن حاطب رجل صِدْق راح يحارب مع النبي ﷺ حتى حمل من المعركة جريحًا وبه رمق، فرجع به قومه إلى منزله فالتف حوله أهل الدار يبكون عنده، فالتفت أبوه إليهم وقال:

أنتم والله صنعتم هذا به .

كيف؟

أغررتموه من نفسه حتى خرج فقتل .

فجعل المسلمون من أهل الدار من الرجال والنساء يقولون ليزيد:

أبشر يا بن حاطب بالجنة .

فظهر الضيق في وجه الشيخ فقال:

بأي شيء تبشرونه! أبحقه من حرمل (كفن)! غررتم والله هذا الغلام من نفسه .

وكان معاوية بن المغيرة بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصي، الذي جدع أنف حمزة ومثل به فيمن مثل، قد انهزم يوم أحد فمضى علىٰ وجهه فبات قريبًا من المدينة، فلما أصبح دخلها فأتى منزل عثمان بن عفان ابن أبي العاص فضرب بابه، فقالت له امرأته، أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ ليس هو ههنا: فقال: ابعثي إليه فإن له عندي ثمن بعير ابتعته منه عام الأول وقد جئته به، فأرسلت إليه، وهو عند رسول الله ﷺ، فلما جاء قال لمعاوية: أهلكتني ونفسك، ما جاء بك؟ قال: يا ابن عم، لم يكن أحد اقرب إليَّ ولا أمس رحمًا بي منك، فجئتك لتجيرني، فأدخله عثمان داره، وصيره في ناحية منها، ثم خرج إلىٰ رسول الله ﷺ ليأخذ له منه أمانًا، فسمع رسول الله ﷺ أن معاوية بالمدينة وقد اصبح بها، وقال: اطلبوه، فقال بعضهم: ما كان ليَعدُوَ منزل عثمان، فاطلبوه به، فدخلوا منزل عثمان فأشارت أم كلثوم إلىٰ الموضع الذي صيره عثمان فيه فاستخرجوه من تحت حمارة لهم، فانطلقوا به إلىٰ النبي ﷺ، فقال عثمان حين رآه: والذي بعثك بالحق ما جئتك إلا لأطلب له الأمان، فهبه لي، فوهبه له، وأجله ثلاثًا، وأقسم لئن وجد بعدها شيء من أرض المدينة وما حولها ليقتلن، وخرج عثمان فجهزه، واشترى له بعيرًا، وقال: ارتحل .

وسار رسول الله ﷺ إلىٰ حمراء الأسد، وأقام معاوية إلىٰ اليوم الثالث

ليعرف أخبار النبي ﷺ ويأتي به قريشًا، فلما كان اليوم الرابع قال ﷺ: إن معاوية قد أصبح قريبًا، لم ينفذ فاطلبوه واقتلوه، وأصابوه علىٰ ثمانية أميال من المدينة، وقد أخطأ الطريق، فأدركوه، وكان اللذان أسرعا في طلبه زيد بن حارثة وعمار بن ياسر فرمياه بالنبل حتى مات، ومعاوية هذا أبو عائشة بنت معاوية أم عبد الملك بن مروان .

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتي عليكم يوم أشد من يوم أُحُد؟ قال: «**لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيته يوم العقبة، إذ عرضت نفسي علىٰ ابن عبد ياليل فلم يجبني إلىٰ لما أردت، فانطلقت وأنا مهموم علىٰ وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا وملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فيما شئت، إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين! فقال النبي ﷺ: ارجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به**» . متفق عليه .

لقد كسر - رسول الله ﷺ - في أُحُد، وما كان هذا نتيجة خطته، بل كان نتيجة عدم إطاعة رجاله للأوامر، وعلى كل حال فقد هُزم، فنالت الهزيمة من سمعته كمبعوث الله، فلوا أنه اعترف بالهزيمة لانخفضت سمعته أكثر من ذلك، لذلك لم يعترف بالهزيمة، فبدلا من ان يترك رجاله لنسائهم يعتنين بهم، ويحدثوهن عن القتال، جمعهم وكان جريحًا منهوكًا، وكا في السادسة والخمسين من عمره، ولكنه امتطى فرسه، وانطلق كأنما يقتفي أثر عدو تفرق وفقد روحه المعنوي، ولكنه هذا عمل استراتيجي من الطراز الأول، وعمل نفساني هائل، وكان فوق كل ما يفكر فيه أي قائد لإحياء الروح المعنوي في رجاله وقد تحطموا تحطيمًا .

***

غزوة حمراء الأسد[1]:

جاء عبد الله بن عوف صبيحة قدومه ﷺ من أُحد وهو الثامن من شهر شوال من هذه السنة، فأخبره أنه أقبل من أهله حتى إذا كان بمحل كذا إذا قريش قد نزلوا به، فسمع أبو سفيان وأصحابه يقولون:

ما صنعتم شيئًا، قد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم فأرجعوا نستأصل من بقي .

وصفوان بن أمية يأبى ذلك عليهم ويقول:

يا قوم لا تفعلوا فإني أخاف أن يجمع عليكم من تخلف من الخزرج فارجعوا والدولة لكم، فإني لا آمن إن رجعتم أن تكون الدولة عليكم .

فقال رسول الله ﷺ:

«أرشدهم صفوان وما كان يرشد» .

فدعا رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر وذكر لهما الخبر فقالا:

يا رسول الله اطلب العدو لا يقتحمون علىٰ الذرية .

ورأى رسول الله ﷺ أن يخرج خلف قريش إرهابًا للعدو وليبلغهم أنه ﷺ خرج في طلبهم ليظنو به قوة وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم، فلما انصرف من صلاة الصبح نذب الناس وأمر بلالا ينادي أن رسول الله ﷺ يأمركم بطلب عدوكم ولا يخرج إلا من حضر القتال بالأمس .

وتهيأ رسول الله ﷺ للخروج، فجاءه جابر بن عبد الله .

فقال:

يا رسول الله إنما تخلفت عن أُحد لأن أبي خلفني علىٰ أخوات لي تسع وقال: **«يا بني إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن،**

(١) موضع علىٰ ثمانية أميال من المدينة عن يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة وحمراء الأسد هو جبل بناحية العقيق .

ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله ﷺ لعل الله يرزقني الشهادة فتخلف علىٰ أخواتك» . فاستخلفت عليهن واستأثر عليَّ بالشهادة، فائذن لي رسول الله معك .

فأذن له رسول الله ﷺ:

وكان عبد الله ورافع ابنا سهيل بن رافع قد شهدا أحدا فرجعا جريحين، فلما أذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو قال عبد الله لأخيه رافع:

أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ! والله ما عندنا دابة نركبها ولا ندري كيف نصنع، انطلق بنا . لا والله ما بي مشي .

انطلق بنا .

فخرجا يزحفان، وكان عبد الله أيسر جرحًا من رافع، فكان إذا غلب رافع حمله عبد الله . واستأذن رسول الله في الخروج رجال لم يحضروا القتال منهم عبد الله بن أُبي رأس المنفقين، قال له:

أنا راكب معك .

فأبى ذلك عليهم ـ رسول الله ﷺ ـ ودعا بلوائه وهو معقود لم يحل فدفعه إلىٰ علي بن أبي طالب واستخلف علىٰ المدينة ابن أم مكتوم وركب رسول الله ﷺ فرسه المسمى بالسكب، ولم يكن مع أصحابه فرس سواه وعليه الدرع والمغفر وما يراه إلا عيناه .

وخرج الناس بهم الجراحات ولم يعرجوا علىٰ دواء جراحاتهم فمنهم من كان به تسع جراحات وهو أسيد[1] بن حُضير وعقبة بن عامر، ومنهم من كان به عشر جراحات وهو خراش بن الصِّمة ومنهم من كان به بضع وسبعون جراحة وهو طلحة بن عبيد الله، ومنهم من كان به عشرون جراحة وهو عبد الله بن عوف .

(١) أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك الأنصاري الأوسي، كان من النقباء، وكان شريفا في الجاهلية والإسلام، وكان يكتب العربية ويحسن العوم والرمي، وكان يلقب بالكامل . لم يشهد بدرا، لكنه شهد أحدًا والمشاهد كلها بعد ذلك، توفي في شعبان سنة عشرين .

وخرج - رسول الله ﷺ - وهو مجروح في وجهه أثر الحلقتين ومشجوح في وجهه ومكسورة رباعيته وشفته السفلى قد جرحت من باطنها، متوهن منكبه الأيمن لضربة ابن قميئة، وركبتاه مجروحتان من وقعته في الحفرة - أترك التعليق هنا للقارئ لحاله قائد هذه الأمة وهو خارج للحرب - وتلقاه ﷺ طلحة بن عبيد الله فقال له:

أبا طلحة، أين سلاحك؟

قريب

فذهب وأتى بسلاحه وبصدره وحده تسع جراحات من تلك الجراحات التي به، وهو أهم بجراح رسول الله ﷺ منه بجرحه، ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقال:

يا طلحة، أين ترى القوم؟

بالسقالة

«ذلك الذي ظننت، أما إنهم يا طلحة لن ينالوا منا مثلها حتى يفتح الله مكة علينا».

وكان الدليل في السير ثابت بن الضحاك فسار بالمسلمين ورافع بن سهيل الأشهلي لا يقوى على السير فيحمله أخوه عبد الله متأخرًا عن الركب.

وأبليا في أحد معا بلاء حسنًا، حتى جرح كلاهما جراحة شديدة كما جرح غيرهم ممن شهد المعركة .. وعبد الله هو: عبد الله بن سهل بن زيد بن عامر بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي.

وأمه: الصعبة بنت التيهان بن مالك أخت أبي الهيثم بن اليتهان وهو أخو رافع بن سهل وهو من حلفاء بني عبد الأشهل بن جشم.

وجاء الليل، ولحق المسلمون بالمكيين، لما أرخى ليل اليوم الثاني سدوله،

فأمر رسول الله ﷺ بالوقوف وعسكر بمن معه، فلما لف الظلام كل شيء أمر رجاله أن يوقدوا مئات النيران علىٰ طريق الربوه المشرفة علىٰ عسكر الأعداء حتى ترى من بعيد، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه إرهابًا للعدو. فكان تأثيرها كما كان يأمل، وظل رافع وأخوه عبد الله يجاهدان حتى انتهيا إلىٰ ما انتهى إليه المسلمون من حمراء الأسد عند العشاء وألسنة النيران تتراقص، فجاءتهما الحراس وكان علىٰ الحرس تلك الليلة عباد بن بشر مع طائفة، فلما أتى بهما إلىٰ رسول الله ﷺ قال لهما:

ما حبسكما؟

فأخبراه بغلبتهما، فدعا لهما بخير وقال لهما:

«إن طالت بكما مدة كانت لكما مراكب من خيل وبغال وإبل، وذلك ليس بخير لكم».

وأقام المسلمون بحمراء الأسد ثلاث ليال الاثنين والثلاثاء والأربعاء ـ ٩، ١٠، ١١ شوال سنة ٣هـ وكان عامة زادهم التمر ـ ما هذه النوعية من البشر، يا رب أرزقني مثلهم ، كانوا يحسنوا الظن[١] بالله في كل شيء ـ وحمل سعد بن عبادة الصحابي الجليل ثلاثين بعيرًا حتى وافت حمراء الأسد وساق جزر التنحر فنحروا في يوم اثنين وفي يوم ثلاثة.

ولقي معبد الخزاعي ـ رسول الله ﷺ وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم تحبه[٢] ﷺ فقال: يا محمد، والله لقد عز علينا ما أصابك في نفسك وما أصابك في أصحابك ولو دنا أن الله تعالىٰ أعلى كعبك وأن المصيبة كانت لغيرك. ثم

(١) قيل: أحسن أصحاب رسول الله ﷺ ظنهم بالله، وبايعوا نبيهم ﷺ علىٰ الموت، فعوجلوا بالأمن والسلامة من الموت، ولهذا قيل: ليس في خصال الخير، وأن جلت، ولا في أنواع البر، وإن عظمت، أعلى من حسن الظن بالله تعالىٰ .

(٢) والخزاعيون كانوا من أعاظم أعوان الرسول ﷺ، حتى لقد رفعهم إلىٰ مراتب المهاجرون دون أن يهاجروا إلىٰ المدينة، وبريدة الحصيب الأسلمي الخزاعي كان علما من أعلام أمة الإسلام أيام الرسول ﷺ، حتى جاء عمر بن الخطاب وأبعد الخزاعيين وكل غير القرشيين عن الشورى .

مضي معبد حتى كان بالرَّوحاء[١]، فلما رأى أبو سفيان معبدًا قال:

هذا معبد وعنده الخبر، ما وراءك يا معبد؟

تركت محمدًا وأصحابه قد خرجوا لطلبكم فى جمع لم أر مثله قط يحترقون عليكم تحرقًا، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه بالأمس من الأوس والخزرج وتعاهدوا علىٰ أن لا يرجعوا حتى يلقوكم فيثأروا منكم وغضبوا لقومهم غضبًا شديدًا وندموا علىٰ ما فعلوا فيهم من الحنق[٢] شيء لم أر مثله قط ويحك ما تقول؟

والله ما أرى أن نرتحل حتى أرى نواصي الخيل.

فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم.

أعتقد أبو سفيان أن رسول الله ﷺ جاءه بمدد جديد من المدينة، وأنه أقبل ليثأر لأُحد، فجمع خيامه، وانطلق إلىٰ الجنوب، ثم قال: والله لقد حملني علىٰ ما رأيت أن قلت فيهم أبياتا من شعر.

وما قلت؟

كادت تهد من الأصوات راحلتي ... إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل[٣]

تردي بأسد كرام لا تنابلة[٤] ... عند اللقاء ولا ميل[٥] معازيل[٦]

فظلت عدوا أظن الأرض مائلة ... لما سموا برئيس غير مخذول

فقلت: ويل ابن حرب من لقائكم ... إذا تغطمطت[٧] البطحاء بالجيل

إني نذير لأهل البَسْل[٨] ضاحية ... لكل ذي إربة منهم ومعقول

(١) بينهما وبين المدينة نحو أربعين ميلًا، وقيل ستة وثلاثين، وقيل ثلاثين . انظر "مراصد الاطلاع" .

(٢) الحنق: الغيظ .

(٣) الجرد: الخيل وهو الفرس القصير الشعر . الأبابيل: الفرق الكثيرة .

(٤) التنبابلة: جمع تنبال وتنبالة، وهو القصير .

(٥) الميل: جمع أميل، وهو الجبان أو الذي لا سيف معه .

(٦) المعازيل: جمه معزال وهو من لا رمح معه .

(٧) تغطمطت: اضطربت . البطحاء: السهل من الأرض . الجيل: الصنف من الناس .

(٨) البسل: الحلال والحرام منه .

من جيش أحمد لا وحش قبائله[١]   وليس يوصف ما أنذرت بالقبل

ومر بأبي سفيان ركب من عبد قيس فقال:

أين تريدون؟

نريد المدينة.

ولم؟

نريد الميرة.

فهل أنتم مبلغون عني محمدًا رسالة أرسلكم بها إليه وأحمل لكم هذه غدا زبيبا بعكاظ إذا وافيتموها..؟

نعم.

فإذا وافيتموه فأخبروا أنا قد جمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم.

فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء أسد، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان فقال:

حسبنا الله ونعم الوكيل.

ولم يحس أبو سفيان بالأمن حتى بلغ مكة، وكان آمنا خلف جدرانها.

ثم أنزل الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٢، ١٧٣].

وظفر رسول الله ﷺ - في حمراء الأسد بأبي عزة الشاعر الجمحي، وكان قد منَّ عليه، وكان ذا عيال وحاجة، وقد أسر ببدر وقد من عليه غير فداء إكرامًا لبناته وأخذ عليه عهدًا أن لا يقاتله ولا يكثر عليه جمعا ولا يظاهر عليه أحدًا.

---

(١) القبائل: الطوائف .

فقال له صفوان بن أميه: يا أبا عزة، إنك امرؤ شاعر، فأعنا بلسانك فأخرج معنا. فقال:

إن محمدًا قد منّ عليّ فلا أريد أن أظاهر عليه. قال: بلى، فأعنا بنفسك، فلك الله علىٰ إن رجعت أن أعينك وإن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر.

فخرج أبو عزة يسير في تهامة ويدعو بني كنانة، ويقول:

إيها بني عبد مناة الرزام[1] أنتم حماة وأبوكم حام
لا يعدوني نصركم بعد العام لا تسلموني لا يحل إسلام

فلما جيء به رسول الله ﷺ قال:

يا محمد لا تقتلني وامنن عليّ ودعني لبناتي وأعطيك عهدً ألا أعود لمثل ما فعلت.

فقال رسول الله ﷺ:

«لا والله لا تمسح عارضيك بمكة تجلس في الحجر تقول: خدعت محمدًا مرتين. اضرب عنقه يا زبير . لا يلدغ من جحر مرتين».

فضرب الزبير بن العوام عنقه ورفع رأسه علىٰ رمح ليكون أول رأس حمل في الإسلام ويقال أنه كان الأسير الوحيد.

وأرسل معبد الخزاعي بخبر رسول الله ﷺ بانصراف أبي سفيان ومن معه خائفين، فانصرف رسول الله ﷺ إلىٰ المدينة.

كان سويد بن الصامت قد قتل زيادًا فقتله المجذر بن زياد، فهيج بقتله وقعة بُعاث[2] فلما قدم النبي ﷺ المدينة أسلم المجذر والحارث بن سويد بن الصامت، فشهدا بدرًا. فجعل الحارث يطلب مجذرًا ليقتله بأبيه. فلما كان يوم

---

(١) والرزام: جمع وهو الذي يثبت في مكانه لا يبرحه . يريد أن يثبتون في الحرب ولا ينهزمون .

(٢) بعاث: موضع في نواحي المدينة كانت به وقائع بين الأوس والخزرج في الجاهلية ـ اقرأ عن هذه الواقعة وغيرها للمؤلف . كتابه قيس بن سعد بن عبادة/ الناشر/ مركز الإسكندرية للكتاب/ الإسكندرية .

أحد أتاه من خلفه فقتله.

فلما رجع النبي ﷺ من حمراء الأسد، أتاه جبريل عليه السلام فأخبره بأنه قتل مجذرًا. فركب النبي ﷺ إلىٰ قباء، فأتاه الحارث بن سويد في محلفةٍ مورسةٍ . فلما رآه دعا عويم بن ساعدة وقال: اضرب عنق الحارث بمجذر بن زياد. فقال:

والله ما قتله رجوعًا عن الإسلام ولكن حمية، وأني أتوب إلىٰ الله، وأخرج ديته، وأصوم وأعتق، وجعل يتمسك بركاب النبي ﷺ إلىٰ أن فرغ من كلامه. فقال النبي ﷺ: قدمه يا عويم فاضرب عنقه. فضرب عنقه علىٰ باب المسجد.

ـ ولنا تعليق علىٰ هذه الواقعة، ففي أثناء قتال أحد أنتهز الحارث، أحد الصحابة، فرصة الالتحام العام ليثأر لدم قديم، واحد من معسكره، وقد لا حظ بعضهم ذلك حبيب بن يساف، وأبلغه لرسول الله، فلم يتخذ رسول الله أي إجراء سريع، ولكن هدأ كل شيء، ركب إلىٰ قباء حيث يسكن الحارث، وأقبل الحارث ليقدم احترامه لقائده دون أن يخامره شك، ففاجأه رسول الله ﷺ باتهامه بالقتل، فلما اعترف الحارث أمر بإطاحة رأسه فورًا .

وقد يبدو ذلك أمر تافهًا في زحمة ما هو حادث من عظيم الفعال، ولكن كان ذلك هاماً، فالقائد الحق ينبغي أن يكون عادلًا، غير متحيز، قويًا. لقد كان لرسول الله ﷺ أتباع قليلون، وهو فى حاجة شديدة إلىٰ كل منهم، وبالرغم من ذلك، لم يسمح لأحد منهم أن يعتقد انهم يستطيعون أن يفعلوا ما يحلو لهم ما داموا ينتمون إلىٰ صفوف الإسلام.

وقد اتبع جميع القواد العظام ذلك المبدأ، فهاينبال ويوليوس قيصر ونابليون وولنجتون، قد مثلوا بضباط ورجال ارتكبوا أقل الهفوات في تنفيذ الأوامر، في زمن الحرب، وقد حافظ المسلمون علىٰ هذا في غزواتهم المظفرة، ويرجع نجاحهم في كثير إلىٰ ذلك.

وقد حافظ ـ الرسول القائد.. القائد النبي ـ فى الوقت العصيب علىٰ هذا المبدأ، ولما قتل رجل من رجاله اثنين من أنصار الإسلام خطأ، دفعت الدية فورًا.

ولم يجنح رسول الله ﷺ إلىٰ الراحة لما بلغ المدينة، بل علىٰ العكس، اتخذ موقف القائد الزاجر، فبعد أن أم الناس في صلاة شكر لله واستغفار، اعتلى المنبر وابتدأ في الخطابة.

أخبر المصلين أن غزوة أحد انتهت إلىٰ ما انتهت إليه، لأن رجاله لم يتعودوا بعد طاعته، فلوا أنهم قدروا أن أوامره يوحى بها إليه، لنفذوها، ولكان النصر لهم كما كان لهم في بدر ، وصمت قليلًا ثم أضاف قولًا من أهم الأقوال التي قالها لأتباعه، قال لهم إنه مهما كانت المعاونة التي يمدها الله بهم، فإن محمدًا إن هو إلا بشر مثلهم، واختاره الله ليكون رسوله، ولكن هذا لن يجعله مقدسًا أو خالدًا، وقد طلب منهم أن يثبتوا من ذلك، لأنه لاحظ في مكان المعركة ذعرًا لما انتشرت إشاعة موته، وإن هذا ينبغي ألا يكون، فإن مات فلن يؤثر ذلك في العقيدة، فإنه سيموت عاجلًا أو أجلًا، فما يتبع ذلك؟ هل يعتقد هؤلاء الرجال والنساء أن الله وعد المؤمنين بجنات النعيم مادام قائدهم حيًا فقط؟ بالطبع لا، وإن هذا وارد في السورة التالية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٤٤] .

فلما انتهت الخطبة، ترك الرسول القائد المنبر، وسار علىٰ مهل بين صفوف أتباعه الصامتين، لقد كانوا منذ سنة مضت فرحين بما غنموا، وكانوا اليوم أكثر هدوءًا، ولكنهم قد يكونون أكثر غبطة، لعلمهم أنهم مع رجل لن يتخلى عنهم أبدًا، سواء أكانت هناك أسلاب أم لم تكن.

وبهذه اللفتات، دل رسول الله ﷺ علىٰ أنه لا يزال يعتبر نفسه رسول الله، مهما كان شعور أي فرد آخر بما حدث فى أُحُد، فقد كان ينفذ أوامر السماء، ولن تبدل هزيمته قليلا أو كثيرًا في برنامجه، فيبنا قبل أغلب المدنيين ذلك، حسب كثير من القبائل المجاورة أن الفرصة طيبة ليزعزعوا مركز الرجل الذي كون نفسه.

وكان من استشهد في أُحد الصحابي سعد بن الربيع، وأخذ ميراثه أخواه، وكان لسعد ابنتان، وكانت امرأته حاملا، وكانت المواريث علىٰ مواريث الجاهلية، ولم تكن الفروض نزلت، فنزلت علىٰ رسول الله ﷺ حينئذ، فدعا أخا سعد فقال: اعط ابنتي أخيك ثلثي الميراث وادفع إلىٰ زوجته الثمن والباقي لك، ولم يورث الحمل يومئذ، ثم ورث بعد ذلك.

ولم يباشر ﷺ القتال في غزوة من الغزوات إلا في أُحد، ولم يقاتل معه ﷺ من الملائكة إلا في بدر ولا في حنين، قيل وأحد، ولم يرم ﷺ بالحصباء فى وجوه القوم في شيء من الغزوات إلا في هذه الثلاث، علي خلاف في الثالثة، لم يجرح، أي لم يصيبه ﷺ جراحة في غزوة الغزوات إلا في أُحد، ولم ينصب ﷺ المنجنيق في غزوة من الغزوات إلا فى غزوة الطائف، وفيه أنه نصبه علىٰ بعض حصون خيبر، ولم يتحصن بالخندق في غزوة إلا في غزوة الأحزاب.

ولم تكن لموقعة "أُحُد" نتائج ضارة بالإسلام ـ كما يتصور بعض الناس ـ فإن كان الإسلام قد عاني فيها خسائر أليمة، فقد جني منها الكثير من الفوائد المعنوية، ولم تنتج الهزيمة إلا من عصيان الجند لتنبيهات الرسول الحكيمة، ثم مخالفة أوامره الصارمة قبيل القتال، فكان هذا إشارة للمؤمنين أن يلتزموا في المستقبل الطاعة التامة لنبيهم، وأن ينفذوا بكل دقة، حتى في حالة ما إذا افتقد الرسول أو مات وقد نصت علي ذلك الآية التي تشير إلىٰ فترة اليأس التي انتابت الصحابة: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾.

والواقع أن الهزيمة تزيد العزم قوة، والحماسة اشتعالا إنا كان الإيمان صادقًا متوقدًا: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ .

ولم تعد الرحمة بالمشركين مشروعة، فقد جعلها تمثيلهم الوحشي

بالشهداء ضربًا من المستحيل؛ وكذلك فرق الله بين المؤمنين المخلصين والمنافقين من أمثال عبد الله بن أبي بن سلول وأشباهه. وكان الرسول عليمًا بأخلاق المنافقين، غير أن عامة المسلمين لم يكونوا يدرون مدى غدر هؤلاء ونفاقهم، فظهر لهم ذلك جليًا، بعد انخزالهم الخبيث في ساعة الخطر، وقد شهد رسول الله ﷺ بفضل أحد رغم الهزيمة، على المسلمين، وجعل منه ساحة حرامًا حرمة ساحة مكة.

وكما وضحنا في ـ غزوة حمراء الأسد ـ استعاد رسول الله ﷺ ـ الكثير من هيبته التي فقدها في أحد، باقتفاء أثر قريش، وبقوله الصريح الذي أعلنه بعد المعركة ـ خطبته لأهل المدينة كما وضحنا في شرح غزوة أحد، وإشاعة مقتله، وقد استعاد هيبته بين المسلمين، وفي نظر عين عبد الله بن أبي بن سلول والمنافقين، وغير المسلمين واليهود والقبائل التي كانت تنزل بالقرب من المدينة، لذا قرر ـ كما أشرنا ـ باقتفاء أثر قريش، بأن يعكس ذلك سريعًا، وكان يعلم أن الوقت الذي يظهر فيه المرء قوته، هو الوقت الذى يكون فيه ضعيفًا.

ومما لا شك فيه أن غزوة حمراء الأسد ليست بغزوة ـ مستقلة، وإنما هي جزء من غزوة أُحد، وتتمة لها وصفحة من صفحاتها.

شهداء الإسلام في غزوة أُحد:

قال ابن إسحاق: استشهد من المهاجرين:

* حمزة بن عبد المطلب.

* وعبد الله بن جحش بن رئاب الأسدي، حليف بن عبد شمس، وهو ابن عمة رسول الله ﷺ، وهي أميمة بنت عبد المطلب في هاشم زعيم قريش العظيم، وقد دفن مع حمزة ـ خاله ـ في قبر واحد.

* ومصعب بن عمير.

* وعثمان بن عثمان، ولقبه شماس، وهو عثمان بن عثمان بن الشريد بن

سويد بن هرمي بن عامر بن مخزوم القرشي المخزومي، ابن أخت عتبة بن ربيعة، هاجر إلىٰ الحبشة وشهدا بدرًا . ولقب شماسًا لملاحته.

ومن الأنصار:

* عمرو بن معاذ بن النعمان الأوسي، أخو سعد.
* وابن أخيه الحارث بن أوس بن معاذ.
* والحارث بن أنيس بن رافع.
* وعمارة بن زياد بن السكن.
* وسلمة، وعمرو، ابنا ثابت بن وقش.
* وعمها: رفاعة بن وقش.
* وصيفي بن قيظي، وأخوه: حباب.
* وعبادة بن سهل.
* وعبيد بن التيهان، وحبيب بن زيد[١]، وإياس بن أوس، الأشهليون.
* واليمان أبو حذيفة، حليف لهم.
* ويزيد بن حاطب بن أمية الظفري.
* وأبو سفيان بن الحارث بن قيس.
* وغسيل الملائكة، حنظلة بن أبي عامر الراهب.
* ومالك بن أمية.
* وعوف بن عمير.
* وأبو حية بن عمرو بن ثابت[٢].
* وعبد الله بن جبير بن النعمان، أمير الرماة.

(١) في ابن هشام: حبيب بن يزيد بن تيم .

(٢) أبو حية: كذا في الأصل . ويقال: أبو حبة (بالباء) وأبو حنه (بالنون)، قال ابن عبد البر في الاستيعاب: والصواب أبو حبة بواحدة وانظر تهذيب التهذيب (١٢/٦٦) .

* وأنس بن قتادة[١].

* وخيثمة، والد سعد بن خيثمة ـ سعد استشهد في غزوة بدر قتله طعيمة بن عدى لكن حمزة وعلي قتلاه ـ.

* وحليفه: عبد الله بن سلمة العجلاني.

* وسبيع[٢] بن حاطب بن الحارث.

* وحليفه: مالك بن أوس.

* وعمير بن عدي الخطمي.

وكلهم من الأوس.

واستشهد من الخزرج:

* عمرو بن قبس النجاري، وابنه: قيس.

* وثابت بن عمرو بن زيد.

* وعامر بن مخلد.

* وأبو هبيرة بن الحارث بن علقمة.

* وعمرو بن مطرف.

* وإياس بن عدي.

* وأوس، أخو حسان بن ثابت، وهو والد شداد بن أوس.

* وأنس بن النضر بن ضمضم ـ عم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ.

* وقيس بن مخلد.

وعشرتهم من بني بالنجار:

* وعبد لهم اسمه: كيسان.

---

(١) قال في أنساب الأشراف (١/ ٢٣٠): أنس، وهو أنيس بن قتادة . وأنيس رواية ابن هشام والواقدي وابن عبد البر وابن حزم .

(٢) في الواقدي: سبيق . ويقال: سويبق (انظر ابن هشام ٣/ ١٢٤) .

* وسلمة بن الحارث[1].

* ونعمان بن عبد عمرو.

وهما من بني دينار بن النجار.

ومن بني الحارث بن الخزرج:

* خارجة بن زيد بن أبي زهير.

* وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير.

ومن بني خدرة:

* مالك بن سنان. وهو والد أبي سعيد الخدري.

* وسعيد بن سويد.

* وعتبة بن ربيع.

ومن بني ساعدة:

ثعلبة بن سعد بن مالك.

* وثقف بن فروة[2].

* وعبد الله بن عمرو بن وهب.

* وضمرة، حليف لهم من جهينة.

ومن بني عوف بن الخزرج، ثم من سالم:

* عمرو بن إياس.

* ونوفل بن عبد الله.

* وعبادة بن الخشخاش[3].

---

(١) ابن هشام والواقدي: سليم بن الحارث .

(٢) ثقف: كذا أورده ابن هشام، وأورده الواقدي: نفث وقال البلاذري في أنساب الأشراف (١/ ٣٣٠): عبد الله بن فروة بن البدري .. وكان يقال لعبد الله: ثقب . وقال ابن عبد البر: ابن البدن .

(٣) في الأصل كتب فوق الخشخاش (معا)، أي بالمعجمتين والمهملتين جميعًا .

* والعباس بن عبادة بن نضلة.

* والنعمان بن مالك.

* والمجذر بن زياد البلوي، حليف لهم . ـ هو الذي قتل أبا البخترى فى غزوة بدر ـ.

ومن بني الحبلي:

* زفاعة بن عمرو.

ومن بني سواد بن مالك:

* مالك بن إياس.

ومن بني سلمة:

* عبد الله بن عمرو بن حرام، وعمرو بن الجموح بن زيد بن حرام. وكانا متآخين وصهرين، فدفنا في قبر واحد.

* وخلاد بن عمرو بن الجموح.

* ومولاه أسير، أبو أيمن، مولى عمرو[1].

ومن بني سواد بن غنم:

* سليم بن عمرو بن حديدة.

* ومولاه عنترة.

* وسهيل بن قيس.

ومن بني زريق:

* ذكوان بن عبد قيس.

* وعبيد بن المعلى بن لوذان.

وقال ابن إسحاق: وزعم عاصم بن عمر بن قتادة أن ثابت بن وَقْش قتل

---

(١) في الواقدي وابن عبد البر أنه "أبو أسيرة" وفي ابن هشام وابن حزم "أبو أيمن" .

يومئذ مع ابنْيه.

وذكر الواقدي جماعة قتلوا سوى من فكرنا.

*** وقتل من المشركين ـ علىٰ ما ذكر ابن إسحاق ـ أحد عشر رجلًا من بني عبد الدار، وهم:**

* طلحة، وأبو سعيد، وعثمان: بنو أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى.

* ومولاهم: صْواب.

* وبنو طلحة المذكور: مسافع، والحارث، والجلاس، وكلاب.

* وأبو زيد بن عمير، أخو مصعب بن عمير.

* وابن عمه: أرطاة بن شرحبيل بن هاشم .

* وابن عمهم: قاسط بن شريح.

★ ومن بني أسد:

* عبد الله بن حميد بن زهير الأسدي.

* وسباع بن عبد العزي الخزاعي حليف بني أسد، وكانت أمه هي مولاة الصحابي خباب بن الأرت، وكانت هناك مؤاخاة بين خباب وسباع، ولكن هناك فرق في الأخلاق والإيمان.

★ وأربعة من بني مخزوم:

* أخو أم سلمة؛ هشام بن أبي أمية بن المغيرة.

* والوليد بن العاص بن هشام بن المغيرة.

* وأبو أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة.

* وحليفهم: خالد بن الأعلم.

★ ومن بني زُهرة:

* أبو الحكم بن الأخنس بن شريق، حليف لهم.

★ ومن بني جُمَح:

* أُبي بن خلف.

* وأبو عَّزة، عمرو بن عبد الله بن عمير، أمر رسول الله ﷺ بضرب عنقه صبرًا، وذلك أنه أسر يوم بدر وأطلقه النبي ﷺ بلا فداء لفقره، وأخذ عليه أن لا يعين عليه، فنقض العهد، وأسر يوم أُحَد، فقال رسول الله ﷺ: «**والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدًا مرتين**». وأمر به فضربتَ عنقه. وقيل لم يؤسر سواه.

★ ومن بني عامر بن لؤي:

* عبيدة بن جابر.

* وشيبة بن مالك.

وقال يونس، قال ابن إسحاق، حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله، عن أبيه: سمعت رسول الله ﷺ يقول، إذ ذكر أصحاب أُحُد: أما والله لوددت أني غودرت مع أصحاب نحص الجبل[١]. يقول: قتلت معهم وقال الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن عقبة بن عامر: أن رسول الله ﷺ خرج يوما فصلى علىٰ أهل أحد صلاتهُ علىٰ الميت، ثم أنصرف إلىٰ المنبر فقال: إني فرطكم وأنا شهيد عليكم. الحديث أخرجه البخاري[٢].

وروى عبد العزيز بن عمران بن موسي، عن عباد بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يأتي قبور الشهداء، فإذا أتى فرضة[٣] الشعب يقول: السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار. وكان يفعله أبو بكر

(١) النحص: أصل الجبل وسفحه أو أسفله . قال أبو عبيد: أصحاب النحص هم قتلى أحد . (التاج) .

(٢) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب "أحد يحبنا" (٥/ ١٣٢) .

(٣) وفرضه الشعب مشرعته: أو الطريق الشارع إليه . وهي رواية ابن الملا وعبارة الواقدي "تفوه الشعب" بمعنى دخل في أوله .

ثم عمر بعده ثم عثمان.

وذكر نحو هذا الحديث الواقدي في مغازيه بلا سند[١].

وأنزل الله سبحانه وتعالى في يوم أحد من القرآن الكريم ستين آيه من آل عمران. فيه صفة ما كان في يومهم ذلك ومعاتبة من عاتب منهم، يقول الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ:

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران: ١٢١ ـ ١٢٨]

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ

(١) الواقدي: المغازي (١/ ٣١٢).

وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢) وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (١٤٣) وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ (١٤٥) وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧)﴾ [آل عمران: ١٣٢ ـ ١٤٧].

﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (١٥٠) سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ (١٥١) وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢) ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣) ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٥٤)﴾ [آل عمران: ١٥٠ ـ ١٥٤]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا

لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾ [آل عمران: ١٥٦].

مشاورة النبي ﷺ لأصحابه:

قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

إن قول الحق ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩] أي: بأي رحمة أودعت فيك، وساعة تقول: بأي رحمة. فأنت تبهم الأمر، وعندما بتهم الشيء فكأنه شيء عظيم، لأن الشيء يبهم إما لأنه صغير جدًا، وإما لأنه كبير جدًا. إن هذه الآية جاءت عقب أحداث حدثت في غزوة أحد منها:

الحدث الأول: لما سمع الرسول ﷺ والمسلمون بقدوم قريش ومن معها ونزولهم بعينين علىٰ شفير الوادي مقابل المدينة شاور النبي ﷺ أصحابه، فقال رجل من الأنصار: متى نقاتلهم يا رسول الله إذا لم نقاتلهم عند شعْبِينا؟

وقال رجال: ماذا نمنع إذا لم تمنع الحرب بَروعٍ .

وقال رجال قولا صدقوا به ومضوا عليه منهم حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ قال: والذي أنزل عليك الكتاب بالحق لنُجالدنهم.

وأبي كثير من الناس إلا الخروج إلىٰ العدو، لم يتناهوا إلىٰ قول الرسول ﷺ ورأيه، فلما صلى الرسول ﷺ الجمعة وعظ الناس وذكرهم وأمرهم بالجد والجهاد في التأهب للقتال وإعداد الجيش، دعا بلأمته فلبسها ثم أذن في الناس بالخروج ، فلما رأى رجال من ذوي الرأي أنهم أشاروا علىٰ رسول الله ﷺ بما يخالف ما كان قد بدر منه، تراجعوا وقالوا: يا رسول الله، إن رأيت ألا تخرج فلا تخرج. فقال ﷺ: «**ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل**»: أي ما دام قد لبس أداته فلا ينبغي له أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه.

الحدث الثاني: ثم بعد ذلك أنخزل عبد الله بن أبي سلول رأس المنافقين ومعه ثلاثمائة من قومه أهل النفاق والريب وقال: أطاعهم وعصاني ما ندري علام نقتل أنفسنا هنا أيها الناس، وكان رأيه ألا يخرج من المدينة.

ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل بجبل أُحُد ووزع المسلمون والرماة حسب الخطة التي وضعها رسول الله وقائد الجيش الإسلامي ﷺ ودفع اللواء إلىٰ مصعب ابن عمير.

وذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾ [آل عمران: ١٢١].

قوله: "تبوئ" أي: توطن. ومعني "توطن تعين لهم مكانا يلتزمون به".

والتقى الجمعان، ودرات رحى الحرب، وكان النصر ـ بلا شك حليف المسلمين ـ، ثم أنزل الله تعالىٰ نصرة علىٰ المسلمين وصدقهم وعده فحسوا الكفار، أى: استأصلوهم قتلا بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر ويأخذون ما فيه من الغنائم وانشغلوا بها عن الحرب فلما رأى الرماة ذلك قالوا: الغنيمة الغنيمة، لقد ظهر أصحابكم فما تنتظرون.

حتى فطن لذلك خالد بن الوليد وكر عليهم فحمل علىٰ من بقي من الرماة فقتلهم وقتل أميرهم عبد الله بن جبير وتصور إبليس لعنة الله تعالىٰ عليه في صورة رجل من الصحابة يقال له: جعال، فصرخ ثلاث صرخات أن محمدًا قد قتل، ثم قال عدو الله عليه لعنة الله تعالىٰ: أي عباد الله أخراكم، أي: اخترزوا من الذين في آخراكم، يريد عدو الله أن يغلطهم فيقتلوا بعضهم بعضًا، فعطفوا يقتلون وهم لا يشعرون من الدهش وانكشف المسلمون وأصاب منهم العدو حتى خلص إلىٰ رسول الله ﷺ فكسرت رباعيته وشج وجهه وكُلِمت شفته، فجعل ﷺ يمسح الدم ويقول: «**كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم، وهو يدعوهم إلىٰ الله**».

وقاتلت دونه أم عمارة نسيبه بنت كعب رضي الله تعالىٰ عنها، وأبو دجانة،

وطلحة، وسعد ... وغيرهم من الصحابة قتال الأبطال دفاعًا عنه وعن الإسلام، فكان ذلك هو:

الحدث الثالث: الذي فيه خالف الرماة أمر قائدهم رسول الله ﷺ وتركوا مواقعهم رغم أنه ﷺ حذرهم من ذلك.

الحدث الرابع: هي فرارهم حينما قيل: قتل رسول الله.

الحدث الخامس: أنه حين كان يدعوهم، فروا لا يلوون علىٰ شيء.

كل هذه الأحداث كادت تترك في نفسه ﷺ آثارًا، ولذلك يقول تعالىٰ له: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩] وكأن الله تعالىٰ يقول لرسوله: ما دامت الرحمة موهوبة من الله فلا بد أن يجعل الله فيها طاقة تتحمل كل مخالفة من أمتك ومن أتباعك، ولسائل أن يقول: ولماذا المخالفة؟ نقول: إن الدين الجديد يخرجهم عما ألفوا من أمور الجاهلية. والذي يخرج واحد عما ألف لا يصح أن يجمع عليه الخشن الفظ.

ولذلك يقولون للذي ينصح إنسانًا: إن النصح ثقيل، لأن النصح معناه تجريم الفعل في المنصوح، فنقول للمنصوح وأنت في موقف الناصح: "لا تفعل هذه الأمر"، وهذا معناه أن ذلك الفعل رديء. وما دمت وأنت ناصح لآخر تجرم له فعلًا، فلا تجمع عليه أمرين.

الأمر الأول: إنك تقبح فعله.

الأمر الثاني: أن تخرجه مما ألف بأسلوب يكرهه، لأنه في حاجة إلىٰ المودة والتعاطف .. لأن النصح ثقيل، فلا تجعله جدلًا، ولا ترسله جبلًا. إن الحقائق مرة فاستعيروا لها خفة البيان، إن خفة البيان هي التي تؤدي الغرض بدون استثارة وبدون إثارة ويلفظ يحمل علىٰ التقبل.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩] . "الفظ" هو: ماء الكرش، فالإبل عندما تجد الماء تخزنه في كرشها، إلىٰ حين تحتاج إليه فتسترجعه معه

مرة أخرى.

ومياه الكرش هذه غير جيدة الطعم وأسنة قليلا، وُشرب مثل هذا اللون من ماء يولد غضاضة في النفس لذلك سموا هذا الماء بالفظ. وأطلق العرب كلمة " فظاظة " علىٰ خشونة القيل. وغلظ القلب هو الذي تنشأ منه خشونة الألفاظ.

وقوله سبحانه: " فاعف عنهم " العفو هو: محو الذنب محوًا تامًا، كما تمحو الرياح أثار الأقدام من علىٰ الرمال.

والعفو يختلف عن كظم الغيظ، فكظم الغيظ يعني: أن أثر الغضب موجود في النفس. ولكن الإنسان يكتم هذا الغيظ، بمعني أن الإنسان يكف جوارحه عن إظهار الانفعال. لكن العفو يعني أن ينزع الإنسان أثر الألم والغيظ من أعماق نفسه.

وقول الحق سبحانه وتعالىٰ لرسوله ﷺ: " واستغفر لهم ": يعني: إن كانوا قد أذنبوا، فعليك أن تعفو عنهم وتستغفر لهم، وقول الحق: " فاعف عنهم " هذا العفو مسألة خاصة برسول الله ﷺ، أما قول الحق: " واستغفر لهم " كالاستغفار من الرسول ﷺ لله جل وعلا، وكأن الحق سبحانه يقول لرسوله ﷺ: إياك أن تكره التشاور بسبب ما أشاروا به، وترتب عليه ما ترتب في أُحد. لقد أردت أن تبقى في المدينة. لكنك شاورتهم في الأمر، فأشاروا بالخروج للقاء كفار قريش. وما حدث يوم أُحُد لا يجب أن يقفل باب المشاورة.

لقد كانت معركة أُحُد معركة تهذيب وتأديب وتمحيص، لذلك فلا يجب أن يترتب عليها أن تلغى المشورة، وهذا أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لما ولي الخلافة وجاءت حروب الردة شاور جماعة المسلمين، وعندما أشاورا بعدم قتال من ارتدوا عن الإسلام لم يأخذ مشورتهم.

والمشورة هي تلقيح الرأي بأراء متعددة الغرض منها إفادة المستشير والاستعانة بأهل الحل والعقد، فإذا ما شرح الله صدره لرأي عزم عليه وتوكل علىٰ الله.

ويقول الشاعر:

شاور سواك إذا نابتك نائبة يوما وإن كنت من أهل المشورات

لقد اهتدي الشاعر إلىٰ كيفية تقريب المعني لنا، فما دام الإنسان من أهل المشورة والناس تأخذ رأيه، فلماذا لا يشاور غيره؟

فالعين تنظر منها مادنا ونأي ولا تري نفسها إلا بمرآة

إن العين ترى الشيء القريب والشيء البعيد. لكن هذه العين تعجز عن رؤية نفسها إلا في المرآة. هكذا ينصح الشاعر صاحب الرأي السديد.

إن رأيه في أمور الغير قد يكون صحيحًا ومصيبًا ومفيدًا، لأن عمل صاحب المشورة قد يكون مستوفيا القدر الكامل من الاستيعاب، وقد يكون هذا العقل لا هوى له فيما يقوله من رأي، وأن الحق فقط هو الذي يجذبه، أما في المسائل الخاصة بالإنسان نفسه. فقد يدخل فيها الهوى ويلوي المشورة وقد يطغى الهوى فيفسد الرأي الصالح.

لذلك يقول الحق سبحانه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩] .

وقد عزم رسول الله ﷺ ولبس أداته ليحارب. ولم يكن من المقبول أن يأخذ الرسول ﷺ بالعزم، ثم يتراجع عنه، لذلك يقول سبحانه: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩] وهذه هي فائدة الإيمان. إن فائدة الإيمان هي هذه المعادلة، إن الجوارح تعمل والقلوب تتوكل، فالجوارح عليها أن تأخذ بأسباب الله . فالفلاح إن أراد الزراعة، لابد أن يختار أجود البذور وأحسن السماد، وأن يقوم بحرث الأرض حراثة جيدة وأن ينتظم في مواعيد الري، وأن يحافظ علىٰ الزرع ويعتني به وهذا كله من عمل الجوارح، وفي ذلك كله تكون القلوب متوكلة علىٰ الله في إخراج المحصول وفق ما يشاء الله سبحانه ويقدر، لذلك لا يجوز أبدًا أن يقول الفلاح المؤمن: المحصول آت، آت، لأني أحسنت أسبابي.... لماذا؟ لأن المؤمن يتذكر دائما الحقيقة الكاملة، وهي أن فوق الأسباب مسببها وخالقها وهو الله العلي القدير.

صدق الله تعالى وعده:

قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥٢﴾ [آل عمران: ١٥٢].

قول الحق سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٢] وكأنه قد حدث وعد، والواقع جاء علىٰ وفق الوعد. فقال الحق تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾ [محمَّد: ٧] .

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ١٧٣﴾ [الصَّافات: ١٧٣] وبعد ذلك في التطبيق العملي ، فإننا نجد أن الوعد قد تحقق، لكن متى يتحقق وعد الله تعالىٰ؟

الله تبارك وتعالىٰ يقول: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٢] : "تحسونهم" أي: تذهبون حسهم بالقتل. وأصله من الحِسّ الذي هو الإدراك بالحاسة. ومعني: أذهبت حسه، أي: أفقدته الحس، أو "الحس" هو الصوت الذي يخرج من الإنسان، وما دام قد فقد الحس فإنه مات.

إن الحق يوضع للمؤمنين: أنكم حين صدقتم لقاء بعدوكم علي منهج الله .. صدق الله وعده، وهذا في أُحد عندما انتصر المسلمون فى أول الأمر.

وقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٢] لقد بدأ الوهن في أحد من لحظة عصيان أمر الرسول ﷺ وترك الرماه للمواقع التي حددها لهم النبي ﷺ رغبة في الغنائم، خاصة وأن الجولة الأولى كانت للمسلمين وبدت في الأفق تباشير الفوز والنصر.

إذن.. الله سبحانه وتعالىٰ يعطينا العظة والعبرة من معركتين، معركة بدر وهي التي صدق الله وعده فيها وانتصر المؤمنون لما التزموا منهج الله، وأيضا صدق الله وعده في أُحُد، فحينما تخلي الرماة عن مواقعهم خالفوا أمر الرسول ﷺ

حدث للمؤمنين ما حدث.

إذن.. فالأمور بالتجربة الواقعية لا بالكلام النظري، إن الله تعالىٰ صدق وعده، فحينما دخل المؤمنون القتال والتزموا بتوجيهات قائدهم رسول الله ﷺ أول الأمر انتصروا، وقتل ابن أبي طلحة الذي كان يحمل راية الكفار ومعه بضعة وعشرون كافرا في أول المعركة. وعندما يُقتل حامل الراية، فمعني ذلك أن الراية انكسرت.

إذن.. ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٢] ولم تحدث الهزيمة إلا حينما خالفتم أمر الرسول القائد يقول رب العزة سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ .

إذن ... كان الفشل حين حدث التنازع والعصيان والطمع في الغنائم، فلو لم يحدث ما حدث، لتشكك المؤمنين في هذا الدين وصدقه، وليعلموا أنهم عندما يتخلون عن أمر رسول الله ﷺ فلابد أن يكون المال هو الفشل والهزيمة.

﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٢] صار المعسكر الواحد فريقين فمن أراد الغنائم، أراد الدنيا. ومن ثبت علىٰ أمر الرسول ﷺ أراد الآخرة، قال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالىٰ عنه: ما كنت أرى أن أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا حتى نزلت فينا يوم أحد: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٢] (١).

وذلك لا يقدح فيهم رضي الله تعالىٰ عنهم فالرماة ظنوا أن المعركة قد

---

(١) رواه أحمد (١/ ٤٦٣)، وصححه الشيخ شاكر (٤٤١٤)، والطبراني في الأوسط (١٣٩٩)، وذكره الهيثمي في المجمع (٦/ ٣٣٠، ٣٣١) وقال: رواه الطبراني في الأوسط .. عبد الله بن مسعود كان يشبه رسول الله ﷺ في هديه، ودله، وسمته . وكان خفيف اللحم قصيرًا شديد الأدمة . وكانن من أجود الناس ثوبًا ومن أطيب الناس ريحًا . وولى القضاء للكوفة وبيت المال لعمر وصدرًا من خلافة عثمان ثم صار إلىٰ المدينة فمات بها سنة اثنتين وثلاثين، ودفن بالبقيع وهو ابن بضع وستين . ولقد قال لقد رأيتني سادس ستة ما علىٰ وجه الأرض مسلم غيرنا .

حسمت بعد أن رأو سقوط راية الشرك وقتل حاملها ومعه نفر من زعماء قريش وأشرافها الأمر الذي دفعهم للتخلي عن أماكنهم، لم يتخلوا جبنًا ولا فرارًا من لقاء العدو، لذلك عفا الله تعالىٰ عنهم.

وقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٢] ليختبركم ويمتحنكم.

إذن .. الأمر كان ابتلاء واختبارًا للجماعة المؤمنة بأن يلتزموا أمر الله ورسوله دائما وألا تنصرف همتهم أبدًا إلىٰ الدنيا وزخرفها، وقد وعى المؤمنون الدرس جيدًا، فبعد أُحُد لم تحدث لهم هزيمة أبدًا طيلة عهد رسول الله ﷺ معهم.

ولذلك يقال: إن الدرس الذي يُعلم النصر لا يعتبر هزيمة في الغالب.

وقوله تعالىٰ: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [آل عمران: ١٥٣].

وكلمة: "إذ" توحي باستحضار ما حدث، وقوله: "تصعدون" أي في الجبل هاربين من أعدائكم والمعنى: ساعة نزول الرماة من علىٰ الجبل مخالفين بذلك أمر رسول الله ﷺ، ولاحظ خالد بن الوليد ـ وكان يومها في صفوف المشركين ـ ذلك فالتف حول الجيش المؤمن وعلا الجبل فحدث هرج ومرج وتمكن الخوف والرعب من المؤمنين نتيجة لهذا التحول الخطير في المعركة فكانوا لا يلتفتون إلىٰ أحد.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٣] . أي إلىٰ ترك الفرار والعودة، والرجعة، والكرة علي عدوهم.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٣] .

الغم الأول: ما أصاب المسلمين من الهزيمة، وما أصابهم من القتل

والجرح بعد أن كانوا قاب قوسين أو أدني من النصر والظفر بالغنيمة.

والغم الثاني: حين قيل أن النبي ﷺ قد قتل. كأن الغم الذي حدث أراد به الله تعالىٰ أن يخرج من القلب ما دخله من الحرص علىٰ الغنيمة، قال تعالىٰ: ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمَّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٣] .

إن الحق سبحانه وتعالى يقدر برحمته وفضله ما الذي استولى علي مشاعر هؤلاء المؤمنين. فمن الجائز أنهم من هول المعركة لم يسمعوا نداء رسول الله ﷺ لهم، لذلك فالله خبير بكل فعل وإحساس.

أقوال الشعراء في يوم أحد:

وكان يوم أُحُد فخرجت فاطمة الزهراء في نساء وهرعت إلىٰ أبيها عليه السلام والي زوجها، وقد رأت الذي بوجه أبيها فاعتنقته، وأراد عليٌّ بن أبي طالب أن يذهب ليأتي بماء ليغسل الدم عن وجه رسول الله فقال لفاطمة:

أفاطم هاء[1] السيف غير ذميم ... فلست برعديد ولا بلئيم
لعمري لقد جاهدت في نصر أحمد ... وطاعة رب بالعباد رحيم

فنظر إليه رسول الله ﷺ مختضبًا بالدم فقال:

لئن كنت أحسنت القتال اليوم فلقد أحسن عاصم بن ثابت والحارث بن الصِّمة وسُهل بن حَنيف، وسيف أبي دُجانه غير مذموم.

وغسلت السيوف بعد معركةَ أُحُد واستمر التراشق بالأشعار ورثاء القتلى، قال هبيرة بن أبي وهب المخزومي:

ما بال هَمَّ عَميدٍ بات تِطرقني ... بالود من هند إذ تعدو عواديها
باتت تعاتبني هند وتعذُلني ... والحرب قد شغلت عني موالبها
مهلا فلا تعذليني إن من خلقي ... ما قد علمت وما إن لستُ أخفيها
مساعف لبني كعب بما كلفوا ... حمال عبء وأثقال أعاينها

(١) هاء السيف: هذا السيف جئت به .

وقد حملت سلاحي فوق مشترف ساط سبوح إذا تجري بباريها
كأنه إذ جرى غير بفُدفدة[١] مكدم لاحق بالعون يحميها
من آل أعوج يرتاح الندى له كجذع شعراء مستعل مراقيها
أعددته ورفاق الحد فتخلا ومارنا لخطوب قد ألاقيها
هذا وبيضاء مثل النهي محكمة نيطت عليَّ فما تبدو مساويها
سقنا كنانة من أطراف ذي يمن عرض البلاد علىٰ ما كان يزجيها[٢]
قالت كنانة: أني تذهبون بنا؟ قلنا: النخيل، فأموها ومن فيها
نحن الفوارس يوم الجر من أحد هابت معدٌّ فقلنا نحن نأتيها
هابوا ضرابا وطعنا صادقا خذما[٣] مما يرون وقد ضُمت قواصيها
ثمت رحنًا كانا عارض برد وقام هامُ بني النجار يبكيها
كأن هامهم عند الوغي فلقَ[٤] من قيض وبدنفته عن أداحيها
أو حنظل ذعذعته الريح في غصن بال تعاوره منها سوافيها
قد نبذل المال سَّحا لاحساب له ونطعن الخيل شرار في ماقيها

ولما كان الشعر في جزيرة العرب ينتشر انتشار الريح فقد أجابه حسان بن ثابت شاعر الرسول فقال:

سقتم كنانة جهلامن سفاهتكم إلى الرسول فجند الله مخزيها
أوردتموها حياض الموت ضاحية فالنار موعدها والقتل لا قيها
جمعتموها أحابيشا بلا حسب أئمة الكفر غرتكم طواغيها
ألا اعتبرتم بخيل الله إذ قتلتْ أهل الفليب ومن ألقيته فيها
كم من أسير فككناه بلا ثمن وجز ناصية كنا مواليها

* وأجاب كعب بن مالك هبيرة بن أبي وهب أيضًا، قال:

مجالدنا عن ديننا كل فخمة مذربة[٥] فيها القوانس[٦] تلمع

(١) الفدفدة: الصحراء .
(٢) يزجيها: يقدمها .
(٣) الضرب الخذم: للقوي العنيف .
(٤) الفلق: المشقوقة .
(٥) السيف المذرب: المسموم .
(٦) القوانس: بيضات الحديد يضعها المحاربون علىٰ رؤوسهم .

وكل صموت في الصوان كأنها إذا لبست نهى من الماء مترع
ولكن ببدر سائلوا من لقيتم من الناس والأبناء بالغيب تنفع
وإنا بأرض الخوف لو كان أهلها سوانا لقد أجلوا بليل فأقشعوا
إذا جاء منا راكب كان قوله أعدوا لما يُزجي ابن حرب ويجمع
فمهما يهم الناس مما يكيدنا فنحن له من سائر الناس أوسع

* وقال عبد الله بن الزِّبعري يجيب حسان:

يا غراب البين أسمعت فقل إنما تنطق شيئًا قد فُعل
إن للخير وللشر مدى وكلا ذلك وجه وقبَل
والعطيات خساس بينهم سواء قبر مثر ومُقل
كل عيش ونعيم زائل وبنات الدهر يلعبن بكُل
أبلغا حسان عنى آيةً فقريض الشعر يشفي ذا الغلل
كم ترى بالجر من جمجمة وأكف قد أترَّت ورجل
وسرابيل حسان سريت عن كماة[1] أهلكوا في المنتزل
كم قتلنا من كريم سيد ماجد الجدين مقدام بطل
صادق النجدة قرم[2] بارع غير ملتاث لدى وقع الأسل[3]
ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
حين حكت بُقباء بَركها[4] واستحر القتل في عبد الأشل
ثم خفوا عند ذاكم رقصا رقص الحَفَّان[5] يعلو في الجبل
فقتلنا الضعف من أشرافهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل
لا ألوم النفس إلا أننا لو كررنا لفعلنا المفتعل
بسيوف الهند تعلو هامهم علا تعلوهم بعد نهل

فأجابه حسان بن ثابت قال:

ذهبت يا بن الزبعري وقعة كان منا الفضل فيها لو عدل

(١) الكماة: الأبطال المسلحون .
(٢) القرم: السيد الكريم .
(٣) الأسل: الرماح .
(٤) البرك: الإبل، وباطن صدرها .
(٥) الحفان: الكثير الحقن .

ولقد نلتم ونلنا منكم ... وكذلك الحرب أحيانا دول
نضع الأسياف في أكتافكم ... حيث نهوي عللا بعد نهل
تخرج الأضياح[١] من أستاهكم ... كسلاح النِّيب يأكلن العضل
إذ تولون علىٰ أعقابكم ... هرَّبا في الشعب اشباه الرِّسل[٢]
إذ شددنا شدة صادقة ... فأجأناكم إلىٰ سفح الجبل
بخناطيل[٣] كأشداف الملا ... من يلاقوه من الناس يُهِل
ضاق عنا الشعب إذ يخزعه ... وملأنا الفرط منه والرّجل
برجال لستم أمثالهم ... أيدو جبريل نصرا فنزل
وعلونا يوم بدر بالتقي ... طاعة الله وتصديق الرسل
وقتلنا كل رأس منهم ... وقتلنا كل جحجاح[٤] رِفل[٥]
وتركنا في قريش عورة ... يوم بدر وأحاديث المثل
ورسول الله حقا شاهد ... يوم بدر والتنابيل[٦] الهُبل
في قريش من جموع جمعوا ... مثل ما يجمع في الخطب الهَمل[٧]
نحن لا أمثالكم وُلِد استها ... تحضر الناس إذا البأس نزل

* وفي مقتل وحشي حمزة يقول حسان بن ثابت:

ما لشهيد بين أرماحكم ... شلت يدا وحشي من قاتل

* وقال كعب بن مالك يبكي حمزة بن عبد المطلب وقتلى أحد:

نشجت وهل لك من منشج ... وكنت متى تذَّكر تلجج
تذكر قوم أتاني لهم ... أحاديث في الزمن الأعوج
فقلبك من ذكرهم خافق ... من الشوق والحزن المنضج
وقتلاهم في جنان النعيم ... كرام المداخل والمخرج

---

(١) الأضياح: من العسل أو اللبن .
(٢) الرسل: الأغنام .
(٣) الخناطيل: الغبل المتفرقة .
(٤) الجحجاح: السيد .
(٥) رفل: مختال .
(٦) التنابيل: الجماعات .
(٧) الهمل: ما يهمل .

بما صبروا تحت ظل اللواء لواء الرسول بذي الأضوجَ
غداه أجابت بأسيافها جميعا بنو الأوس والخزرج
وأشياع أحمد إذا شايعوا على الحق ذي النور والمنهج
فما برحوا يضربون الكماة ويمضون في القسطل[١] المرَهج[٢]
كذلك حتى دعاهم مليك إلى جنة دوحة المولج
فكلهم مات حر البلاء على ملة الله لم يحرج
كحمزة لما وفي صادقا بذي هبة صارم سَلجِجَ[٣]
فلاقاه عبد بني نوفل يُبْربر كالحمل الأدعج[٤]
فأوجره حربه كالشهاب تلهب في اللهب الموهج
ونعمان أو في بميثاقه وحنظلة الخير لم يُحنج[٥]
عن الحق حتى غدت روحه إلى منزل فاخر الزِّبْرج[٦]
أولئك لا من ثوي منكم من النار في الدرج المربَجَ

* فأجابه ضرار بن الخطاب الفهري فقال:

ايجزع كعب لأشياعه ويبكي من الزمن الأعوج
عجيج المُذكي رأى إلفه تروح في صادر مُحنْج
فراح الرَّوايا وغادرنه يجعجع[٧] قسرا ولم يُحَدج[٨]
فقولا لكعب يثني البكا وللنَّبِيَّ من لحمه ينضج
لمصرع إخوانه في مَكرَّ من الخليل ذي قسطل مُرْهج[٩]
فياليت عمرا واشياعه وعتبة في جمعنا السورج[١٠]

(١) القسطل: الغبار .

(٢) المرهج: المثار .

(٣) سلجج: لامع .

(٤) الدعجة: سواد العين .

(٥) لم يحنج: لم يهزم .

(٦) الزبرج: الزينة .

(٧) يجحجح: الزينة .

(٨) يحدج: يحدق بعينه .

(٩) يقصد أن الخيل قد أثارت الغبار .

(١٠) السورج: القوي .

فيشفوا النفوس بأوتارها ... بقتلي أصيبت من الخزرج
وقتلي من الأوس في معرج ... أصيبوا جميعا بذي الأوضحُ
ومقتل حمزة تحت اللواء ... بمطرد، مارن[١]، مخلج[٢]
وحين انثني مصعب ثاويا ... بضربة ذي هبه سَلَجج

وراح عبد الله بن الزعبري يبكي القتلى فأجابه حسان بن ثابت، واستمرت سهام الشعر تتراشق بين المدينة ومكة، المسلمون يفخرون بيوم بدر والمشركون بانتصارهم يوم احد، وقد قال عمرو بن العاص في يوم أحد:

خرجنا من الفيفا عليهم كأننا ... من الصبح من رضوي الجبيل المنطقُ
تمنت بنو النجار جهلا لقاءنا ... لدي جنب سلع والأماني تصدق
فما راعهم بالشر إلا فجاءه ... كراديس[٣] خيل في الأزقة تمرق[٤]
أرادوا لكيما يستبيحوا قبابنا ... ودون القباب اليوم ضرب محرق
وكانت قبابا أومنت قبل ما ترى ... إذا رامها قوم ابيحوا وأحنقوا
كأن رؤوس الخزرجيين عزوة ... وأيمانهم بالمُشرفية بروق[٥]

فأجابه كعب بن مالك ورد عليه حسان بن ثابت، ثم راح حسان[٦] يعير قريشا بما أصاب أصحاب اللواء . واشتد أوار معركة الشعر وكثر النواح علىٰ القتلى فقالت صفية بنت عبد المطلب تبكي أخاها حمزة:

اسائلة أصحاب أُحد مخافة ... بنات أبي من أعْجم وخبير
فقال الخبير إن حمزة قد ثوي ... وزير رسول الله خير وزير
دعاه إلىٰ الحق ذو العرش دعوة ... إلى جنة يحيا بها وسرور

(١) مارن: أنف .

(٢) مخلج: مطعون .

(٣) كراديس: جماعات .

(٤) تمرق: تسرع .

(٥) بروق: لامعة .

(٦) كان يقال لحسان بن ثابت ـ الأنصاري الخزرجي ـ: شاعر رسول الله ﷺ، روي عن عائشة رضي الله عنها: أنها وصفت رسول الله ﷺ فقالت: كان والله كما قال فيه شاعر حسان بن ثابت:

متى يبد في الداجي البهيم جبينه ... يلح مثل مصباح الراجي المتوقد
فمن كان أو من قد يكون كأحمد ... نظام لحق أو نكاح طلحة

فذلك ماكنا نرجي ونرتجي ... لحمزة يوم الحشر خير مصير
فوالله ما أنساك ما هبت الصبا ... بكاء وحزنا محضري ومسيري
على أسد الله الذي كان مدرها[١] ... يذود عن الإسلام كل كفور
فياليت شلوى[٢] عند ذاك وأعظمي ... لدي أضبع تعتادني ونسور
أقول وقد أعلىٰ النعي عشيرتي ... جزي الله خيرا من أخ ونصير

وقالت هند بنت عتبة حين انصرف المشركون من أحد

رجعت وفي نفسي بلابل جمة ... وقد فاتني بعض الذي كان مطلبي
من أصحاب بدر في قريش وغيرهم ... بني هاشم منهم ومن أهل يثرب
ولكني قد نلت شيئا ولم يكن ... كما كنت أرجو في مسيري ومركبي

وكان الركبان يسيرون بالشعر بين مكة والمدينة، وكان المشركون فرحين بنصرهم ولكن المستقبل لم يكن واضحا أمامهم، أما المسلمون فكانوا علىٰ ثقة بالمستقبل فقد قال ـ ﷺ: ـ لن ينالوا منا مثلها حتى يفتح الله مكة علينا، فانتشت القلوب بالأمل، وبات المسلمون يرقبون الغد في رجاء، وينتظرون في لهفة ذلك اليوم المجيد يوم أن يفتح الله مكة عليهم .

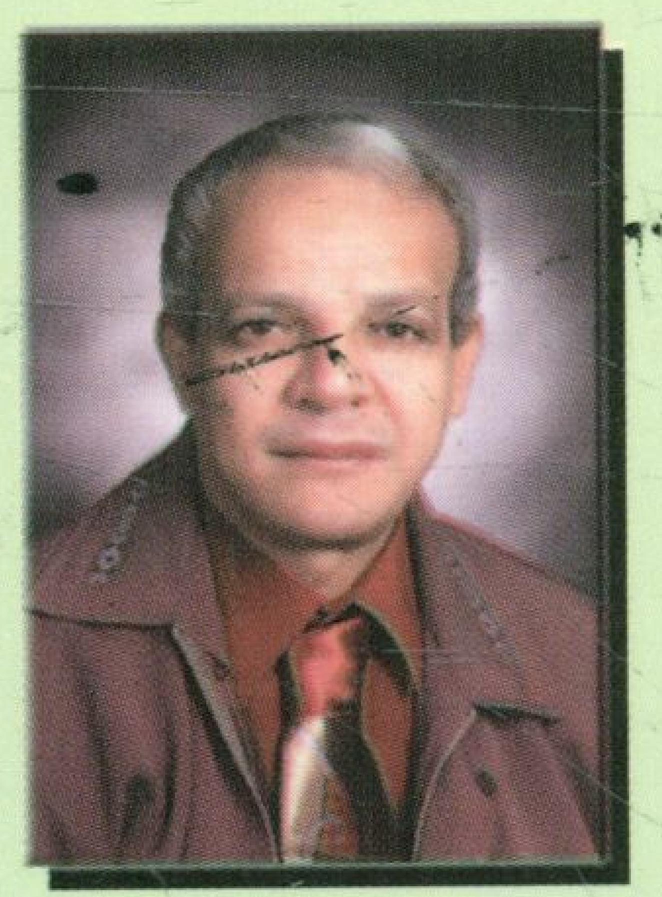
***

(١) مدرة: شجاع مهاجم .

(٢) الشلو: العضو والجسد .

فهرس

* * *



يوم عصيب في حياة الرسول

كان يوم أحد من الأيام الشاقة على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعلى المسلمين جميعاً وكان هدف المشركين الأول هو قتل رسول الله وكانت الحمية قد أخذت منهم أخذهم لما أصابهم يوم بدر وأشتط جماعة منهم وتفاجروا ولكن الله سبحانه وتعالى ناله بإنتقامه إلا من تحصن بالإسلام .

لم يتورع حباب بن العرقة أن يرمي أم أيمن بسهم وكانت تسقي الجرحى وتعاون المحاربين فوقعت وتكشفت وأغرق عدو الله في الضحك لانكشاف سوءتها وشق ذلك على رسول الله فدفع سهما لسعد بن أبي وقاص وقال : ارم به فرمى به الحباب فوقع وانكشف حتى بدت عورته فضحك رسول الله وقال : استقاد لها سعد أجاب الله دعوته .

ورمى عتبة بن أبي وقاص وهو أخو سعد بن أبي وقاص رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته اليمنى السفلي وشق شفته السفلى ثم فر ورأي حاطب بن أبي بلتعة ما برسول الله فسأله أين توجه عتبة ؟ فأشار إليه فتبعه حتى ظفر به فضربه بالسيف فطرح رأسه فأخذ سلبه وفرسه وعاد إلى رسول الله . فقال له : رضي الله عنك وأصيب بعد عتبة أولاده فما ولد له ولد ، ولا ولد ولد إلا وهو أهتم ، ساقط الرباعيات من مقدم أسنانه وكانوا جميعاً بخرا تفوح الرائحة الكريهة من أفواهم .

وكانت ضربة عبد الله بن قمينة من اشد الضربات التي وجهت إلى رسول الله فقد أدخلت حلقتين من المغفر في وجنتيه وعالجهما أبو عبيدة بن الجراح فكان يقبض على الواحدة بأسنانه حتى يخرجها وسقطت ثنيتا أبي عبيدة كل واحدة في حلقة فكان أيضاً اهتم وكان هتمه يضفي على وجهه جمالاً ، ولما ضربه ابن قمينة صاح فخوراً بعمله وصاح في المشركين قد قتلت محمداً وقال له رسول الله .. أقماك الله عز وجل ، أي أذلك وأصغرك .. فخرج بعد أُحد إلى غنم له وكانت في أعلى الجبل فأخذ يعترضها فشد عليه كبش فلم يزل ينطحه حتى قطع جسده ارباً ارباً .. ويقال أن الكبش نطحه فرمي به من فوق الجبل فسطا عليه تيس جبلي فمازال ينطحه حتى مزق جسمه أوصلا .

وشج عبد الله بن شهاب الزهري وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جد الإمام الزهري لأمه ويسمى عبد الله الأصغر ، أما جد الإمام لأبيه فهو عبد الله الأكبر من أ... المسلمين وممن هاجر إلى الحبشة ومات بمكة قبل هجرة رسول الله ، وأسلم عبد ... الأصغر أيضاً ولم يصيب بشيء . أخذ يوم أُحد يصيح ايه محمد ايه محمد دلوني عليه ... نجوت أن نجا ؟! فأعماه الله عنه فلم يره وهو بجانبه وقال له صفوان بن أمية : كان ... بجانبك : قال : والله ما رايته أحلف بالله أنه ممنوع وأن عليه لحراسا .

ووقع صلى الله عليه وسلم في إحدى الحفر التي حفرها أبو عامر الفاسق – وكان ... في الجاهلية الراهب – فسماه رسول الله – الفاسق – وهو والد حنظلة – غسيل الملا... وظل أبو عامر بمكة حتى يوم الفتح ففر إلى بلاد الروم فمات بها كافراً .

فهذه صور من مصارع الظالمين . وهناك صور أخرى كثيرة .

أحمد عزو...
الإسكند...



مؤسسة شروق - دار البدر
نشر - توزيع - ترجمة
٦اش البيطار - الأزهر - القاهرة
جمهورية مصر العربية
٠١٠١٢١١١٧٤١ ٠١٠٠١٧١٥٤٧٥ ٠٢-٢٥١١٤١٥١ ٠٠٢
Email: darbadr2006@hotmail.com